

الأثر الثمين في نصرة عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين

دراسات في سيرة عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين
وعدالة الصحابة أجمعين والوقاية من الفتن في كل زمان وحين



أحمد محمود الشوابكة

تقديم ومراجعة

أ.د. محمود السّرطاوي
كلية الشريعة - الجامعة الأردنية

أ.د. عبد الناصر أبو البصل
رئيس جامعة العلوم الإسلامية العالمية

د. محمد الملكاوي
كلية الشريعة - جامعة اليرموك

أ.د. أحمد نوفل
كلية الشريعة - الجامعة الأردنية

أ.د. عبد المقصود حامد

مستشار رئيس جامعة العلوم الإسلامية العالمية

دار الفاروق
سكان - الأردن

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠١٢ م

دار الفاروق
للنشر والتوزيع
عمان - العبدالي

٢٣٩٠٣١
٢٣٩٠٣١

❖ رقم الأيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (٢٠١٢/٤/١٣٩٨)

❖ الشوايكة ، احمد محمود خليل.

❖ الأثر الثمين في نصرة عائشة رضي الله عنها ام المؤمنين / احمد محمود خليل

❖ الشوايكة - عمان : العدد ٢٠١٢.

❖ عدد الصفحات (٢٧٢) .

❖ تصميم الغلاف / محمد خضير .

❖ ر.أ. : ٢٠١٢/٤/١٣٩٨ .

❖ الواصفات : زوجات النبي ﷺ / الاسلام // السيرة النبوية / .

❖ يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر

هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

حقوق الطبع محفوظة . لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته الى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من دار الفاروق.

دار الفاروق

للنشر والتوزيع

عمان - العبدالي - عمارة جوهرة القدس

E- mail: daralfarouq@yahoo.com



الإهداء

إلى مَنْ أَوْصَانِي رَبِّي بِهِمَا خَيْرًا، فقال:

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء].

إلى مَنْ أَسْأَلُ رَبِّي لَهُمَا خَيْرًا، فاقول:

﴿رَبِّ أَرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء].

والى صفيي وفرطي عبيدة، الذي أجاب ربه، وأوجعي فقله !

عسى الله أن يجمعني بهم جميعا في مستقر رحمة، مع الأحبة : النبي ﷺ

وصحبه .

الغنيُّ بالفقرِ إلى الله
أحمد محمود الشوابكة
أبو عبيدة

تقديم

أ.د. عبد الناصر أبو البصل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا وقودتنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى أزواجه وأصحابه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فلا شك أن الحديث عن خير القرون محبب إلى النفس، ويلازم القلب، وتنسم من خلاله عرفاً طيباً ندياً؛ كيف لا وهو ينقلنا إلى بيت النبوة، فنسمع أقوال النبي ﷺ وتوجيهاته وحركاته وسكناته وما يحبه وما يكرهه، ونعرف أسلوب حياته مع أقاربه وجيرانه وزوجاته وبناته وأصحابه، نعرف عنه ما لا نعرفه عن أنفسنا.

نعم إنه حديث محبب للنفس؛ لأنه ينقلنا إلى أروقة المدينة وميادين الجهاد التي كان رسول الله ﷺ يخوض حروبها فيها، وإلى ساحات الأسواق التي يتاجر فيها.

وفي هذا الكتاب جعل الباحث الفاضل الأستاذ أحمد محمود الشوابكة محور الحديث عن الصحابة الكرام، الذين يعدون الحلقة الأولى التي تلقت الوحي ونقلته عن الرسول ﷺ، ومحوره الخاص الحديث عن إحدى سيدات النبوة عن الصديقة بنت الصديق، التي كانت تمثل جانباً من جوانب مشاركة المرأة المسلمة في الدعوة والسياسة والتعليم والتوجيه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفق رؤية اجتهادية منهجية تمثل مرحلة من مراحل النضج العلمي والفكري وصلت إليها السيدة عائشة وسائر نساء وسيدات هذا البيت الطاهر.

كما تمثل السيِّدة عائشة ومن معها من الصَّحابة الَّذِينَ كان لهم أثرٌ وفاعليَّةٌ في الحياة العامَّة في ذلك الجيل أنموذجاً حياً لِلتَّربِيَةِ النَّبَوِيَّةِ المباشرة؛ فهي زوجه وملازمته، وهي أصغرُ نساء النَّبِيِّ ﷺ سنّاً، وأكثرهنَّ روايةً، ولعلَّ الحكمة من اجتماعِ هذه الصِّفات وغيرها في أمِّ المؤمنين عائشة  ، فمن سيروي الأحاديثَ المتعلِّقة بالحياة الخاصَّة للرَّسول ﷺ وأسرته، ومن سيلاحظُ دقائقَ الأمور إن لم يكن في مثلِ سنِّها  ، وفي مثلِ ذكائها، ومن ستكون لها القوَّة والجرأةُ لتحاوِرَ وتأمُرَ بالمعروفِ وتنهى عَنِ المنكرِ، وتقول رأياً بكلِّ قوَّة لما تعرفه من أمر النَّبِيِّ ﷺ غيرها  ؟ إنَّها مسألة اختيار واصطفاء وتقدير من الله سبحانه وتعالى.

لا أقولُ مِنَ العَجَبِ، بل مِنْ غير المعقولِ ومنْ أَعْرَبِ العَرَائِبِ أَنْ يَنْبِرِي نَفْرًا لِلتَّطَاوُلِ على هذه السيِّدة على أمِّ المؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها، غَافِلِينَ أو مُتَغَافِلِينَ عن:

- مكانتها عند الرَّسول ﷺ ومحبَّته الكبيرة لها والتي تحدَّث عنها ﷺ بكلِّ صراحة ووضوح؛ ليضرب المثل الأعلى في الكَمالِ البَشَرِيِّ، حيث سئِلَ ﷺ: "مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ".

- أنَّ القرآنَ الكريم نزل في بيتها، بل والرَّسول ﷺ نائم في فراشها ورأسه في حجرها وعلى صدرِها.

- أنَّها بنتُ الصِّديقِ  ، التي حَفِظَ اللهُ تعالى بها كثيراً من سُنَّةِ رسوله

ﷺ.

- أنه قد ثبت لها وَصْفُ لقب أمّ المؤمنين الوارد في قوله ﷺ: ﴿ وَأَزْوَاجُهُ

أُمَّهَاتُهُمْ... ﴾ [الأحزاب] فلها حقوق أمّهات المؤمنين...

أ.د. عبد الناصر أبو البصل

رئيس جامعة العلوم الإسلامية العالمية

٢٣/ جمادى الأولى / ١٤٣٣ هـ

الأحد / ١٥ / نيسان / ٢٠١٢ م

تقديم

أ.د. محمود السّرطاوي

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا يُؤَافِي نِعَمَهُ، وَيُكَافِي مَزِيدَهُ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى الرَّحْمَةِ
المهداة سيّد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وعلى ذرّيته وأزواجه وأصحابه ومن
تبعهم بإحسان.

وبعد، فما أحوج الأمة الإسلامية في هذه الأزمنة التي تموج فيها الفتن إلى
الدعاة الذين يرفعون لها رايات النّجاة! وتعلو صيحتهم بالحق على الباطل ﴿بَلْ
نَقَذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ...﴾ [الأنبياء].

لقد كثرت في هذه الآونة الأبواق التي تدقّ نواقيس الفتن بين المسلمين،
والكل يدّعي حبه لرسول الله ﷺ وآله والتّمسك بهديه، ولا أدري كيف تستقيم أو
تصحّ هذه المحبّة مع النّيل من صحابته الكرام، وأزواجه، وهنّ أمّهات المؤمنين
بنص القرآن!؟

ولم يحسن بعض أهل العلم مجادلة هؤلاء بالتي هي أحسن، مع أنّ الله
تعالى قد أمر أن يُجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن، فكيف بمجادلة من جعلهم
الله تعالى أولياء لبعضهم ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾ [التوبة]،
ويمنّ وصفهم الله تعالى بأنهم رُحماء بينهم ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾ [الفتح].

ولا يغرب عن البال أنّ فريقاً من المسلمين من هذا وذاك لا يقرّ هذا النهج
الذي يعرفه الخاصّة والعامة.

وإذا كان هذا هو الحال فلا سبيل لِنَبَذِ الفتنة إلا أن يتصدَّى لها نَفَرٌ مِنَ العلماء والدُّعاة المخلصين بالحكمة والموعظة الحسنة، فإنَّها هي الكفيلة بإذن الله بوأدِّها وقطع دابرها.

وقد جاء هذا الكتاب " الأثر الثمين في نصرة عائشة رضي الله عنها أمَّ المؤمنين " ليعلي رايةً للإصلاح، ويوجب على ما أُثير حولها رضي الله عنها وحول الصَّحابة رضي الله عنهم من شُبُهات وافتراءات بالحكمة والكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، معتمداً الحجة والدليل من القرآن الكريم، وما صَحَّ مِنْ حديث سيِّد المرسلين.

فبعد أن بيَّن ما لأزواج النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكانة وفضل، خصَّ السَّيِّدَةَ عائشة رضي الله عنها وعن أبيها بمزيد من البيان، فهي قُطْبُ الرَّحَى وواسطة القلادة، وأزْدَفَ بالحديث عن مكانة الصَّحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وذكر الفتن وأسبابها وسُبُلَ النَّجاة منها.

ولمَّا كانت هذه هي الغاية مِنَ الكتاب، فإنَّه لا يَضِرُّهُ عدم التَّوَسُّعِ في الحديث عن فقه السَّيِّدَةَ عائشة رضي الله عنها؛ فإنَّ تناوله يضاعف حجم الكتاب أضعافاً مضاعفة.

وإنَّه لمنهج أَحْكَمَ البَاحِثِ سبكه وأحسن نظمه فَصَّدَ الدَّعوة إلى الإصلاح والتَّحذير من السَّيرِ في ركاب الفتنه، وقد أتى على موضوعات البحث بعبارة أدبيَّة رَصِيْنَةٍ تأخذ بالقلوب، وَبِحُجَجٍ تستجيب لها العقول، كلُّ ذلك مِنْ غيرِ إيجازٍ مَخْلٍ أوِ إطْنابٍ مَعْلٍ.

فالله تعالى أسأل أن يشب الأخ الأستاذ أبا عبيدة أحمد وأن يجعله في ميزان

حسناته وأن ينفع به ويعلمه أمين، والحمد لله رب العالمين.

أ.د. محمود علي السّطاوي

أستاذ الفقه المقارن

نائب رئيس جامعة العلوم الإسلامية العالمية

وعميد كليّة الشريعة - الجامعة الأردنية سابقاً

السّبت / ١٠ / ربيع الثاني / ١٤٣٣ هـ

٤ / آذار / ٢٠١٢ م

تقديم

أ.د. أحمد نوفل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد : فقد اطّلت على كتاب الأخ أحمد الشوابكة (الأثر الثمين في نصره عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين)، والأخ أحمد ذو حرص وغيره وهمّة في طلب العلم ونصرة الدين والدفاع عن حرّمات المؤمنين، فكيف إذا كنّ أمّهات المؤمنين، وبالأخصّ الأعزّ منهنّ على قلب نبينا الأمين خاتم المرسلين.

ومعلوم أنّ التاريخ يمكن أن يدوّن وأن يُقرأ من زوايا عديدة، وأن يُحمّل ما يحتمل وما لا يحتمل، فكيف من التاريخ الصفحات المتحدّثة عن الاختلافات والوقائع التي أثارَت الانقسامات بين الطوائف والجماعات؟

لكن الذي لا يحتمل أن يُكذّب القاطع من الأدلّة، وهل أصدق من القرآن؟ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء] أفبعد شهادته بجاءه القاطعة ببراءتها يتقول متقول ويتخرّص متخرّص ! ألا فليخرس هذا الذي أخرج نفسه بهذا من ربة الإيوان وجماعة المؤمنين .

ألا يعلم أنّ أزواج النبي صلى الله عليه وآله اختيار الله تعالى له، فكأنّ من يتهم منهنّ واحدة إنّها يشكّك في حكمة الله عز وجل.

وقد غلب على الكتاب الروايات الحديثية وهذا امتياز، ولكن هناك بعض مواطن الاستطراد فيما يسمّيه أحيانا ما يؤخذ من الحديث .

وكنّت أودّ لو برزّ التحليل أكثر تاريخياً ونفسياً ولغوياً، لكان ذلك تنوعاً مطلوباً.

ومع هذا وذاك فإنَّ الجُهدَ مشكور، والدَّأبَ الغيور في البحثِ مقدَّر،
واللُّغةَ العالِيَّةَ في الكتابِ معتبرة. فاللُّغةُ هي الطَّبَقُ الَّذِي يَحْوِي الوَاجِبَةَ الفِكرِيَّةَ
العِلْمِيَّةَ، أو هي الأَصْدَافُ الَّتِي تَحْوِي اللُّؤْلُؤَ، فلا يعقل أن يكون المعنى جميلاً،
والثوبُ اللُّعُوبِيُّ خَلَقًا.

أما هذا البحث فقد كان - إن شاء الله - نُوراً على نُورٍ : رصانة في العلم،
وجودة في السَّبْكِ واللُّغَةِ والصِّيَاغَةِ، هذا بعض حَقِّهِ، تقبَّلَ اللهُ عَمَلَهُ وَعِلْمَهُ،
وتسخره إِيَّاهُما في سبيلِ اللهِ تعالى، ونصرة المؤمنين، وفَقَّهَ اللهُ، ونفع به، ﴿ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصفات].

أ.د. أحمد نوفل

أستاذ التفسير والدراسات القرآنية
كلية الشريعة - الجامعة الأردنية

الأحد / ٢ / جمادى الأولى / ١٤٣٣ هـ

٢٥ / آذار / ٢٠١٢ م

تقديم

د. محمد ملكاوي

يَأْبَى اللهُ تَعَالَى إِلَّا أَنْ يُجْعَلَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ رَبَّانِيَّيْنِ يَدِافِعُونَ عَنْ دِينِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ وَيَحْمُونَ أَعْرَاضَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمْ أَصْحَابَ نَبِيِّهِ وَأَزْوَاجَهُ ﷺ، فَإِنَّ مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مَنَافِقِ يَغْتَابُهُ حَمَاهُ اللهُ مِنْ نَارِ الْآخِرَةِ.

ومن هؤلاء الرِّبَّانِيَّيْنِ أخوانا الفاضل الأستاذ أحمد محمود الشَّوابكة، الَّذِي أَحَبَّ اللهُ تَعَالَى وَرَسُولَهُ ﷺ وَأَصْحَابَهُ وَأَزْوَاجَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ طَمَعَ الْأَسْتَاذُ الشَّوابكة بِحُبِّهِمْ أَنْ يَسْتَنْقِذَ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ، وَأَنْ يَكُونَ رَفِيقَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّيْنَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، فَسَخَّرَ الْأَسْتَاذُ الْفَاضِلُ وَقْتَهُ وَجَهْدَهُ لِلتَّبَحُّرِ فِي سِيرَةِ الرَّعِيلِ الْأَوَّلِ لِاسْتِخْرَاجِ الدُّرَرِ النَّفِيسَةِ، الَّتِي أَذْهَلَ الْكَثِيرِينَ عَنْهَا الْإِنْشَغَالَ بِمَطَالِبِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ وَقْتًا لِلْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ، وَأَغْفَلَ عَنْهَا الْكَثِيرِينَ أَيْضًا دَعَاةَ الصَّلَاةِ الَّذِينَ اشْتَرَوْا عَرَضًا دُنْيَوِيًّا زَائِلًا بِجَنَّتٍ نَعِيمَهَا مُقِيمٍ.

وكان من بعض دُرَرِ الْأَسْتَاذِ الشَّوابكة كتابه " الأثر الثمين في نصره عائشة عليها السلام أم المؤمنين " فقد اقتفى فيه جُلَّ ما دَوَّنَتْهُ الْكُتُبُ الْمُوثَقَةُ فِي سِيرَةِ هَذِهِ الطَّيِّبَةِ الْمُطَيَّبَةِ عليها السلام، وَرَدَّ فِيهِ عَلَى الشُّبُهَاتِ الَّتِي أُشْرِبَتْهَا قُلُوبُ الْحَاقِدِينَ الَّذِينَ سَبَطَرَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ، فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا، فَظَنُّوا أَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْحَقِّ الْمُبِينِ، فَخَابَ سَعِيهِمْ؛ إِذْ تَبَعَ الْأَسْتَاذُ الْفَاضِلُ شُبُهَاتِهِمْ وَرَدَّهَا كُلَّهَا بِمَا قَالَهُ فِيهَا الطَّيِّبُ عليها السلام، وَبِهَا قَالَهُ أَيْضًا أَحْبَابُ الْأُمَّةِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ وَالْمُؤَرِّخِينَ الَّذِينَ شَرَوْا أَنْفُسَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرَضَاةِ اللهِ.

فأسأل الله العليّ القدير أن يجزيّ الأستاذ أبا عبيدة خَيْرَ الجزاءِ على نيّته وإخلاصه وحبّه أحباب الله، وأن يُنِيلَه بحُبِّهم شفاعتهم، وأن يُعِينَهُ على تزويد المكتبة المعاصرة بمزيدٍ من الذخائر التي لا يستغني عنها طالب الحقّ، ولا يتنكّبها إلا مغبونٌ، وصلى الله على النبيّ الأميّ محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأتباعه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

د محمد أحمد محمد عبد القادر ملكاوي

أستاذ العقيدة ومقارنة الأديان

قسم أصول الدّين - كليّة الشريعة - جامعة اليرموك

الاثنين / ٢٨ / ربيع الأول / ١٤٣٣هـ

٢٠ / شباط / ٢٠١٢م

تقديم

أ.د. عبد المقصود حامد

لقد اطلعتُ على كتاب (الأثر الثمين في نصره عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين)
لمؤلفه الأخ الأستاذ أحمد محمود الشوابكة، فنال إعجابي لما يأتي :
أولاً: اعتماد الكتاب على النصوص الصحيحة من السنة، وحسن توظيفها
فيما قيلت فيه.

ثانياً: العرض الهادئ والهادف والبنّاء دون تجريح لأحدٍ من المخالفين،
الذي أكسب الكتاب صورة البحث العلمي.
ثالثاً: شمل الكتاب إلى جانب مناقب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها البحث في
موضوعين هامّين، أحدهما في عدالة الصحابة أجمعين، والآخر في الوقاية من الفتن
في كل زمان وحين .
شكّر الله للمؤلف، وأعاننا وإياه على كل خير، والحمد لله رب العالمين.

أ.د. عبد المقصود حامد عبد المقصود

أستاذ العقيدة والفلسفة

ومستشار رئيس جامعة العلوم الإسلامية العالمية

الأحد/ ١٨/ ربيع الثاني/ ١٤٣٣ هـ

١١/ آذار/ ٢٠١٢ م

المقدمة

الحمدُ لله الَّذي أَلَّفَ بين قلوبِ أَهْلِ الإِيانِ وجعلهم بنعمته إِخواناً،
وجمعهم على حُبِّ النَّبِيِّ ﷺ وآله أصولاً فلم يَتَفَرَّقُوا أَغْصاناً وَأَفناناً، ووعدهم من
لذنه مغفرةً ورضواناً. والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمين ﷺ، وعلى
أصحابه البَرَّةِ الْمُتَّقِينَ، وعلى أزواجه الطَّيِّباتِ المَطَّيَّباتِ الطَّاهراتِ المَطْهُراتِ
أُمَّهاتِ الْمُؤْمِنِينَ - رضي الله عنهم -، وعلى التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ إلى يومِ الدِّينِ.

وبعد، فَمَنْ حُقِّقَ اللهُ تعالى على عبادِهِ صِدْقَ عَادِيَاتِ الأَدْعِيَاءِ وَأَباطيلِ
الدُّخْلَاءِ، عن الإسلامِ ونبيِّ الإسلامِ ﷺ وأصحابِهِ الكرامِ، بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِلَّتِي
هِيَ أَقْوَمُ، وبالحجَّةِ والبرهانِ، والدُّعاءِ باللسانِ والقلبِ والجنانِ، أن يهديهم اللهُ
تعالى لما اختلفوا فيه من الحقِّ بإذنه: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٣٢﴾
[البقرة].

وقد أَلَّفَ وصنَّفَ وأَرخَ وتَرَجَمَ كثيرٌ من الأئمَّةِ الأعلامِ وأربابِ الأَقلامِ،
مَنْ سَلَفَ وخَلَفَ كتباً عن أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عائشةَ ؓ، فمنهم من أجاد المَطْلِعَ والمَقْطَعِ
ولم يَأْتَلِ، ومنهم من عُدَّتْ سَقَطَاتُهُ وأُحْصِيَتْ هَفَوَاتُهُ وحُفِظَتْ فَلَائِئُهُ، ومنهم من
عَثَّ حَدِيثُهُ ومَوَّهَ باطلُهُ حتَّى شَبَّهَهُ بِالْحَقِّ، بِلُغَةٍ فِيهَا سِحْرٌ ودِهَاءٌ، ومكرٌ وبلاءٌ،
وَعَدَّ نَفْسَهُ مِنَ العُلَمَاءِ الأَجَلَاءِ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ...﴾ ﴿١٣٣﴾
[البقرة].

وكم هم الَّذِينَ يَضْمُرُونَ حَقْداً وغيظاً، ويظهرون مخالصةً ووداً، فالحَذَرُ
الحَذَرُ مِنْ اِخْتِلافِ الأَقلامِ، والكتَبِ الَّتِي جَرَّتْ النُّوائبُ العِظامُ الجِسامَ، وتربَّى

عليها أجيال وأقوام .

وأنا أعلم أنه لا يخلو زمانٌ من منافقين، فالخير والشرُّ له وارثون، فلا عَجَبَ أن نَسْمَعَ مَنْ يتحدَّثُ بالإفك ويلوكه، ويجمعه ويفرِّقه، ويلمَّ شَعَثَهُ ويشيعه، ويقشِّره ويخفيه، ويُسِّره ويفشيه.

﴿يَحْصِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ...﴾ (٣٠) ﴿يس﴾ [يجهل أكثرهم أن لكل واحد منهم نصيباً من الإثم؛ لمتابعته ومشايعته رأس النفاق ابن أبي، فلم يكن هذا ليقع إلا من منافق مارق، أو فاسق هالك] ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (٢) ﴿الحشر﴾.

ويا خبيَّة مَنْ يَجِبُ أن تشيع الفاحشة في المؤمنين، قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾ (١٩) ﴿النور﴾. والطامةُ أنه لا ينق ناعق إلا وجدت من يسارع الوتبة إليه، فلكل ساقطة لاقطة، ولكل ثوب لابس.

والله يشهد أنني ما وضعت هذا الكتاب الصّادع الرّادع إلا لأظهر بالحجّة على كل متحيزٍ إلى فئة ترجع إلى الأهواء والآراء: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ...﴾ (٤٢) ﴿الأنفال﴾.

ولا ريب أن مفارقة أهل الأهواء في الدنيا خيرٌ من مُرافقتهم في الآخرة، وقد قال الله تعالى: ﴿﴿أَحْزَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَجَهُمْ...﴾ (٤٢) ﴿الصفات﴾.

وقد جَهدتُ جَهدِي لأقيم حقاً، أو أهدم باطلاً؛ حتّى يعرف الحقُّ من جهله، ويَزْعَوِي عن البغي من اقترفه، وعذري أنّه ليس على مجتهد بدّل وُسْعَه في

طَلَبِ الْحَقِّ مِنْ عَتَبٍ :

فَإِنْ لَامَنِي الْقَوْمَ قُلْتُ أَعِذْرُوا فليس على أَعْرَجٍ مِنْ حَرَجٍ

وأين يذهب مَنْ تزيّاً بزِيّ العلماء، وتعمّم بعائتهم، ثمّ تولى عن آيات الله

﴿وَأَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ...﴾ (٨٣) [الإسراء] وَأَتَّبَعَ الْهَوَى لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (١٦) [ص].

كذلك وضعت عظةً وعبرةً وتذكرةً لمن لم يسلم الصحابة من لسانه ويده،

ولمن بسط لسانه في أعراضهم، وأكل وشبع من لحومهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْقَوْنَ أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ

ذِكْرًا﴾ (١٣٣) [طه] ولا يأس من رُوحِ الله، ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ

أَمْرًا﴾ (١) [الطلاق].

ولم أَلْ جَهْدًا في نظمه وتأليفه، وترصيفه وترصيعه، وزبرجته وتجبيره؛

فخرّاً بلغتنا العربية لغة القرآن، ولغة سيّد الأنام ﷺ وأصحابه الكرام ﷺ. ولم

أدخِرُ وسعاً ولا سعياً ببلاغة بلاغه، بل سلكت إليها كل سبيل؛ التزاماً بما ألزمتنا

الله تعالى به، فقد قال ﷺ: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (١٨) ﴿

[العنكبوت]، ذلك أنّ البلاغ المبين يكشف كل شبهة، ويزيل كل لبسة، ويدرأ

كل مفسدة، ويدفع كل إشكال، ويجلي المورى، ويوضح المعنى، ويجعل الحقّ

كالشمس في ريعان الصّحى، لا يتماهى فيه اثنان.

ولذلك وصفَ الله تعالى كتابه بالمبين في غير آية، فقال: ﴿وَأَلْكَتِبِ

الْمُبِينِ﴾ (٢) [الزّخرف]، ووصف البلاغ المكتوب على الرّسل بالبلاغ المبين،

فقال: ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلْعُ الْمُمِينُ﴾ ﴿٣٥﴾ [النحل].

ولا ريب أن البلاغ المبين من خصائص أسلوب النبي ﷺ، الذي أعجزَ بلاغُهُ البلغاءَ، وتبَدَّلَ أمامه الفُصَحَاءُ؛ فقد أُوتِيَ جوامعَ الكَلِمِ، قال ﷺ: "بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ" (١).

وما مِنْ شَكٍّ أَنْ الموعظة بالكلمة البليغة لها أثرها وتأثيرها حتى على الكافرين والمنافقين، قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ ﴿١٣﴾ [النساء] فالآية فيها فضل البلاغة والفصاحة.

ومع هذا لا يخلو زماننا الذي قلَّ فيه العلم وكثر فيه الظلم ممن رَغِبَ عن بيانه ﷺ، وزهد في بلاغه، ومَن استحبَّ العمى على الهدى فناله في أحبِّ النَّاسِ إليه، ألا بئس ما قدَّمت أيديهم ليوم الحِسَابِ!

وأنا أعلمُ - وليتهم يعلمون - أنَّ أمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها شَغَلَتْ العلماءَ المتقدمين والمتأخرين، وأثارت برزانة عقلها وغزارة علمها إجلالَ السلف والخلف، بل لا توجد امرأةٌ برَزَّ اسمُها في تاريخ الإسلام والمسلمين، وحظيت باهتمام الباحثين والدارسين عَبْرَ القرون كما حظيت به عائشة رضي الله عنها، فهيهات أن يجود الزمان بمن يشقُّ غبارها، أو يدنو من آثارها، فكيف باللحاق بها! وأين في النساء مثل عائشة رضي الله عنها؟! الرَّاجحة في موازين العقل، السَّابِقة في ميادين الفضل؛ فلا عَجَبَ أن أسيرَ خَلْفَ السلفِ بِقَلْبٍ بِسِيرَتِهَا أسير.

(١) البخاري "صحيح البخاري" (م/٤/ج/٨/ص ٧٦) كتاب التعبير.

كما أعلم أن الله تعالى أغناها ﷺ عن دفاع كل أحد، فقد تولى الله ﷻ الدفاع عنها وعن المؤمنين، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا... ﴾ [الحج]، وأعلم أن الله تعالى حسبها، ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال]، وأنه وليها، ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا... ﴾ [البقرة] وأنه أنزل في إخلاء ساحتها عشر آيات بيّنات نيرات.

لكن مَضْنِي سَمَاعٌ تَلْبِهِمْ وَقَرَفِهِمْ لَمَنْ زَكَاهُ اللَّهُ وَقَرَطَهُ وَأَطْرَاهُ، وأمْرَضَنِي أَنْ أَظْهَرُوا الْعِدَاوَةَ وَدَقُّوا عِطْرَ مَنْشِمٍ، ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ... ﴾ [آل عمران] وصار في صدري بلايل تقطع الأنفاس أسفاً على ما آل إليه أمر المسلمين!

لكن مهما طالت الأيدي وقصرت، فستظل دعوتهم صرخةً في وادٍ، أو ضربةً في حديد بارد، أو نفخةً في رماد، أو سحابة صيفٍ سرعان ما تنقشع وتتكشف، فالحق له مقامٌ ومقال:

الْحَقُّ أَبْلَجٌ لَا تَزِيغُ سَبِيلُهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ أَوْلُو الْأَبَابِ
فَلَا يَضُرُّ عَالِماً جَهْلُ جَاهِلٍ، وَلَا يَضُرُّ شَرِيفاً عَيْبٌ وَضِيعٌ، وكفى بالمرء شراً أن يقع في الصالحين، وهو ليس منهم! وصدق القائل:

ذُو الْعَقْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ جَاهِلٍ يَسُوْمُهُ عَسْفاً وَإِعْنَاتَا
وقد جعلت هذا الكتاب في أقسام ثمانية، وضمّنته من الآيات المحكمات، والأحاديث القاطعات، والحجج الباهرات، والبراهين الساطعات، والأخبار المسندات ما يشرح الصدور، ويداوي المصدور.

وقد نثرت من نثره النّظيم كلّ دَرَّةٍ تُزِيلُ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ البهيم: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة].

وكان صدور هذا الكتاب أُمْنِيَّةً قبل أن توافيني المنية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ...﴾ [الأعراف].

وختاماً، الله أسأل أن يعين من أعانني في هذا الكتاب، وأن يشبه النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، وأن يعود هذا الكتاب على من سعى في نشره بالخير العتيد، والنفع الذي لا ينقطع ولا يبسد، وأن يجزي خيراً من أقال الكبوة، وتدارك الهفوة، وسد الخلل، وأصلح الزلل، وأن ينفع به من قرأه أو نظر فيه النفع العميم، والخير السابغ الجسيم، وأن يجعله في صحائف أعماله يوم الدين: ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار] وآخر دعوانا ﴿أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس].

المؤلف

أحمد محمود الشوابكة

أبو عبدة

إخوتها

تزوَّج أبو بكر رضي الله عنه في الجاهليَّة قتلة، أو قتيلة بنت عبد العزَّى القرشيَّة العامريَّة، واختلف في إسلامها، فولدت له : عبد الله ، وأسما (ذات النطاقين) ، وتزوَّج أمَّ رومان، وولدت له : عبد الرَّحمن، وعائشة.

وتزوَّج في الإسلام أسماء بنت عميس، وولدت له محمَّدًا في طريق المدينة إلى مكة في حَجَّةِ الوَدَاع كما ثبت عند مسلم في حديث جابر بن عبد الله الطَّويل، وتزوَّج حبيبة بنت خارجه، وولدت له بعد وفاته أمَّ كلثوم .

نشأتها

نشأت رضي الله عنها في بيت أبيها أبي بكر الصَّدِّيق رضي الله عنه، أعلم العرب قاطبة بِأَنسَاب قريش، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم لِحَسَانٍ رضي الله عنه : " لَا تَعْجَلْ ، فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا - وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا - حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبِي " ^(١) . وقد شابهت أباها في صفات عديدة وخلائق حميدة، فقد ورثت عنه الصِّدْق، فهي الصَّدِّيقَةُ بنت الصَّدِّيق .

وكان الصَّادِقُ الْأَمِينُ صلى الله عليه وآله وسلم قد أطلق على أبيها لقب الصَّدِّيق، حَدَّث أَنَسٌ رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم صَعِدَ أَحَدًا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمْرٌ، وَعُثْمَانُ، فَزَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم : " اثْبُتْ أَحَدٌ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ " ^(٢) . والصَّدِّيقُ مرتبة دون الأنبياء وفوق الشهداء، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ^(٣) ... ﴾ [النساء] .

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٨م/ج١٦/ص٤٩) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/ج٤/ص١٩٧) كتاب فضائل الصحابة.

فأبوها أبو بكر ﷺ ليس ككل الآباء ، فقد شابه النبي ﷺ في خلال محمودة وخصال مشهودة، فإلى جانب صفة الصدق، وَصَفَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ فِي حَدِيثِ الْمُهْجَرَةِ بِصِفَاتٍ اشْتَهَرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَدْ قَالَ لَهُ مُسْتَعْرِبًا لَمَّا لَقِيَهُ خَارِجًا فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْحَبَشَةِ: "إِنَّ مِثْلَكَ لَا يُخْرَجُ، وَلَا يُخْرَجُ؛ فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ" (١).

وهي نظير صفات النبي ﷺ التي وصفت بها خديجة ﷺ النبي ﷺ في حديث بدء الوحي حيث قالت للنبي ﷺ: "إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ" (٢).

ولمّا انطلقت خديجة به ﷺ بعد ذلك إلى ابن عمّها وَرَقَةَ، استبعد ﷺ أن يخرجها قومه؛ لما جمع من مكارم الأخلاق، فلَمَّا قَالَ لَهُ وَرَقَةُ: " لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرَجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْمَخَّرَجِيَّ هُمْ؟! قَالَ: نَعَمْ؛ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عَوْدِي" (٣).

ولعلَّ ابْنَ الدَّغِنَةِ اسْتَدَلَّ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي حَازَهَا أَبُو بَكْرٍ عَلَى أَنَّهُ لَا يُخْرَجُ. وَلَا عَجَبَ أَنْ يَجْمَعَ أَبُو بَكْرٍ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ كُلَّهَا، فَقَدْ كَانَ صَاحِبَ صَاحِبِ الْخَلْقِ الْعَظِيمِ، الَّذِي قَالَ لَهُ ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم]، فلم

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٣ج/٥٨ص) كتاب الكفالة .

(٢) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (١م/٢ج/٢٠٠ص) كتاب الإيمان . والبخاري

"صحيح البخاري" (١م/١ج/٣ص) كيف كان بدء الوحي .

(٣) المرجع السابق .

يَمْرَ يَوْمٍ إِلَّا وِزْوَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ صَبَاحاً وَمَسَاءً، فَطَوْبَى لَأَعْيُنِ اكْتَحَلَتْ بَرُؤَيْتَكَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُؤْمِنَةٌ !

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي سِيَاقِ حَدِيثِ الْهَجْرَةِ : " وَلَمْ يَمْرَ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفِي النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا
قَبْلَ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرَكَ الْعِمَادِ^(١)، لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ^(٢)، فَقَالَ
: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي
الْأَرْضِ، فَأَعْبُدَ رَبِّي، قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ : إِنْ مِثْلَكَ لَا يُخْرَجُ، وَلَا يُخْرَجُ؛ فَإِنَّكَ تَكْسِبُ
الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الصَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ،
وَأَنَا لَكَ جَارٌ فَارْجِعْ، فَأَعْبُدْ رَبَّكَ بِيْلَادِكَ.

فَارْتَحَلَ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَرَجَعَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، فَطَافَ فِي أَشْرَافِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ،
فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يُكْسِبُ الْمَعْدُومَ،
وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيَقْرِي الصَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ؟!!

فَأَنْفَذَتْ قُرَيْشٌ جِوَارَ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَأَمَّنُوا أَبَا بَكْرٍ، وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ : مُرْ
أَبَا بَكْرٍ، فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيَصِلْ، وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ، وَلَا يَسْتَعْلِنْ
بِهِ؛ فَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا. قَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَطَفِقَ
أَبُو بَكْرٍ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِالصَّلَاةِ وَلَا الْفِرَاقَةِ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَأَ
لِأَبِي بَكْرٍ، فَأَبْتَنَى مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ، وَبَرَزَ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَتَّقِصَفُ

(١) مَوْضِعُ جِهَةِ الْيَمَنِ .

(٢) قَبِيلَةٌ مِنْ بَنِي الْهُنَّ .

عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ يَعْجُبُونَ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَاءَ لَا يَمْلِكُ دَمْعَهُ حِينَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُ :

إِنَّا كُنَّا أَجْرُنَا أبا بَكْرٍ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَإِنَّهُ جَاوَزَ ذَلِكَ، فَأَبْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَأَعْلَنَ الصَّلَاةَ وَالْقِرَاءَةَ، وَقَدْ حَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا فَأْتِهِ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلْ، وَإِنْ أَبِي إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ، فَسَلِّهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ، فَإِنَّا كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ وَلَسْنَا مُقْرِنِينَ لِأَبِي بَكْرٍ الْإِسْتِعْلَانَ. قَالَتْ عَائِشَةُ : فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ أبا بَكْرٍ، فَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تُرُدَّ إِلَيَّ ذِمَّتِي، فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنِّي أَرَدْتُ إِلَيْكَ جِوَارِكَ وَأَرْضِي بِجِوَارِ اللَّهِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمئِذٍ بِمَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَدْ أُرِيتُ دَارَ هَجْرَتِكُمْ، رَأَيْتُ سَبْحَةَ ذَاتِ نَخْلِ بَيْنَ لَابَتَيْنِ، وَهُمَا الْحَرَّتَانِ، فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قَبْلَ الْمَدِينَةِ حِينَ ذَكَرَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْضُ مَنْ كَانَ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ" (١).

الهجرة

لم تبلغ أُمِّرَةَ فِي التَّضْحِيَةِ وَالْبَطُولَةِ وَالْفِدَاءِ مَا بَلَغَتْهُ أُسْرَةُ أَبِي بَكْرٍ ﷺ، فَقَدِ بَادَرَ جَمِيعُ أَفْرَادِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ، عدا عبد الرحمن شقيق عائشة ؓ، فَقَدِ

(١) البخاري " صحيح البخاري " (٢م / ٣ ج / ص ٥٨) كتاب الكفالة .

تأخر إسلامه .

وقدّمت هذه الأسرةُ أعظمَ مثل في الجهاد يوم الهجرة، التي تعدُّ نقطة تحوّل في تاريخ الدعوة، حتّى أمرَ عمرُ رضي الله عنه الصحابة في خلافته أن يؤرّخوا بها، قال عمر رضي الله عنه :

" الهجرة فرّقت بين الحقّ والباطل فأرّخوا بها" ^(١)، وقال سهلُ بنُ سعدٍ رضي الله عنه : " ما عدّوا من مبعثِ النبيّ صلى الله عليه وآله ولا من وفاته ما عدّوا إلا من مقدّمه المدينة" ^(٢) .

وقد روى البخاريّ قصّة الهجرة بطولها، وأقتطع منها دور هذه الأسرة الكريمة، قالت عائشة رضي الله عنها : " وَنَجَّهَ أَبُو بَكْرٍ قَبْلَ الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله : عَلَى رِسْلِكَ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤَدَّنَ لِي ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، لِيَصْحَبَهُ وَعَلَفَ رَاِحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمِيرِ ، وَهُوَ الْخَبْطُ ^(٣) ، أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ .

قَالَتْ عَائِشَةُ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهْرِ ^(٤) ، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مُتَقَنَّعًا فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي ، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ ، قَالَتْ : فَجَاءَ

(١) ابن حجر " فتح الباري " (ج ٧/ص ٢١٥) .

(٢) البخاري " صحيح البخاري " (٢م/٤/ص ٢٦٧) كتاب المناقب .

(٣) الخبط : ورق الشجر يضرَب ويخبط حتّى يسقط .

(٤) كان لا يخطئه يوم إلا أتى منزل أبي بكر طرفي النهار، فلمّا عزم على الهجرة جاءهم في الظهر متقنّعا وقد غطّى رأسه .

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّهَا هُمْ أَهْلُكَ^(١) - بِأَبِي أَنْتَ^(٢) - يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ أَذِنُ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةَ^(٣) - بِأَبِي أَنْتَ - يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ - بِأَبِي أَنْتَ - يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِحْدَى رَاِحِلَتِي هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بِالثَّمَنِ^(٤).

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَا هُمَا أَحْتَّ^(٥) الْجِهَازِ، وَصَنَعْنَا لَهَا سُفْرَةً فِي جِرَابٍ، فَقَطَعْتَ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَزَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ؛ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتُ النِّطَاقِ.

قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بَعَارِي فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمْنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَقِفٌ لَقِينٌ^(٦)، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كِبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ^(٧) بِهِ إِلَّا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَحْتَلِطُ الظَّلَامُ، وَيَرَعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً مِنْ غَنَمٍ، فَيَرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي

(١) إشارة إلى ابنتيه: عائشة وأسماء، كما فهم من طرائق أخرى للحديث.

(٢) التقدير: أنت بأبي مفدي.

(٣) أي أريد المصاحبة.

(٤) أحبب ﷺ أن تكون هجرته من ماله.

(٥) أحْتَّ: اسم تفضيل من الحث، وهو الإسراع.

(٦) أي حاذق سريع الفهم.

(٧) من الكيد، أي يُكَاد لهما بمكروه.

رَسُولٍ^(١)، وَهُوَ لَبِنٌ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفُهُمَا^(٢) حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بَعْلَسٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ كَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ...^(٣).

هَجْرَتُهَا ﷺ وَتَحْمَلُهَا لِلْمَشَاقِقِ

لَا شَكَّ أَنَّ الْهَجْرَةَ أَشَقُّ عَلَى النِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ، فَالرِّجَالُ مِنْ شَأْنِهِمُ السَّعْيِ وَالضَّرْبِ فِي أَكْبَادِ الْأَرْضِ، فَبَعْدَ أَنْ أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ وَصَاحِبُهُ فِي الْمَدِينَةِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مَهَاجِرِينَ وَأَنْصَارًا، هَاجَرَتْ عَائِشَةُ وَأَسَاءَ مَعًا مَعَ بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَ آلِ أَبِي بَكْرٍ، فَنَزَلُوا جَمِيعًا الْمَدِينَةَ.

وَقَدْ تَحَمَّلَتْ عَائِشَةُ ﷺ كَثِيرًا مِنَ الْمَصَاحِبِ فِي طَرِيقِ الْهَجْرَةِ، رَوَتْ عَائِشَةُ ﷺ، قَالَتْ: "قَدِمْنَا مَهَاجِرِينَ، فَسَلَكْنَا فِي ثَنِيَّةٍ صَعْبَةٍ، فَنَفَرَ جَمَلٌ كُنْتُ عَلَيْهِ نُفُورًا مُنْكَرًا، فَوَاللَّهِ مَا أَنْسَى قَوْلَ أُمِّي: يَا عَرِيْسَةَ، فَرَكِبِي بِرَأْسِهِ، فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَلْقِي خِطَامَهُ، فَالْقَيْتُهُ، فَقَامَ يَسْتَدِيرُ كَأَنَّمَا إِنْسَانٌ قَائِمٌ تَحْتَهُ"^(٤).

وَلَمَّا وَصَلَتْ عَائِشَةُ الْمَدِينَةَ نَزَلَتْ مَعَ أَهْلِهَا فِي دَارِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ، وَمَرَضَتْ بِالْحَمَّى حَتَّى تَمَزَّقَ شَعْرُهَا، رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْهَا أَنَّهَا ﷺ قَالَتْ: "فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَنَزَلْنَا فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ خَزْرَجٍ فَوَعِكْتُ فَمَرَمَقَ (انْتَفَتَفَ) شَعْرِي فَوْقِي"^(٥)

(١) الرَّسُلُ: اللَّبْنُ.

(٢) الرَّضِيفُ: اللَّبِنُ الْمُرْضُوفُ، وَهُوَ الَّذِي طُرِحَ فِيهِ الْحِجَارَةُ الْمُحْمَاةُ، لِيُذْهَبَ وَخَمُّهُ.

(٣) الْبُخَارِيُّ "صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ" (٢م/٤ج/٤ص ٢٥٥) كِتَابُ الْمَنَاقِبِ.

(٤) الْهَيْثَمِيُّ "مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ" (٩ج/٩ص ٢٢٨) وَقَالَ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

(٥) أَي كَثُرَ وَفِي الْكَلَامِ حَذْفُ تَقْدِيرِهِ ثُمَّ فَصَلْتُ مِنَ الْحَمَّى قَتْرِي شَعْرِي حَتَّى وَصَلَ الْمُنْكَبِينَ.

جُمَيْمَةٌ^(١) و"عند مسلم أنَّها مرضت شهراً كاملاً، تقول عائشة رضي الله عنها: "قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَوَعِكَتُ شَهْرًا فَوْقَ شَعْرِي جُمَيْمَةٌ"^(٢).

وكانت المدينة عند قدومهم وبيئة، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم شكوى أصحابه، دعا لها أن يصححها وينقل حمَّاهَا إلى الجُحْفَةِ فأجاب الله دعوته، تقول عائشة رضي الله عنها: "قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهِيَ وَبَيْتُهُ، فَاشْتَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَاشْتَكَى بِلَالٌ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَكْوَى أَصْحَابِهِ، قَالَ: اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَبْتَ مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدَّهَا، وَحَوِّلْ حَمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ"^(٣).

وفي الحديث من الفقه: جواز التداوي بالدعاء لرفع الوباء وكشف البلاء، وفيه الدعاء للمسلمين بالبركة والرِّخَاء ورفع الدَّاء، وجواز الدعاء على الأعداء لشغلهم عن الدَّعوة، فقد دعا صلى الله عليه وسلم بنقل الحمى إلى الجحفة وكانت دار شرك فكفى الله المؤمنين.

وكان صلى الله عليه وسلم قد دعا على قريش لما أبطؤوا عن الإسلام واستعصوا عليه ورأى منهم إدباراً، فقال: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعِ كَسْبَعِ يُوسُفَ"^(٤).

(١) جُمَيْمَةٌ: تصغير جُمَّة، والجُمَّة من شعر الرأس ما سَقَطَ على المنكبين، وصار إلى هذا الحدِّ.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٤ج/٤ ص ٢٥١) كتاب المناقب.

(٣) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٥م/٩ج/٩ ص ٢٠٧) كتاب النكاح.

(٤) ميقات أهل الشام وكانت إذ ذاك يسكنها يهود.

(٥) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٥م/٩ج/٩ ص ١٥٠) كتاب الحجِّ.

(٦) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/٦ج/٦ ص ١٩) كتاب التفسير.

بناء النبي ﷺ بها ﷺ ووصف زفافها

كان النبي ﷺ تزوج من عائشة ؓ متوفى خديجة ؓ، قبل الهجرة بستين أو ثلاث، وبعد الهجرة بنى بها بالمدينة أول مقدمه في السنة الأولى، تقول عائشة ؓ:

" فَاتَّيَنِي أُمِّي أُمُّ رُومَانَ، وَإِنِّي لَفِي أَرْجُوحَةٍ، وَمَعِيَ صَوَاحِبٌ لِي، فَصَرَخَتْ بِي فَاتَّيْتُهَا، لَا أَذْرِي مَا تُرِيدُ بِي، فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْفَقْتَنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ، وَإِنِّي لَأُنْجِحُ حَتَّى سَكَنْ بَعْضُ نَفْسِي، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئًا مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَذْخَلْتَنِي الدَّارَ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ، فَقُلْنَ عَلَى الْخَيْرِ وَالْبَرَكَاتِ، وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِنَّ، فَأَصْلَحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يُرْعِنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صُحْبِي، فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ" (١).

ومن فقه الحديث جواز تزويج الأب لابنته الصغيرة، ومشروعية اجتماع النساء لإعلان النكاح، واستحباب الدعاء بالخير والبركة للزوجين ممن حضر الدعوة، وأن تهتة النكاح لها صيغ مشروعة، فقد نهى النبي ﷺ أن يُقال للمتزوج: بِالرِّفَاءِ (٢) وَالْبَيْنِ، تهتة الجاهلية كما تقول العامة اليوم على عادة الجاهلية.

روى أحمد عن الحسن، أن عقيل بن أبي طالب ؓ تزوج امرأة من

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٤ج/٤ص ٢٥١) كتاب المناقب.

(٢) بِالْإِتِّتَامِ وَالْإِتِّفَاقِ وَحُسْنِ الْإِجْتِمَاعِ وَالطَّمَأْنِينَةِ.

بَنِي جُشَمَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ، فَقَالُوا: "بِالرَّفَاءِ وَالْبَيْنِ، فَقَالَ: لَا تَقُولُوا ذَلِكَ" (١)،
قَالُوا: فَمَا نَقُولُ يَا أَبَا يَزِيدَ؟ قَالَ: قُولُوا: بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ، وَبَارَكَ عَلَيْكُمْ؛ إِنَّا كَذَلِكَ كُنَّا
نُؤْمَرُ" (٢).

هذا وقد قَدَّمَ النَّبِيُّ ﷺ لعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ولصواحبها اللَّبْنَ، ملاطفة لها،
فَحَفَصَتْ رَأْسَهَا وَاسْتَحَيْتْ مِنْهُ، ففي حديثِ أَسْمَاءِ بِنْتِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ، قالت:
وَإِنِّي فَيَنْتُ (زَيْنَت) عَائِشَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ جِئْتُهُ، فَدَعَوْتُهُ لِحُلُوتِهَا (٣)، فَجَاءَ،
فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِهَا، فَأَتَى بِعُسِّ لَبَنِ، فَشَرِبَ ثُمَّ نَاوَهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَحَفَصَتْ رَأْسَهَا
وَاسْتَحَيْتْ. قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَأَنْتَهَرْتُهَا، وَقُلْتُ لَهَا: خُذِي مِنْ يَدِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ:
فَأَخَذْتُ، فَشَرِبْتُ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: "أَعْطِي تِزْبَكَ" (٤).

وقد تَغَيَّرَ حَالُ النِّسَاءِ كَثِيرًا فِي عَهْدِنَا عَنْ عَهْدِ النَّبُوَّةِ، وَهَذِهِ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا،
تقول: "لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى مَا أَحْدَثَ النِّسَاءُ لَمَنْعَهُنَّ الْمَسْجِدَ" (٥).

فإذا كان حال النِّسَاءِ قد تَغَيَّرَ فِي حَيَاةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِنْ لِبْسِ الزَّيْنَةِ
وَحَسَنِ الثِّيَابِ، فَالْحَالُ بَعْدَ مَوْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أْبَعَدَ مِنْ ذَلِكَ!

(١) لعلَّ علَّةَ النَّهْيِ عن تهنئة الجاهلية أتها خلعت من اسم الله تعالى.

(٢) أحمد "المسند" (ج ٢/ص ٣٥٤/رقم ١٧٣٩) وإسناده صحيح.

(٣) أي للنظر إليها.

(٤) أحمد "المسند" (ج ١٨/ص ٥٩٦/رقم ٢٧٤٦٣) وقال الألباني: أخرجه أحمد مطوَّلاً
وختصراً بإسنادين يقوي أحدهما الآخر "آداب الزَّفاف" (ص ٧).

(٥) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (م ٢/ج ٤/ص ١٦٤) كتاب الصَّلَاة.

إتيان الملك النبي ﷺ بصورة عائشة ﷺ قبل أن يتزوجها في سرقة من حرير

قال النبي ﷺ لعائشة: "رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ يَجِيءُ بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ (١) مِنْ حَرِيرٍ، فَقَالَ لِي: هَذِهِ أَمْرَأَتُكَ، فَكَشَفْتُ عَنْ وَجْهِكَ الثُّوبَ فَإِذَا أَنْتِ هِيَ، فَقُلْتُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمِضِهِ" (٢).

صفة عائشة ﷺ

كانت عائشة ﷺ بيضاء، فلما دَخَلَ الْحُبَشَةُ الْمَسْجِدَ يَلْعَبُونَ، قَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: "يَا حُمَيْرَاءُ، أَلَمْجِبِينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ؟" (٣). أي يا بيضاء، تصغير الحمرَاء، وهو تصغير إكرام ورحمة. فالعرب كانت تقول لمن علا لونه البياض أحمر، ومنه قوله ﷺ: "بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ" (٤).

وكانت إلى الطُول أقرب، فقد وصفت صفيّة بالقَصْر، وقالت: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ صَفِيَّةَ أَمْرَأَةٌ - وَقَالَ بِيَدِهِ كَأَنَّهُ يَعْنِي قَصِيرَةً - ، فَقَالَ: لَقَدْ مَزَجَتْ بِكَلِمَةٍ، لَوْ مَزَجَ بِهَا مَاءُ الْبَحْرِ مَزَجَتْ" (٥).

(١) قِطْعَةٌ مِنْ جِيدِ الْحَرِيرِ .

(٢) البخاريّ "صحيح البخاري" (٣م/٦ج/١٣١) كتاب النكاح.

(٣) النسائي "السنن الكبرى" (٨ج/٨١ص/١٨١) رقم (٨٩٠٢) كتاب عشرة النساء، وإسناده صحيح، وقال الحافظ في "الفتح" (٢م/٣٥٥) بعدما عزاه للنسائي: إسناده صحيح، وصحّحه الألباني في "الصحيحه" (٧ج/٧ص/٨١٧) رقم (٣٢٧٧).

(٤) أحمد "المستد" (١١ج/١١ص/٣٩٧) رقم (١٤١٩٨) وإسناده صحيح.

(٥) أحمد "المستد" (١٧ج/١٧ص/٦٢٦) رقم (٢٥٤٣٦) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

وكانت في حدائث سنّها خفيفة خفيفة قليلة اللحم، وكانت النساء عامّة في ذلك العصر خفافاً لم يُثقلهنّ اللحم، حتّى الذين كانوا يحملون هودجها فارغاً يحسبونها فيه، روى البخاري عنها رضي الله عنها، قالت :

" وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي فَاحْتَمَلُوا هُوَ دَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ رَكِبْتُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُثَقِّلْهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا تَأْكُلُ الْعُلُقَةَ (القليل) مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ خِفَةَ الْهُودِجِ حِينَ رَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ " ^(١).

ثمّ لما كبرت بدتُ ورهقتها اللحم، أخرج أحمد بسند صحيح عن هشام عن أبيه عن عائشة، قالت : خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ : تَقَدَّمُوا، فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي : تَعَالَيْ حَتَّى أُسَاقِبَكَ، فَسَاقَبْتُهُ، فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي حَتَّى إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدَنْتُ وَنَسِيتُ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ تَقَدَّمُوا : فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ : تَعَالَيْ حَتَّى أُسَاقِبَكَ، فَسَاقَبْتُهُ، فَسَبَقْتَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ : هَذِهِ بِتِلْكَ " ^(٢).

وكانت عائشة رضي الله عنها وضيئة الوجه، وسيمة، حسنة؛ فمن وصية عمر رضي الله عنه لابنته حفصة، في رواية عبيد الله بن عبد الله، قال لها : " وَلَا يَعْزُبَنَّكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ هِيَ أَوْضَأَ مِنْكَ وَأَحَبَّ إِلَي النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله يُرِيدُ عَائِشَةَ " ^(٣) وفي رواية

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/ج٦/ص٥) كتاب التفسير .

(٢) أحمد "المسند" (ج١٨/ص١٧٧/رقم٢٦١٥٥) .

(٣) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/ج٣/ص١٠٥) كتاب المظالم .

عبيد بن حنبلٍ عند الشَّيخين: " لَا يَغْرُنْكَ هَذِهِ الَّتِي أَعْجَبَهَا حُسْنُهَا حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّاهَا يُرِيدُ عَائِشَةَ " (١). وفي رواية مَعْمَرٍ عند مسلم: " وَلَا يَغْرُنْكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ هِيَ أَوْ سَمٌ وَأَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكَ ، يُرِيدُ عَائِشَةَ " (٢).
 وكانت ﷺ ذَكِيَّةً، قَوِيَّةَ الذاكرة، قَوِيَّةَ الحَافِظَةِ؛ فقد حفظت عن رسول الله ﷺ شيئاً كثيراً، وحملت عنه الحديث الشَّرِيفَ ووعته وأدته عن ظهر قلب لم تُحْرَمَ منه حرفاً.

صداق عائشة ﷺ

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ قَالَ: " سَأَلْتُ عَائِشَةَ رُوحَ النَّبِيِّ ﷺ: كَمْ كَانَ صَدَاقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: كَانَ صَدَاقُهُ لِأَزْوَاجِهِ ثِنْتِي عَشْرَةَ أُوقِيَّةً وَنَشَاءً، قَالَتْ: أَتَدْرِي مَا النَّشُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَتْ: نِصْفُ أُوقِيَّةٍ، فَتِلْكَ حَمْسًا ثَلَاثَةً دِرْهَمٍ، فَهَذَا صَدَاقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَزْوَاجِهِ " (٣). والصَّدَاقُ (المهر) حقٌّ للمرأة في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَتَيْنِ مِثْلَهُ...﴾ (النساء).

قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَائِشَةَ ﷺ لَيْلَتَيْنِ وَلَيْلَةَ لَسَائِرِ نِسَائِهِ

لَمَّا كَبُرَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ سَوْدَةَ ﷺ وَتَقَدَّمَتْ فِي العَمْرِ وَهَبَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ ابْتِغَاءَ سُرُورِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ:

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/٦ج/٦٩ ص) كتاب التفسير.

(٢) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٥م/١٠ج/٩٢ ص) كتاب الطلاق.

(٣) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٥م/٩ج/٢١٥ ص) كتاب النكاح.

" وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا، غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، تَبْتِغِي بِذَلِكَ رِضَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ" (١).
 وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: " مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَكُونَ فِي مَسْلَاحِهَا" (٢) مِنْ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ، مِنْ امْرَأَةٍ فِيهَا حِدَّةٌ" (٣)، قَالَتْ: فَلَمَّا كَبُرْتُ، جَعَلْتُ يَوْمَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِعَائِشَةَ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ جَعَلْتُ يَوْمِي مِنْكَ لِعَائِشَةَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَقْسِمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَيْنِ، يَوْمَهَا وَيَوْمَ سَوْدَةَ" (٤).

حجرتها ﷺ

أسكن المصطفى ﷺ عائشة رضي عنها في حجرة ملاصقة للمسجد النبوي، وكان النبي ﷺ قد بنى حجرات لأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بعد بناء المسجد، وقد جاء ذكر تلك الحجرات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [٤] [الحجرات]، وفي الصَّحِيحِ، قَالَ ﷺ: " مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ لِكَيْ يُصَلِّيْنَ - رَبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ" (٥).
 وكان النبي ﷺ إذا اعتكف يمدُّ رأسه إلى عائشة رضي عنها من المسجد ويُذنيه منها، فتغسله وتسرحه، تقول عائشة رضي عنها: " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصْغِي إِلَيَّ رَأْسَهُ وَهُوَ

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/ج ٣/ص ١٦٥) كتاب الشَّهَادَاتِ.

(٢) المسلاخ: الجلد، ومعناه أن أكون أنا هي، كَأَنَّهَا تَمَنَّتْ أَنْ تَكُونَ فِي مِثْلِ هَدْيِهَا وَطَرِيقَتِهَا.

(٣) قُوَّةُ نَفْسٍ وَصَلَابَةٌ فِي الدِّينِ.

(٤) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٥م/ج ١٠/ص ٤٨) كتاب النِّكَاحِ.

(٥) البخاري "صحيح البخاري" (٤م/ج ٨/ص ٩٠) كتاب الفتن.

مُجَاوِرٌ^(١) فِي الْمَسْجِدِ، فَأَرْجَلُهُ وَأَنَا حَائِضٌ"^(٢). وعند مسلم عنها ﷺ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخْرِجُ إِلَيَّ رَأْسَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَهُوَ مُجَاوِرٌ، فَأَغْسِلُهُ وَأَنَا حَائِضٌ"^(٣).
وقد اسْتَهَلَّتِ السَّمَاءُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعْتَكِفٌ، فَأَمْطَرَتْ حَتَّى سَالَ الطِّينُ وَالْمَاءُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ رَأَى بَعْضَ الصَّحَابَةِ أَثَرَ الطِّينِ فِي أَرْبَابِهِ وَجَبْهَتِهِ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: "مُطِرْنَا لَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ فِي مُصَلَّى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَظَنَرْتُ إِلَيْهِ وَقَدْ انْصَرَفَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَوَجْهُهُ مُبْتَلٌ طِينًا وَمَاءً"^(٤).

ولعلَّ بناء الحجرات كان على نعتِ بناء المسجد من لبن وجريد النخل، وفي "الأدب المفرد" بسند صحيح عن داؤد بن قيس، قال: "رَأَيْتُ الْحُجْرَاتِ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ"^(٥).

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هَلَالٍ بِسند صحيح: "أَنَّه رَأَى حُجْرَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ جَرِيدِ مَسْتَوْرَةٍ بِمُسُوحِ الشَّعْرِ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ بَيْتِ عَائِشَةَ؟ فَقَالَ: كَانَ بَابُهُ مِنْ وَجْهَةِ الشَّامِ. فَقُلْتُ: مِصْرَاعًا كَانَ أَوْ مِصْرَاعَيْنِ؟ قَالَ: كَانَ بَابًا وَاحِدًا. قُلْتُ: مِنْ أَيِّ

(١) أي معتكف.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (١م/٢ج/٢٥٦) كتاب الاعتكاف.

(٣) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٢م/٢ج/٣ ص ٢٠٩) كتاب الحيض.

(٤) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٤م/٤ج/٨ ص ٦٠) كتاب الصيام.

(٥) البخاري "صحيح الأدب المفرد" (ص ١٧٣/رقم ٤٥١).

شَيْءٌ كَانَ؟ قَالَ: مِنْ عَزَعَرٍ أَوْ سَاجٍ" (١).

وكانت الحجرات غير متطاولة في البنيان، أخرج البخاري بسند صحيح عن الحسن البصري، قال: "كنت أدخل بيوت أزواج النبي ﷺ في خلافة عثمان بن عفان، فأتناول سقفاها بيدي" (٢).

وعُرفت حجرتها بمهبط الوحي؛ لأن الوحي هبط على النبي ﷺ فيها غير مرّة. وما زالت حجرتها الشريفة قائمة تحت القبة الخضراء المنيفة تضم خير أهل الأرض ثلاثة.

صفة أثاث حجرتها

كان النبي ﷺ متقللاً متخففاً من أمتعة الدنيا الفانية، وصفت بمهبط الوحي أثاث حجرتها وذكرت أن المصطفى ﷺ كان فراشه من جلدٍ مدبوغٍ حشوه قشر النخل، قالت بمهبط الوحي: "إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه آدمًا حشوه ليف" (٣). وكان المصطفى ﷺ يكره ما زاد على الحاجة من الفراش واللباس، فعن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال له: "فراش للرجل، وفراش لامرأته، والثالث للضيف، والرابع للشيطان" (٤).

وكان من أثاث حجرتها وسائد من جلد حشوها ليف، فعنها بمهبط الوحي: "كان

(١) البخاري "صحيح الأدب المفرد" (ص ٢٩٠ / رقم ٧٧٦).

(٢) البخاري "صحيح الأدب المفرد" (ص ١٧٣ / رقم ٤٥٠).

(٣) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٧م / ج ١٤ / ص ٥٨) كتاب اللباس والزينة.

(٤) المرجع السابق.

وَسَادَةٌ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي يَتَكَبَّرُ عَلَيْهَا مِنْ أَدَمٍ حَشَوَهَا لَيْفٌ" (١).

وكان لها سرير تنام عليه، قالت عائشة رضي الله عنها: "لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي، وَإِنِّي عَلَى السَّرِيرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ مُضْطَجِعَةً، فَتَبَدُّو لِي الْحَاجَّةَ، فَأَكْرَهُ أَنْ أَجْلِسَ، فَأُوذِيَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَنْسَلُ مِنْ عِنْدِ رِجْلَيْهِ" (٢).

ولم يكن في حجرها مصباح تستضيء به، وإنما جلوساً في الظلمة، قالت رضي الله عنها: "كُنْتُ أَنَامُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِجْلَيْ، فِي قِبْلَتِهِ فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَنِي، فَقَبَضْتُ رِجْلِي، فَإِذَا قَامَ بَسَطْتُهَا، قَالَتْ: وَالْيَبُوتُ يَوْمئِذٍ لَيْسَ فِيهَا مَصَابِيحٌ" (٣).
وما كان عندها زيتٌ تسرُّجُ به، ولو كان عندها زيت لجعلته إداماً، قالت رضي الله عنها: "لَوْ كَانَ عِنْدَنَا مِصْبَاحٌ لَأَتَدَمَّنَا بِهِ" (٤).

وكان لها في حجرها رَفٌّ (شِبُهُ الطَّاقِ) تضع فيه ما تريد حفظه من شعير وتمر، تقول عائشة رضي الله عنها: "تُوْفِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَيْدٍ، إِلَّا شَطَّرُ شَعِيرٍ فِي رَفِّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكَلَّمْتُهُ فَفَنِي" (٥).

نِداؤُهُ ﷺ عَلَيْهَا وَتَسْمِيَتُهَا

كان النَّبِيُّ ﷺ يتلطف مع عائشة رضي الله عنها حتى في نداءه لها مما يشعر بمحبته

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٧م/ج١٤/ص٥٩) كتاب اللباس والزينة.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (١م/ج١/ص١٣٠) كتاب الصلاة.

(٣) المرجع السابق.

(٤) أحمد "المستد" (ج١٨/ص٦٣/رقم ٢٥٧٠١).

(٥) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/ج٤/ص٤٥) كتاب فرض الخمس.

الكبيرة لها، فقد ناداها (عائش) على الترخيم، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها،
 قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا: " يَا عَائِشُ، هَذَا جِرِيلٌ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، فَقُلْتُ:
 وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ" (١).

ونادها (يا بنت أبي بكر، يا بنت الصديق)، أخرج أحمد عن عائشة أنها
 قَالَتْ: " يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ
 رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون ٦١] يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ الَّذِي يَسْرِقُ وَيَزِينُ وَيَشْرَبُ
 الْخَمْرَ، وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ، قَالَ: لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي
 يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ، وَهُوَ يَخَافُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ" (٢).

ونادها (يا حميراء) وهو تصغير حمراء لغلبة البياض عليها ويفيد التثقب،
 فعن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: " ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ خُرُوجَ بَعْضِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ،
 فَضَحِكَتْ عَائِشَةُ، فَقَالَ: انظري يا حميراء، ألا تكوني أنت... " (٣).

ونادها (يا موفقة) روى أحمد عن ابن عباس، يقول: سمعت رسول
 الله ﷺ، يقول: " مَنْ كَانَ لَهُ فَرَطَانٍ مِنْ أُمَّتِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا أَبِي،
 فَمَنْ كَانَ لَهُ فَرَطٌ؟ فَقَالَ: وَمَنْ كَانَ لَهُ فَرَطٌ يَا مَوْفِقَةَ، قَالَتْ: فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٤ج/٢١٩) كتاب المناقب. ومسلم "صحيح
 مسلم بشرح النووي" (٨م/١٥ج/٢١٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) أحمد "المسند" (ج١٧/ص٥٥٥/رقم٢٥١٣٩) وحسنه الألباني في "الصحيححة"
 (ج١/ص٣٠٤/رقم١٦٢).

(٣) الحاكم "المستدرک" (ج٣/ص١١٩) كتاب معرفة الصحابة، وقال الحاكم: صحيح على
 شرط الشيخين ولم يخرجاه.

فَرَطٌ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قَالَ: فَأَنَا فَرَطُ أُمَّتِي، لَمْ يُصَابُوا بِمِثْلِي" (١).

والفَرَطُ: الولد الذي مات قَبْلَ والده، وفي الحديث بيانٌ لثَوَابِ مَنْ مات له ولَدٌ، فَاحْتَسَبَهُ، وَصَبَرَ عَلَى فَقْدِهِ، روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ" (٢).

العلامة التي كان يعرف بها النبي ﷺ رضاها وغضبها

كان النَّبِيُّ ﷺ يعلم إن كانت عائشة رضي الله عنها راضيةً عنه أم غضبية، قال لها ذات يوم: " إِنِّي لَا أَعْلَمُ إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِذَا كُنْتُ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكَ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتُ عَلَيَّ غَضَبِي، قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ، قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ" (٣).

ومن فقه الحديث حسن الهجر، فقد كانت رضي الله عنها تتنكبُ ذِكْرَ اسمه ﷺ، فتَهْجُرُ الاسمَ ولا تهجر المسمى، وهذا بسبب الغيرة التي جُبِلَ عليها النساء، ولذلك فقد يحدث بين الزوجين ما يوقع الخلاف، ولكن المرأة العاقلة لا تُعْرِضُ عن زوجها، ولا تسلقه بلسان حاد ولا تتجرأ عليه، وَلَا تَنْسَى الْفَضْلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ. ومن فقه الحديث حُسْنُ الْخُلُقِ، فلم يكن النَّبِيُّ ﷺ يُقَابِلُ غَضَبَهَا بِغَضَبٍ

(١) أحمد "المسند" (ج ٣/ص ٣٤٤/رقم ٣٠٩٨) وإسناده حسن .

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (م ٤/ج ٧/ص ١٧٢) كتاب الرِّقَاق .

(٣) البخاري "صحيح البخاري" (م ٣/ج ٦/ص ١٥٨) كتاب النِّكَاح .

مثله، وإنما كان يأخذها بالرِّفق واللُّطف والمودَّة والرَّحمة، وفي التَّنزيل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم] وهذا من السِّياسة الشَّرعية في الحياة الزَّوجية.

غيرتها

مَا غَارَت عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى امْرَأَةٍ لِلنَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا غَارَتْ عَلَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: "مَا غَرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ لِرَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا غَرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ؛ لِكَثْرَةِ ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِيَّاهَا وَثَنَائِهِ عَلَيْهَا، وَقَدْ أُوجِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُبَشِّرَهَا بِبَيْتِهَا فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ" ^(١) أَي مِنْ لَوْلُوُ مَجُوفٍ. وَلَا غَرَابَةَ أَنْ يُكْتَبَرَ النَّبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ ذِكْرِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ مَوْتِهَا، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ ذَكَرَهُ وَفَاءً وَمُحِبَّةً لَهُ، فَكَيْفَ بِسَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْفِيَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ! وَلِذَلِكَ كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَثِيرًا مَا يَذْكُرُهَا، وَيُسْنِي عَلَيْهَا أَحْسَنَ الثَّنَاءِ، فَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَأْخُذُهَا الْغَيْرَةَ، رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: "اسْتَأْذَنْتُ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ؛ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَالَةَ، قَالَتْ فَعَزْتُ، فَقُلْتُ: مَا تَذَكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمَرَاءِ الشُّدَقَيْنِ" ^(٢)، هَلَكْتَ فِي الدَّهْرِ، فَدَّ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا" ^(٣).

أَي أَنَّ النَّبِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا سَمِعَ صَوْتَ هَالَةَ أُخْتِ خَدِيجَةَ تَسْتَأْذِنُ، تَذَكَّرَ خَدِيجَةَ؛ لَشَبْهِ صَوْتِهَا بِصَوْتِ أُخْتِهَا، فَاهْتَرَّ لِذَلِكَ فَرِحًا، فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا قَالَتْ مَعْبَرَةٌ

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/ج٦/ص١٥٨) كتاب النكاح.

(٢) كناية عن سقوط أسنانها من الكبر، فلم يبق إلا مخرمة اللثة.

(٣) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/ج٤/ص٢٣١) كتاب المناقب.

عن غيرتها، وأمر الغيرة معلوم أنه معفو عنه.

وقد فهم بعض أهل العلم من سكوت النبي ﷺ على مقالة عائشة رضي الله عنها أنها أفضل من خديجة، وهذا فهم محجوج بما رواه أحمد من أن النبي ﷺ غضب لأجل ذلك، وردَّ عليها، وقال لها: " ما أبدلني الله - سبحانك - خيراً منها؛ قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، وآستني بها إذ حرمني الناس، ورزقني الله - سبحانك - ولدها إذ حرمني أولاد النساء" ^(١).

وفي الصحيحين من حديث عائشة قصة طريفة تبين شدة غيرتها رضي الله عنها وفرط محبتها له ﷺ، حتى تمت لو أن عقرباً أو حية تلدعها، قالت: " كان ﷺ إذا خرج أفرع بين نسائه، فطارت الفرعة لعائشة وحفصة، وكان النبي ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث، فقالت حفصة: ألا تركين الليلة بعيري وأركب بعيرك، تنظرين وأنظري؟ فقالت: بلى، فركبت، فجاء النبي ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة، فسلم عليها، ثم سار حتى نزلوا، وافتقدته عائشة، فلما نزلوا جعلت رجلها بين الإذخر ^(٢)، وتقول: يا رب سلط علي عقرباً أو حية تلدعني، ولا أستطيع أن أقول له شيئاً" ^(٣).

ومما وقع لها من الغيرة أنها لما كانت ليلتها ذات مرة، ورجع النبي ﷺ إليها

(١) أحمد "المسند" (ج ١٧/ ص ٤٥٠/ رقم ٢٤٧٤٥) وإسناده حسن.

(٢) نبت طيب الرائحة.

(٣) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/ ج ٦/ ص ١٥٤) كتاب النكاح. ومسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٨م/ ج ١٥/ ص ٢١٠) كتاب فضائل الصحابة.

ليلاً، فوضع رداءه، وخلع نعليه، واضطجع حتى ظنَّ أنَّها قد نامت، فكره أن يوقظها خشية أن تستوحش، فأخذ رداءه وانتعل رويداً لئلاَّ ينبهها، وفتح الباب فخرج، ثمَّ أعلقه رويداً، فظنَّت عائشة رضي عنها أنه قد خرج إلى بعض أمهات المؤمنين في ليلتها، فحملتها الغيرة على أن تلحق به رضي الله عنه.

وكان جبريل عليه السلام قد ناداه وأخبره بأنَّ الله تعالى يأمره أن يأتي أهل البقيع فيستغفر لهم؛ فأتى رضي الله عنه أهل البقيع واستغفر لهم، ثمَّ رجع رضي الله عنه فرجعت عائشة رضي عنها، فأسرع فأسرعت، فهزول فهزولت، فعدا فعادت، فسبقت، واضجعت في فراشها، فدخل رضي الله عنه فرأى ارتفاع نفسها وتواتره، فسألها إن كانت هي الشخص الذي كان أمامه، فأجابته: نعم؛ فجمع كفه رضي الله عنه ودفعها في صدرها، وأخبرها القصَّة، والقصَّة بطولها في صحيح مسلم وغيره.

قالت عائشة رضي عنها: "لما كانت ليأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها عندي، انقلب فوضع رداءه، وخلع نعليه، فوضعها عند رجله، وبسط طرف إزاره على فراشه، فاضطجع، فلم يلبث إلاَّ ريثماً ظنَّ أن قد رقدت، فأخذ رداءه رويداً، وانتعل رويداً، وفتح الباب فخرج، ثمَّ أجافه (أغلقه) رويداً، فجعلت ذرعي في رأسي، واختمرت، وتقنعت إزاري، ثمَّ انطلقت على إثره، حتى جاء البقيع فقام، فأطال القيام، ثمَّ رفع يديه ثلاث مرات، ثمَّ انحرف فانحرفت، فأسرع فأسرعت، فهزول فهزولت، فأحصر فأحصرت، فسبقت فدخلت، فليس إلاَّ أن اضطجعت فدخل، فقال: ما لك؟ يا عائش، حشياً رايبة^(١)، قالت: قلت: لا شيء، قال: لتخبريني أو

(١) أي مالك أخذك النهيُّ وارتفاع وتواتر النفس، والرأبة التي أخذها الربُّ وكذلك الحشياً.

لِيُخْبِرَنِي اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبِرْنِي، قَالَ: فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتِ أَمَامِي؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعْتَنِي، ثُمَّ قَالَ: أَظَنَنْتِ أَنْ يُحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ؟ قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ، نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّ جَبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ، فَنَادَانِي، فَأَخْفَاهُ مِنْكَ، فَأَجَبْتُهُ، فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكَ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكَ وَقَدْ وَضَعْتَ ثِيَابَكَ^(١)، وَظَنَنْتِ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ، فَكْرِهْتِ أَنْ أُوْفِظَكَ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ الْبَيْعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، قَالَتْ: قُلْتُ: كَيْفَ أَقُولُ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ^(٢)؟ قَالَ: قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لِلْآحِقُونَ"^(٣).

ولم تسلم عائشة رضي الله عنها إلى يومنا بمن شغب، وقال: إنَّ عائشة لما قال لها النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "أَظَنَنْتِ أَنْ يُحِيفَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَسُولُهُ؟" قَالَتْ: نعم."

قلنا: عائشة رضي الله عنها أتتقى الله تعالى وأعلم من أن تخاف أن يحيف الله عليها ورسوله! ومن ذهب إلى أن عائشة خشيت من الجور والظلم ليس عنده أثاره من علم، ولا بقیة من فهم؛ فلم يدرس الأحاديث المشكلة طرقها ومخارجها وعللها. والحيْفُ في اللغة: المَيْلُ في الحُكْم، ولَعَلَّ المعنى: أخِفْتِ الميل في الحكم وتبدلته بإسقاط الشرع حقك من ليلتك؟ فقالت: نعم، أي خفت ميل الشرع بأن

(١) لم يكن جبريل عليه السلام يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم بيته إذا وضعت عائشة رضي الله عنها ثيابها.

(٢) حوّلت الكلام، وفيه دلالة ذكاء.

(٣) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٤م/٤ج/٧ص ٤٢) كتاب الكسوف.

يكون أجاز أَخَذَ ليلتي من يدي. وهذا ليس حيفاً، لكن لما كان الحيفُ والميلُ
بمعنى، أُقِيمَ مَقَامَهُ.

أو أُمَّهَا جاءت بكلمة (نعم) تصدَّق نفسها، أي لما قالت للنبي ﷺ: "مَهْمَا
يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ" قالت مصدِّقة نفسها: "نعم". أو أَنَّ كلمة (نعم) من كلام
النبي ﷺ، فقد أخرج أحمد والنسائي والطبراني كلمة (نعم) في سياق حديث
المصطفى ﷺ، ففي المسند "وَقَالَ: أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ عَلَيْكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، قَالَتْ:
مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ، قَالَ: نَعَمْ، فَإِنَّ جِرِيلَ النَّبِيِّ..."^(١) الحديث.

ومن غيرتها، قَالَتْ: "أَفْتَقَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى
بَعْضِ نِسَائِهِ، فَتَحَسَّسْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ، فَإِذَا هُوَ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ
وَبِحَمْدِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنِّي لَفِي شَأْنٍ وَإِنَّكَ لَفِي آخِرٍ"^(٢).
أي لما بحثت عنه في الظلمة ووجدته راكعاً أو ساجداً عجبت من أمر غيرتها.

فضل عائشة ﷺ على سائر النساء

اعلم أن لخديجة وعائشة شأواً في الإسلام لا يُلْحَقُ أبداً، وأُمَّهُمَا مُقَدِّمَاتُ فِي
الفضل على سائر أمهات المؤمنين، وأنَّ سبق خديجة ﷺ وفضلها في أوَّل الإسلام
من المؤازرة والنصرة لم تشرِكها فيه عائشة ﷺ، وقد جاء صريحاً أنَّها خير نساء
زمانها، قَالَ ﷺ: "خَيْرُ نِسَائِهَا مَرِيَمٌ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةٌ"^(٣)^(٤).

(١) أحمد "المسند" (ج ١٨ / ص ٧١ / رقم ٢٥٧٣١) وإسناده صحيح.

(٢) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (م ٢ / ج ٤ / ص ٢٠٣) كتاب الصلاة.

(٣) أي أن مريم أفضل نساء زمانها، كذلك خديجة ﷺ.

(٤) البخاري "صحيح البخاري" (م ٢ / ج ٤ / ص ٢٣٠) كتاب المناقب.

واعلم أن فضل عائشة رضي الله عنها في آخر الإسلام، ونقلها ونشرها للعلم، وروايتها وتوثيقها للسنة، لم تتركها فيه خديجة، فحسبها فضلاً أتمها عقلت منه رضي الله عنه ما لم تعقل غيرها من النساء، وروى عنه رضي الله عنه ما لم يرو مثلهما كثير من الرجال.

وقد فضلت عائشة رضي الله عنها على سائر النساء بمزيد محبته رضي الله عنه لها، قال رضي الله عنه:

" وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ ^(١) عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ " ^(٢).

فالحديث فيه دلالة على زيادة محبة المصطفى رضي الله عنه لعائشة على سائر أمهات المؤمنين؛ فتشبيهه فضل عائشة بفضل الثريد كناية عن مزيد محبته لها، فكما أن الثريد أحب الأطعمة إلى نفوس العرب، كذلك عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه رضي الله عنه.

أحب الناس إلى النبي رضي الله عنه عائشة رضي الله عنها

أخرج الشيخان من رواية عمرو بن العاص أن رسول الله رضي الله عنه بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: " فَأَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: أَبُوهَا، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: عُمَرُ، فَعَدَّ رِجَالًا " ^(٣).

ويظهر أن السؤال كان عن أهله دون سائر النساء من فاطمة رضي الله عنها وغيرها، فقد جاء مقيداً من حديث أنس الذي أخرجه ابن حبان بسند صحيح، قال: " سئِلَ رَسُولُ اللَّهِ رضي الله عنه: مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، قِيلَ لَهُ: لَيْسَ عَنْ

(١) الخبز واللحم.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٤ج/١٣٢) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٣) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/٥ج/١١٣) كتاب المغازي، ومسلم "صحيح مسلم

بشرح النووي" (٨م/١٥ج/١٥٣) كتاب فضائل الصحابة.

أهلك نسألك، قال: فأبوها"^(١). ولعلَّ من جملة أسباب زيادة محبته ﷺ لها ﷺ كثرة حفظها وتبليغها عنه ﷺ.

الامر بمحبة عائشة

كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَعْلَمُونَ حُبَّ النَّبِيِّ ﷺ لِأُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ فَقَدْ صَرَّحَ بِأَنَّهَا أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ. فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَهْدِيَ هَدِيَّةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخْرَجَهَا حَتَّى إِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ أَهْدَى إِلَيْهِ، طَلِبًا لِرَسُولِهِ وَرِضَاهُ، رَوَى الشَّيْخَانُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ هِدَايَاهُمْ يَوْمَ عَائِشَةَ، يَتَّعُونَ بِذَلِكَ مَرَضَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"^(٢).

فحملت الغيرة بعض أزواج النبي ﷺ أن يطلبن منه المساواة في المحبة، وأن يأمر الناس بأن يهدوا له حيث كان. وكلا الأمرين لا يجب على النبي ﷺ، فمحبة القلب لا يملكها النبي ﷺ، أمَّا طلب الهدية فما كان النبي ﷺ أن يطلب ذلك من أصحابه ﷺ؛ لأنه ينافي كماله ﷺ.

فأرسلن فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لعظيم منزلتها عنده ﷺ، فكلَّمته، فقال لها ﷺ: "أَيُّ بِنْتِ أَلْسَتِ تُحِبِّينَ مَا أَحِبُّ؟ فَقَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَأَجِيبِي هَذِهِ" يعني عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. روى الشيخان عن عائشة، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَتْ: "أَرْسَلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ

(١) ابن حبان "التعليقات الحسان" (ج ١٠/ص ١٩٤/رقم ٧٠٦٣) وقال الألباني: صحيح.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/ج ٣/ص ١٣١) كتاب الهبة، ومسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٨م/ج ١٥/ص ٢٠٥) كتاب فضائل الصحابة.

عَلَيْهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَأْذَنْتَ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِيَ فِي مِرْطِي، فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أُرْسَلْنِي إِلَيْكَ يَسْأَلُنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، وَأَنَا سَاكِنَةٌ، قَالَتْ: فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ بِنْتِئَهُ أَكْسَتْ تُحِبُّنَ مَا أَحَبُّ؟ فَقَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَأَحْبِبِّي هَذِهِ.

قَالَتْ: فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرْتَهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ، وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ، فَقُلْنَ لَهَا: مَا نَرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ، فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولِي لَهُ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدُنَاكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ: وَاللَّهِ لَا أَكَلِمُهُ فِيهَا أَبَدًا.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَرْسَلَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْهُنَّ فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ أَرِ امْرَأَةً قَطُّ خَيْرًا فِي الدِّينِ مِنْ زَيْنَبَ، وَأَتَقَى اللَّهَ وَأَصْدَقَ حَدِيثًا، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِدَاءً لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَصَدَّقُ بِهِ، وَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مَا عَدَا سَوْرَةَ^(١) مِنْ حِدَّةٍ كَانَتْ فِيهَا، تُسْرِعُ مِنْهَا الْفَيْئَةَ^(٢)، قَالَتْ: فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ عَائِشَةَ فِي مِرْطِهَا، عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا، فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أُرْسَلْنِي إِلَيْكَ يَسْأَلُنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ، قَالَتْ: ثُمَّ وَقَعْتُ بِي، فَاسْتَطَأْتُ عَلَيَّ، وَأَنَا أَرْقُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ، هَلْ يَأْذُنُ لِي فِيهَا، قَالَتْ

(١) سُورَةُ غَضَبٍ.

(٢) الرَّجُوعُ، تَرِيدُ أَتْمَاءَ سُرْعَانَ مَا تَرْجِعُ وَيَزُولُ عَنْهَا الْغَضَبُ.

: فَلَمْ تَبْرَحْ زَيْنَبُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ، قَالَتْ: فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشِبْهَا حَتَّى أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَبَسَّمَ: إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ^(١). وفي الحديث وَجُوبُ مَحَبَّةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى كُلِّ أَحَدٍ؛ لقوله ﷺ لابنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بصيغة الأمر: "فَأَحْبِبِّي هَذِهِ" أي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

نزول الوحي ﷺ على النبي ﷺ في بيت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا دون سائر نساءه

قال النبي ﷺ: "يَا أُمَّ سَلَمَةَ، لَا تُؤْذِنِي فِي عَائِشَةَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي حِجَابِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرَهَا"^(٢).

رؤية عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للوحي ﷺ على صورة دحية الكلبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

من فضائل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما رواه أحمد بإسناد حسن عن أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَضْعَا يَدَيْهِ عَلَى مَعْرَفَةَ^(٣) فَرَسٍ، وَهُوَ يُكَلِّمُ رَجُلًا، قُلْتُ: رَأَيْتِكَ وَأَضْعَا يَدَيْكَ عَلَى مَعْرَفَةَ فَرَسٍ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ وَأَنْتِ تُكَلِّمُهُ، قَالَ: رَأَيْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: ذَلِكَ جِبْرِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، قَالَتْ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ"^(٤).

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٨م/٨ج/١٥ ص ٢٠٥) كتاب فضائل الصحابة، والبخاري "صحيح البخاري" (٢م/٢ج/٣ ص ١٣٢) كتاب الهبة.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٢ج/٤ ص ٢٢١) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) الموضوع الذي ينبت عليه العرف، وهو الذي في أعلى عنق الفرس ورأسه.

(٤) أحمد "المسند" (ج١٧/٣٣٨ رقم ٢٤٣٤٣) وإسناده حسن، وحسنه الألباني في "الصحيححة" (ج٣/١٠٥ رقم ١١١١).

وانظر كيف لم يواجه عائشة رضي الله عنها بالسلام لأجل زوجها، فمن هذه حالتها، كيف يُصدّق عليها كذب الأفاكين؟!

البرهان بأن جبريل عليه السلام أقرأ عائشة رضي الله عنها السلام

لعائشة رضي الله عنها من الفضائل المشهورة، والمناقب الماثورة التي الكثیر، روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا: " يَا عَائِشُ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرئُكَ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لَا أَرَى، تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم " ^(١).

ومن فقه الحديث أَنَّ مَنْ بَلَغَ إِلَيْهِ سَلَامٌ غَائِبٌ عَنْهُ، عَلَيْهِ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ كَمَا يَرُدُّ عَلَى الْحَاضِرِ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام سَلَّمَ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَرَدَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ. وَمِنْ فِقْهِ الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَرَى مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَهَذَا مِمَّا اخْتَصَّ بِهِ صلى الله عليه وسلم.

جهادها رضي الله عنها

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: " لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، انْهَرَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِهْمًا لِمُسْمَرَتَانِ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهَا تَنْفِرَانِ الْقَرَبَ، وَقَالَ غَيْرُهُ: تَنْفِرَانِ الْقَرَبَ عَلَى مُتُونِهَا، ثُمَّ تَفَرَّغَانِيهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ، ثُمَّ تَرَجَعَانِ فَتَمَلَّأْنِيهَا، ثُمَّ تَحِيَّيَانِ فَتَفَرَّغَانِيهَا فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ " ^(٢).

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/ج٤/ص٢١٩) كتاب المناقب. ومسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٨م/ج١٥/ص٢١٢) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/ج٣/ص٢٢١) كتاب الجهاد.

ويوم الخندق خرجت ﷺ تقفوا آثار الناس، قالت: " فسمعتُ ويدي
الأرضِ ورأيي - يعني حسَّ الأرضِ - قالت: فالتفتُ، فإذا أنا بسعد بنِ معاذٍ ومعه
ابنُ أخيه الحارث بنُ أوسٍ، يحملُ مِنه. قالت: فجلستُ إلى الأرضِ، فمرَّ سعدٌ
وعليه دِرْعٌ من حديدٍ، قد خرجت منها أطرافه، فأنا أخوفُ على أطرافِ سعدٍ.
قالت: وكان سعدٌ من أعظمِ الناسِ وأطولهم. قالت: فمرَّ وهو يرتجزُ، ويقولُ:
لَبَّثُ^(١) قليلاً يُدرِكُ الهيجاَ حملُ^(٢) ما أحسنَ الموتَ إذا حانَ الأجلُ
قالت: ففقتُ، فاقتحمتُ حديقةً، فإذا فيها نفرٌ من المسلمين، وإذا فيهم
عمر بنُ الخطابِ، وفيهم رجلٌ عليه تسبعةٌ^(٣) له - يعني مغفراً - فقال عمرُ: ما جاء
بك؟ لعمرى والله إنك لجريةٌ، وما يؤمنك أن يكونَ بلاءٌ، أو يكونَ محوزٌ^(٤)؟
قالت: فما زال يلومني حتى تمكنتُ أن الأرضِ انشقتُ لي ساعتئذٍ، فدخلتُ
فيها. قالت: فرفعَ الرجلُ التسبعةَ عن وجهه، فإذا طلحة بنُ عبيد الله، فقال: يا
عمرُ، ومحك إنك قد أكثرتَ منذُ اليوم، وأين التَّحوزُ أو الفرارُ إلا إلى الله ﷻ؟"^(٥).

(١) انتظر .

(٢) حمل بنُ سعدانَةَ صحابيٌّ شاعرٌ شهد معَ خالدٍ مشاهدَه كلها، والبيت الذي تمثَّل به سعد له.

(٣) مَيءٌ من حلقِ الدرُوعِ والرَّردِ يعلِّقُ بالحوذَةِ دائراً معها ليستُر الرقبةَ.

(٤) التَّحوزُ: التَّحْيِي.

(٥) أحمد "المسند" (ج ١٧/ ص ٥١٠) وسنده حسن، وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد"، وقال:

رواه أحمدٌ، وفيه محمد بنُ عمرو، وهو حسنُ الحديثِ، وبقيةُ رجاله ثقاتٌ: (ج ٦/ ص ١٣٧)

وحسنه الحافظ في "الفتح" (ج ١١/ ص ٤٣)، والألباني في "الصحيحه" (ج ١/ ص ١٤٤).

سبب كنيته بأم عبد الله

أخرج أحمد بإسناد صحيح عن عبد الله بن الزبير عن عائشة، قالت: أتيت النبي ﷺ بابن الزبير فحنكته بتمررة، وقال: "هذا عبد الله، وأنت أم عبد الله" (١).

وعبد الله بن الزبير أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين، هاجرت به أمه أسماء بنت أبي بكر حملاً، ووضعت بقاء في السنة الأولى من الهجرة.

ومن فقه الحديث مشروعية التكني حتى لو لم يكن ولد، وهذا خلق إسلامي غاب عن كثير من الناس، فأما المؤمن عائشة رضي عنها كان يقال لها أم عبد الله حتى ماتت وما ولدت قط، وعبد الله هو ابن أسماء أخت عائشة، فعائشة خالته.

من نعم الله عليها

تقول عائشة رضي عنها: "إن من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ ثوي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري" (٢)، وأن الله جمع بين ربيقي وربيه عند موته، دخل علي عبد الرحمن ويديه السواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيتُه ينظر إليهِ وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته، فاشتد عليه، وقلت: أليته لك، فأشار برأسه أن نعم، فليته، فأمره وبين يديه ركوة (٣) أو علبه، فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه، يقول: لا إله إلا الله، إن

(١) أحمد "المسند" (ج ١٧/ ص ٣٨٥/ رقم ٢٤٥٠٠)، وأخرجه ابن حبان وصححه الألباني في "التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان" (م ١/ ص ٢٠١/ رقم ٧٠٧٣).

(٢) السحر: الرثة، والنحر: موضع القلادة من الصدر. والمراد أنه مات رضي عنها ورأسه الشريف بين حنكها وصدرها رضي عنها.

(٣) الركوة: إناء للماء من جلد. والعلبة من الخشب.

لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ : فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى . حَتَّى قُبِضَ،
وَمَالَتْ يَدُهُ ^(١) .

القدر الذي مكثت فيه عائشة رضي الله عنها عند النبي صلى الله عليه وسلم

أخرج البخاري عن عُرْوَةَ : " تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ سِتِّ
سِنِينَ، وَبَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ، وَمَكَّثَتْ عِنْدَهُ تِسْعًا ^(٢) . أَي أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم مَاتَ
عِنهَا رضي الله عنها وَلَهَا نَحْوُ ثَمَانِيَةِ عَشْرَ عَامًا، وَقَدْ عَاشَتْ بَعْدَهُ قَرَابَةَ خَمْسِينَ عَامًا .

عبادتها رضي الله عنها وخوفها من الله تعالى

عاشت عائشة رضي الله عنها في بيت النبوة، ورأت النبي صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تنفطر
قدماه، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَكَانَتْ رضي الله عنها تقوم الليل، وتداوم
على قيامه، ولذلك تراها توصي عبد الله بن أبي قيس، وتقول له : " لَا تَدْعُ قِيَامَ
اللَّيْلِ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ لَا يَدْعُهُ، وَكَانَ إِذَا مَرِضَ أَوْ كَسَلَ صَلَّى قَاعِدًا ^(٣) .
وكانت رضي الله عنها إذا صلَّت الصُّحَى أطالت، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُوسَى:
"أَرْسَلَنِي مُدْرِكُ، إِلَى عَائِشَةَ أَسْأَلُهَا عَنْ أَشْيَاءَ، قَالَ: فَأَتَيْتُهَا، فَإِذَا هِيَ تُصَلِّي الصُّحَى
فَقُلْتُ: أَفْعُدُ حَتَّى تَنْفُرَ، فَقَالُوا: هَيْهَاتَ ^(٤) .

وعن مسروق، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى عَائِشَةَ: ﴿فَمَنْ أَلَّهْ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/ج٥/ص١٤١) كتاب المغازي .

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/ج٦/ص١٣٩) كتاب النكاح .

(٣) أحمد "المستند" (ج١٨/ص١٣٨/رقم٢٥٩٩٢) وإسناده صحيح .

(٤) أحمد "المستند" (ج١٧/ص٤٧٠/رقم٢٤٨٢٦) وإسناده صحيح .

السَّمُومِ ﴿٧﴾ [الطُّور]، فَبَكَتْ، وَقَالَتْ: "رَبِّ مَنْ، وَقِنِّي عَذَابَ السَّمُومِ" (١).

فصاحتها ﷺ

كانت ﷺ فصيحة اللسان عالية البيان، إذا خطبت ملكت على الناس مسامعهم، قال موسى بن طلحة: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَفْصَحَ مِنْ عَائِشَةَ" (٢). ولا ريب أنَّ الفصاحة والبيان من أجل ما يتحلَّى به الإنسان، لَمَّا تُوفِّي الصِّدِّيقُ ﷺ ودفن بجوار النَّبِيِّ ﷺ وَقَفَتْ عَائِشَةُ ﷺ عَلَى قَبْرِهِ، وراحت ترسل كلاماً على سجيته، ليس من السَّهْلِ أَنْ تَبْلُغَ بِلَاغَتِهِ، قَالَتْ: "نَضَّرَ اللَّهُ وَجْهَكَ يَا أَبَتِ، وَشَكَرَ لَكَ صَالِحَ سَعِيكَ، فَلَقَدْ كُنْتُ لِلدُّنْيَا مُدْبِلًا بِإِدْبَارِكَ عَنْهَا، وَلِلْآخِرَةِ مُعِزًّا بِإِقْبَالِكَ عَلَيْهَا، وَلَئِنْ كَانَ أَجَلُ الْحَوَادِثِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَزُوكَ وَأَعْظَمَ الْمَصَائِبِ بَعْدَهُ، فَقَدْ كَانَ كِتَابُ اللَّهِ لِيَعِدُّ بِحُسْنِ الصَّبْرِ عَنْكَ حُسْنَ الْعَوَاضِ مِنْكَ، وَأَنَا أَسْتَنْجِزُ مَوْعُودَ اللَّهِ فِيكَ بِالصَّبْرِ، وَأَسْتَقْضِيهِ بِالِاسْتِغْفَارِ لَكَ، أَمَا لَئِنْ كَانُوا قَامُوا بِأَمْرِ الدُّنْيَا فَلَقَدْ قُتِمَتْ بِأَمْرِ الدِّينِ لَمَّا وَهَى شُعْبَةُ، وَتَفَاقَمَ صَدْعُهُ، وَرَجَفَتْ جَوَانِبُهُ؛ فَعَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ تَوَدِّعَ غَيْرِ قَالِيَةِ حَيَاتِكَ، وَلَا زَارِيَةَ عَلَى الْقَضَاءِ فِيكَ!" (٣).

وفاتها والصلاة عليها ودفنها

كَانَتْ وَفَاتَهَا فِي عَهْدِ مَعَاوِيَةَ ﷺ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي رَمَضَانَ لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ لِسَبْعِ عَشْرَةِ خَلَّتْ مِنْهُ عِنْدَ الْأَكْثَرِينَ، وَصَلَّى عَلَيْهَا أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ،

(١) ابن أبي الدنيا "الزُّرَّةُ والبكاء" (ص ٩٢).

(٢) الترمذي "سنن الترمذي" (ج ٥/ص ٧٠٥) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

(٣) أبو إسحاق "زهر الآداب" (ج ١/ص ٧١) وابن قتيبة "عيون الأخبار" (ج ٢/ص ٣٣٨).

وكانت عليها قد أوصت عبد الله بن الزبير عليه أن تُدفنَ مع صواحبها أمّهات المؤمنين في البقيع مدفن أهل المدينة، وقالت له: " اذفني مع صواحيبي، ولا تدفني مع النبي ﷺ في البيت، فإني أكرهه أن أركبني " (١).

وفي الصحيح عن هشام، عن أبيه، أن عمر أرسل إلى عائشة: " ائذني لي أن أدفن مع صاحيبي، فقالت: إبي والله، قال: وكان الرجل إذا أرسل إليها من الصحابة، قالت: لا والله، لا أوثرهم بأحد أبداً " (٢).

من حقوق النبي الأمين ﷺ توقيير أمهات المؤمنين

أوجب الله تعالى تعظيم الفاضل في الدنيا على المفضول، مثل تفضيل النبي ﷺ على سائر النبيين، وسائر الصحابة على سائر التابعين ... فإذا تقرّر ذلك، فإننا لا نرى أوجب بعد تعظيمه ﷺ من تعظيم زوجاته، اللواتي أكرمهن الله بصحبة رسوله، وجعلهن أمهات للمؤمنين: ﴿ وَأَرْوَجُهُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ... ﴾ (٦) [الأحزاب] فأوجب لهن حق الأمومة على كل مؤمن، ولا يخفى ما للأمام من عظيم حق، فكيف بأمهات المؤمنين المخاطبات بقوله سبحانه: ﴿ يَنْسَأَنَّ النَّبِيَّ لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ ... ﴾ (٣) [الأحزاب] ! والمحسنات اللواتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١١) [الأحزاب].

(١) البخاري " صحيح البخاري " (م ٤/ج ٨/ص ١٥٣) كتاب الاعتصام.

(٢) المرجع السابق.

القسم الثاني حديث الإفك

أذى المنافقين لسيد المرسلين ﷺ في عائشة أم المؤمنين ﷺ

ما انفك المنافقون يؤذون النبي ﷺ حتى آذوه في أحب الناس إليه، فقد حاكوا حديث الإفك في الذين آمنوا، وأذاعوه وأشاعوه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التور].

فنزّل بالنبي ﷺ وعائشة رضي الله عنها من الهمّ ما الله به عليم، حيث تأخر نزول الوحي ببراءتها شهراً.

لقد كانت هذه الحادثة درساً لأهل الإيمان على مرّ الزّمان، فما من بلاء يصاب به الإنسان إلا وأصاب النبي ﷺ مثله أو أشدّ منه.

وهذا الحديث تداولته كتب الحديث والتاريخ والسّير وغيرها، وتناقله الرّواة وأهل الأخبار والآثار، ولكن ليس كلّ ما نُقل صحيحاً، فهناك الصّحيح والضعيف، والطّيب والخبيث، وهناك أقلام ما زالت تتحامل، وتُسقيم الصّحيح، وتبرئ السّقيم.

ما أشدّ ضرر المنافقين على المؤمنين! فالنفاق مضاد للإيمان، قال تعالى:

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ... ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة]. وقال تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ... ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة].

أربعة وردت براءتهم في القرآن الكريم

بَرَّ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ نَبِيِّنَ وَصَدِيقَتَيْنِ، أَمَّا النَّبِيُّانُ فَهِيَ : مُوسَى وَيُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَأَمَّا الصَّدِيقَتَانِ فَهِيَ : مَرْيَمُ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا .

فَقَدْ آذَى مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَاتَّهَمُوهُ بِعَيْبٍ فِي جِلْدِهِ، وَنَسَبُوهُ إِلَى نَقْصٍ فِي خِلْقَتِهِ، ذَلِكَ أَنَّ مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ مِنْ شِدَّةِ حَيَاتِهِ لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ، فَأَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُبْرِئَهُ مِمَّا قَالُوا، فَخَرَجَ مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذَاتَ يَوْمٍ يَغْتَسِلُ فِي خَلْوَةٍ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى حَجَرٍ، فَلَمَّا فَرَّغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، فَعَدَا الْحَجَرَ بِثُوبِهِ وَمَضَى مُسْرِعًا، فَأَخَذَ مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَصَاهُ فِي أَثَرِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: تَوْبِي يَا حَجْرُ، تَوْبِي يَا حَجْرُ، وَاسْتَمَرَ يَتَّبِعُ الْحَجَرَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانَ فِيهِمْ مَنْ قَالَ فِيهِ مَا قَالَ، فَرَأَوْهُ عَلَى أَكْمَلِ خَلْقٍ، فَبَرَّاهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا، فَأَخَذَ مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثُوبَهُ، فَلَبَسَهُ، وَطَفِقَ يَضْرِبُ الْحَجَرَ بِعَصَاهُ.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:
" إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِيرًا، لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتَحْيَاءً مِنْهُ، فَأَذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسْتُرُ إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ، إِمَّا بَرَصٌ، وَإِمَّا أَدْرَةٌ، وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يُبْرِئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى، فَخَلَا يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الْحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَّغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الْحَجَرَ عَدَا بِثُوبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الْحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: تَوْبِي حَجْرُ، تَوْبِي حَجْرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ، وَأَبْرَاهُ مِمَّا يَقُولُونَ، وَقَامَ الْحَجَرُ فَأَخَذَ ثُوبَهُ فَلَبَسَهُ وَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا بِعَصَاهُ، فَوَاللهَ إِنَّ بِالْحَجَرِ لِنَدَبًا مِنْ أَثَرِ ضَرْبِهِ ثَلَاثًا، أَوْ أَرْبَعًا، أَوْ خَمْسًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكَوْنُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ ﴿٦٦﴾ [الأحزاب] (١).

ويؤخذ من الحديث أن الأنبياء أكمل الناس خلقاً وخلقاً، وأشدهم حياة من الله تعالى، وأن الأنبياء صبروا على من آذاهم، فجعل الله العاقبة لهم، وأن علينا أن نصبر كما صبر الأنبياء عليهم السلام، لتكون لنا حسن العاقبة.

أمَّا يوسف عليه السلام فقد اتهمته امرأة العزيز بأنه أراد بها سوءاً، فبرأه الله تعالى مما رمته به من الإفك على لسان الشاهد وغيره (٢)، قال تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ [يوسف] وفي نهاية الأمر اعترفت امرأة العزيز ببراءة يوسف عليه السلام: ﴿قَالَتْ أَمَرْتُ الْعَزِيزَ الْفٰنَ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ ﴿٥١﴾ [يوسف].

أمَّا مريم - عليها السلام - فقد اتهمها قومها لما جاءتهم تحمّل ابنتها دون أب: ﴿قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ ﴿٢٧﴾ يَتَّخِذَ هٰذِرُونَ مَا كَانَ أَبُوٰكَ أَمْرًا سَوِيًّا

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٤ج/١٢٩) كتاب أحاديث الأنبياء .

(٢) انظر كتابنا "غرر البيان من سورة يوسف عليه السلام في القرآن" دراسة قصصية ولسات بيانية .

وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ [مريم] وهذا الثناء منهم على أبيها فيه تعريض بها يقتضي ذمها، فقد قالوا عليها ما قالوا من الإفك والبهتان، قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء] حتى برأها الله تعالى مما قالوا على لسان ابنها عيسى عليه السلام، فقد أنطقه الله تعالى وهو في المهد: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهَدِ صَبِيًّا ﴿٢١﴾﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٢٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٢١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٢٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٢٣﴾﴾ [مريم].

أما عائشة رضي الله عنها فقد خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج إلى سفرٍ أقرع بين نسائه، فأصاب عائشة رضي الله عنها القرعة في غزوة بني المصطلق، وهي غزوة المريسيع، وكانت في شعبان سنة خمس من الهجرة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد بلغه أن بني المصطلق يجمعون له، فخرج إليهم بالجيش حتى لقيهم على ماء من مياههم يُقال له المريسيع، فهزمهم الله ونصره عليهم. فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من غزوته، وقفل راجعاً، واقترب من المدينة، نزل منزلاً فبات به بعض الليل، ثم أذن بالرحيل، فمشت عائشة رضي الله عنها حتى جاوزت الجيش، فلما قضت من شأنها، رجعت إلى مكان رحلها، فلمست صدرها فإذا عقدها قد انقطع وانسل من عنقها، وهي لا تدري، فرجعت عودها على بدئها إلى المكان الأول، فالتمت عقدها، فحبسها ابتغاؤه، وكان عقدها من خرز ظفار، وهي قرية في اليمن.

فجاء الرَّهْطُ الَّذِينَ يُرْحَلُونَ، فوضعوا رِجْلَهَا على البعير، وحملوا هَوْدَجَهَا فوقه، وهم يظنونها فيه، ولم يستنكروا ثقل الهودج حين رفعوه لخفة بدنها ﷺ، ولحسن أدبهم؛ فلم ينظروا داخله، ولم يتكلموا بكلمة، بحيث أُنْهَى لم تكن في الهودج، وهم يحسبونها فيه .

وَعُدُّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ جَارِيَةَ حَدِيثَةِ السَّنَنِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا بَعْدَ الْهَجْرَةِ فِي شَوَّالٍ، وَغَزْوَةِ الْمُرَيْسِيعِ عَلَى الرَّاجِحِ أَنَّهَا كَانَتْ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ مِنَ الْهَجْرَةِ، فَتَكُونُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمْ تَكْمَلْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً.

ولذلك نراها حريصة على عقدها، وهو من خرز لا من ذهب ولا جوهر، حتى استقلت بالتفتيش عليه، ولم تُعلم أهلها لیتظروها إن أرادوا الرحيل، ولم تستصحب معها غيرها، ولم تتفطن لعواقب الأمور، وهذا لصغر سنِّها، ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أُمُورًا كَانَتْ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الأنفال].

فذهب الجيش، ووجدت عقدها بعدما استمرَّ الجيش ماضياً، ورجعت إلى منازل (أماكن) القوم، وقصدت مكانها الذي كانت فيه، فلم تجد أحداً، وظنَّت أنَّهم سيفطنون لها، فيرجعون إليها، ويعودون إلى مكانها الذي تركوها فيه، فجلست في مكانها حتى غلبها النوم من الغم. وكان صفوان بن المعطل رضي الله عنه (١)

(١) صفوان بن المعطل السُّلَمِيُّ، المَذْكُورُ بِالْبَرَاءَةِ مِنَ الْإِفْكِ، كَانَ صَحَابِيًّا جَلِيلًا فَاضِلًا، وَفِي الصَّحِيحِينَ وَغَيْرِهِمَا، قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ: " مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا "، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: " قُتِلَ شَهِيدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ " وَاحْتَلَفَ فِي زَمَنِ اسْتِشْهَادِهِ، انظُرْ تَرْجُمَتَهُ فِي " الْإِصَابَةِ " لِابْنِ حَجْرٍ (٢م/ج ٣/ص ٢٥٠/رقم ٤٠٨٤).

يسير في ساقّة الجيش، أي من وراء الجيش، فيقوم للصلاة، ثمّ يتبعهم، فمن سَقَطَ له شيء رَدَّهُ إليه.

وكان صفوان رضي الله عنه قد تأخّر حتّى قرب الصُّبح، فركب بعيره لعلّه يرى شيئاً، فمَرَّ فرأى شخصاً إنسانٍ نائم، ففَرَّبَ فإذا هو بأُمّ المؤمنين رضي الله عنها، فعرفها لأنّه كان يراها قبل نزول آية الحجاب، فقال رافعاً صوته: "إنا لله وإنا إليه راجعون"، فأيقظها باسترجاعه، ولم يكلمها بكلمة البتّة؛ صيانة لها وإعظاماً وإجلالاً، وحسن أدب منه، وفطنة وورعاً.

فَسَرَّتْ وَجْهَهَا عنه بجلبابها، فأناخ بعيره بغير كلام ولا سؤال، فركبته، ومشى قدّامها حتّى أدركا الجيش أوّل الظهرية.

وهناك قال في صفوان رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها أهل الإفك والكذب ما قالوا، فهلك من هلك في شأنها رضي الله عنها بقول البهتان، وعصم من عصم بالورع والتقوى. وكان الذي تولى الإفك والكذب عبد الله بن أبي ابن سلول^(١)، رئيس المنافقين؛ عداوة للإسلام ونبي الإسلام، فهو البادئ بهذه الفرية، وهو الذي اختلقها، وهو من أشاع في المدينة ما أشاع من الكذب.

وانتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وإلى أبي عائشة رضي الله عنها. وكانت عائشة رضي الله عنها حين قدّمت المدينة مرّضت شهراً، وهي لا تشعر بشيء، ولا يذكر لها شيئاً، ولكن كان يريبها أنّها لم تكن تجد منه صلى الله عليه وآله الرفق الذي كانت تجده إذا اشتكت.

(١) أبي أبوه، وسلول اسم أمّه، فنسب إلى أبويه كليهما، ووصف بهما.

فلَمَّا أَفَاقَتْ مِنْ مَرَضِهَا خَرَجَتْ مَعَ أُمِّ مِسْطَحٍ (سَلِمَى بِنْتُ أَبِي رَهْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)،
وَذَلِكَ لِقِضَاءِ الْحَاجَةِ، وَبَعْدَ الْفِرَاقِ مِنْ شَأْنِهَا أَقْبَلَتْ وَأُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ بَيْتِهَا، فَعَثَرَتْ
أُمَّ مِسْطَحٍ فِي ثَوْبِهَا، فَقَالَتْ: "تَعَسَ مِسْطَحٌ!".

ومسطح بن أئانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو ابنها، وكان فقيراً ينفق عليه أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو من
المهاجرين الأولين، وشهد بدرًا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنَّهُ مَن تَكَلَّمَ. فانتهرتها عائشة
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وقالت لها: "أَتَسْبِيَنَّ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟!".

وفي ذَبِّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ودفاعها عن مِسْطَحٍ فضيلةٌ ظاهرة لأهلِ بَدْرٍ؛
فليحذر الَّذِينَ يتكلمون عليه لزلَّةِ بَدَثٍ، فَإِنَّهَا قَدْ عُفِرَتْ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قال لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَضْرِبَ عُنُقَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ مَن شَهِدَ
بَدْرًا، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يا عمر، وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ:
اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجِبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ" ^(١) وفي رواية قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ
بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ
عَفَرْتُ لَكُمْ" ^(٢)، فالذُّنُوبُ إِنْ وَقَعَتْ مِنْهُمْ تَكُونُ مَقْرُونَةً بِالْمَغْفِرَةِ.

والحاصل أن أُمَّ مِسْطَحٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ،
فازدادت مَرَضًا عَلَى مَرَضِهَا، فَلَمَّا رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا وَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
وَسَلَّمَ عَلَيْهَا، اسْتَأْذَنْتُ أَنْ تَأْتِيَ أَبُوبِهَا، وَكَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَسْتَيِّقَنَّ الْخَبْرَ مِنْهَا، فَأَذِنَ
لِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٤م/٧ج/١٣٤) كتاب الاستئذان .

(٢) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٨م/١٦ج/٥٦) كتاب فضائل الصحابة.

حديث الإفك

وحدث الإفك هذا في الصحيحين وغيرهما، روى البخاري عن عروة،
عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، قالت:

" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُخْرَجَ أَفْرَعَ بَيْنَ أَرْوَاجِهِ، فَأَيْتَهُنَّ خَرَجَ
سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ:

فَأَفْرَعُ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
بَعْدَمَا نَزَلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَعَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ، أَدْنَى لَيْلَةٍ بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ
حِينَ آدَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى
رَحْلِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزَعٍ ظَفَارٍ ^(١) قَدْ انْقَطَعَ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي، وَحَبَسَنِي
ابْتِغَاؤُهُ.

وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يِرْحَلُونَ لِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي، فَرَحَلُوهُ عَلَى
بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ رَكِبْتُ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِيفًا لَمْ
يُثْقِلُنَّ اللَّحْمَ، إِنَّمَا تَأْكُلُ الْعُلُقَةَ (القليل) مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ خِيفَةَ
الهُودَجِ حِينَ رَفَعُوهُ؛ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ
عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ، وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مَجِيبٌ، فَامْتَمْتُ مَنَزِلِي
الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي، فَيَرِجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنَزِلِي
عَلَبْتَنِي عَيْنِي، فَنِمْتُ .

(١) جَزَعٌ : حَرَزٌ فِي سِوَاةِ بِيَاضٍ، وَظَفَارٌ : مَدِينَةٌ بِالْيَمَنِ.

وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيِّ ثُمَّ الدُّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ، فَأَذْلَجَ،
فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَيْتُهُ، وَكَانَ يَرَانِي
قَبْلَ الْحِجَابِ، فَاسْتَيْقِظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ (١) حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِحِلْبَابِي،
وَاللَّهِ مَا كَلَّمَنِي كَلِمَةً، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ،
فَوَطِئَ عَلَى يَدَيْهَا، فَكَرَبْتُهَا، فَأَنْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا
مُؤْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ (٢)، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِبْنِ سَلُولٍ .

فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاسْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ
أَصْحَابِ الْإِفْكِ لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيئِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ، فَيَسَلُّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: كَيْفَ تَيْكُمُ؟ ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَذَلِكَ الَّذِي يَرِيئِي. وَلَا أَشْعُرُ
بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَفَقْتُ، فَخَرَجْتُ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ (٣) وَهُوَ
مُتَبَرِّزُنَا، وَكُنَّا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ قَرِيبًا مِنْ
بُيُوتِنَا، وَأَمَرْنَا أَمْرَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي التَّبَرُّزِ قَبْلَ الْغَائِطِ، فَكُنَّا نَتَّأَذَى بِالْكُنْفِ أَنْ
نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا.

فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ، وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهْمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ

(١) أي بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٢) أي فهلك في شأنها من هلك بقول البهتان .

(٣) مواضع خارج المدينة تخرج إليها النساء ليلاً لقضاء الحاجة.

صَحْرُ بْنُ عَامِرٍ خَالَهٗ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، وَابْنُهَا مِسْطَحٌ بْنُ أُمِّانَةَ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا
وَأُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ بَيْتِي، قَدْ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرْتُ أُمَّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطَهِهَا^(١)، فَقَالَتْ :
تَعَسَ مِسْطَحٌ ! فَقُلْتُ لَهَا : بِئْسَ مَا قُلْتَ، أَنْتَسِبِينَ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟! قَالَتْ : أَيُّ
هَتَّاهُ^(٢)، أَوْلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قَالَتْ : قُلْتُ : وَمَا قَالَ؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ،
فَارْذَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي. فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - تَعْنِي
سَلَمٌ - ثُمَّ قَالَ : كَيْفَ تَيْكُمُ^(٣)؟ فَقُلْتُ : أَتَأْذُنِي لِأَنْ آتِيَ أَبِي أَبِي؟ قَالَتْ : وَأَنَا حِينِيذٍ
أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْفِنَ الْخُبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، قَالَتْ : فَأَذِنِي لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَجِئْتُ أَبِي^(٤).

موقف أم رومان رضي الله عنها من الإفك

لَمَّا جَاءَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها أَبِيهَا سَأَلَتْ أُمَّهَا، وَقَالَتْ لَهَا : " يَا أُمَّتَاهُ، مَا
يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ : يَا بُنَيَّةُ، هُوَ نِي عَلَيْكَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ وَضِيئَةً
عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَهَلَا صَرَائِرٌ إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا. قَالَتْ : فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ^(٥) ! وَلَقَدْ
تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا! "

(١) المرط : الكساء من الصوف أو الكتان .

(٢) أي يا هذه .

(٣) اسم إشارة للمؤنث .

(٤) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/ج٦/ص٥) كتاب التفسير . ومسلم "صحيح مسلم
بشرح النووي" (٩م/ج١٧/ص١٠٢) كتاب التوبة .

(٥) تنزه الله تعالى أن يقع لأهل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي تدينس، ولهذا قالت : "سُبْحَانَ اللَّهِ!" على
سبيل التنزيه والاستغاثة بجناب الله تعالى والتعجب من قول الناس ذلك مع براءتها المحققة
عندها .

قَالَتْ : فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرِقَا (لا ينقطع) لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ حَتَّى أَصْبَحْتُ أَبِي" (١).

وفي كلام أمها دلالة ذكاءٍ وفتنة، فقد أرادت أن تهونَ عليها الأمرَ الجللَ بإعلامها بأنّها لم تنفرد عن نساء العالمين بهذا الأذى، فقلّما أحبَّ رجلٌ امرأةً حسنةً في خلقتها وخُلُقها إلا قالوا لها ما يثيبنها، تذكّرها لها حتى لا تستهول نزول البلاء.

ولم تقصد بالضرائر زوجات النبي ﷺ حاشا لله أن تلمّ بذلك، فالاستثناء في قولها "إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا" استثناء متصل، فقد أرادت أن هذا شأن الضرائر، فلم تقصد أمّهات المؤمنين، لأنّها لم تذكر قصّة عائشة رضي الله عنها أصلاً، وأمّهات المؤمنين لم يقع منهنّ في حقّ عائشة رضي الله عنها شيءٌ ممّا يقع من الضرائر البتّة، وإنّما أشارت إلى ما وقع من حمّة بنت جحش رضي الله عنها (٢)، وهي من أتباعهنّ، فهي أختُ أمّ المؤمنين زينب، وعائشة رضي الله عنها ضرةٌ أختها زينب بنت جحش رضي الله عنها.

وكانت حمّة رضي الله عنها حدّثت فيمن حدّث، وكأنّها أرادت أن ترفعَ من شأن أختها زينب رضي الله عنها، فهي التي كانت تُسامي عائشة رضي الله عنها من أمّهات المؤمنين في المنزلة عند رسول الله ﷺ.

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/٦ج/٧ص) كتاب التفسير.

(٢) حمّة بنت جحش رضي الله عنها، صحابيّة فاضلة، كانت زوج مصعب بن عمير، قُتِلَ عنها يوم أحد، فتزوَّجها طلحة بن عبيد الله، فولدت له محمّداً وعمران، فهي أمّ محمّد بن طلحة، المعروف بالسّجاد، بايعت، وشهدت أحداً، وكانت تسقي العطشى، وتداوي الجرحى من ذويها، ترجم لها ابن حجر في "الإصابة" (٤م/٨ج/٥٣ص) كتاب النساء.

موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه

لم يؤثر حديث الإفك في أمّ رومان رضي الله عنها مثل ما أثر في عائشة رضي الله عنها، فأنست عائشة رضي الله عنها من أمها قوة عقيدة وعظيم ثقة بالله تعالى أن هذه الشدة بعد أن اشتدت سيعقبها الفرج، فسألتها عائشة رضي الله عنها إن كان أبوها وزوجها قد علما بذلك، فأخبرتها أمها قد علما الحديث، فطفرت من عينيها الدموع رضي الله عنها.

وكان أبوها أبو بكر رضي الله عنه فوق البيت يقرأ، فسمع صوتها، فنزل وسأل أمّ رومان عن شأنها، فأخبرته أنها علمت الحديث، ففاض الدمع من عينيها رضي الله عنها، وأقسم عليها أن ترجع إلى بيتها.

ففي رواية هشام بن عروة تقول عائشة عن أمها: " وَإِذَا هُوَ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهَا مَا بَلَغَ مِنِّي، قُلْتُ: وَقَدْ عَلِمَ بِهِ أَبِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَتْ: نَعَمْ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَاسْتَعْبَرْتُ، وَبَكَيْتُ، فَسَمِعَ أَبُو بَكْرٍ صَوْتِي، وَهُوَ فَوْقَ الْبَيْتِ يَقْرَأُ، فَتَنَزَلَ، فَقَالَ لِأُمِّي: مَا سَأَلْتَهَا؟ قَالَتْ: بَلَغَهَا الَّذِي ذَكَرَ مِنْ شَأْنِهَا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، قَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ أَيُّ بَيْتَةٍ إِلَّا رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِكَ، فَرَجَعْتُ" (١).

وبكاء عائشة رضي الله عنها وأبيها رضي الله عنه حرقه؛ فما قيل لهم هذا في الجاهلية، فكيف وقد أعزهم الله بالإسلام! وهذا البلاء يؤثر فينا، فكيف بمن تجرعه صابراً محتسباً.

موقف أمهات المؤمنين رضي الله عنهن

لم تُثقل عن أمهات المؤمنين مع تعاضم الحال في حديث الإفك كلمة شرّاً ولا أصغر منها ولا أكبر. ما نُقل إلا تزكية عائشة، وقول: " لا نعلم إلا خيراً"،

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/٦ج/١٢ ص) كتاب التفسير.

فهذا يجزئ في حق من سبقت عدالتها، والصحابة كلهم عدول لا يحتاج أحدهم بعد تعديل الله لهم المطلع على بواطنهم وسرائرهم إلى تعديل أحد من الخلق له.

قالت عائشة رضي الله عنها: "وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: يَا زَيْنَبُ، مَاذَا عَلِمْتِ، أَوْ رَأَيْتِ؟ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي، مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِنِي مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ، وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ تُحَارِبُ لَهَا؛ فَهَلَكْتَ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْإِفْكِ" ^(١).

ويفهم من الرواية أن الورع منع زينب رضي الله عنها من الوقوع في عائشة رضي الله عنها كما منع بقیة أمهات المؤمنین رضي الله عنهن، وإنما اختصت زينب رضي الله عنها بالذكر لأنها كانت تضاهي وتعاذل عائشة رضي الله عنها بالخطوة وعلو المنزلة عند رسول الله ﷺ.

موقف أسامة بن زيد رضي الله عنه

ولما طال مكث نزول الوحي، دعا رسول الله ﷺ علياً وأسامه رضي الله عنهما يستشيرهما في فراق عائشة رضي الله عنها، وخصهما بالمشورة - فيما يتعلق بأهله - لمزيد اطلاعهما على أحواله، وعظيم محبته ﷺ لهما وقربهما منه، فإن علياً تربى في كنف النبي ﷺ، وأسامة بن زيد بن الحارثة، هو الحبُّ ابن الحبِّ، مولى رسول الله ﷺ، أمه أم أيمن حاضنة الرسول ﷺ.

فأما أسامة رضي الله عنه فأشار على رسول الله ﷺ بالبراءة لأهله، وأنه لا يعلم إلا خيراً، تقول عائشة رضي الله عنها: "فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٣/٦ ج ٦/ ص ٩) كتاب التفسير .

عنده حين استلبت الوحي يستامرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد، فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم هم في نفسه من الود، فقال: يا رسول الله، أهلك^(١) ولا تعلم إلا خيراً^(٢).

موقف علي بن أبي طالب

وأما علي ﷺ فأشار على رسول الله ﷺ أن يسأل الجارية بريرة تصدقه، وقد كان متيقناً أن بريرة متحقة من براءتها، ولذلك أحاله عليها، تقول عائشة: "وأما علي بن أبي طالب، فقال: يا رسول الله ﷺ، لم يضيئ الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك"^(٣).

أما من ذهب إلى أن علياً ﷺ قد أشار عليه ابتداءً بفراقها، بدليل قوله: "والنساء سواها كثير" ففيه بُعد؛ لأن الكلام يفهم من سباقه ولحاقه، فلم يجزم علي ﷺ بفراقها؛ ذلك أنه عقب كلامه بقوله: "وإن تسأل الجارية تصدقك" فيكون فوض الأمر إلى النبي ﷺ، وحمله على النظر في كلام الجارية بريرة ليسكن خاطره.

وعلي ﷺ أتقى الله تعالى من أن يعرض لأثم المؤمنين بأي سوء.

(١) أهلك: بالنصب على الإغراء أي الزم أهلك، وهذا يذكر بقول الله تعالى حكاية عن النبي ﷺ حين قال لزيد ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ...﴾ ﴿٧٧﴾ [الأحزاب]. ولبعضهم بالرفع (أهلك) أي هم أهلك.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٣/٦ ج ٦/ص ٧) كتاب التفسير.

(٣) المرجع السابق.

موقف الخادمة بريرة ﷺ

سمعت عائشة ﷺ كلام أبيها وعادت إلى بيتها، مما يُظهِرُ حُسْنَ السَّمْعِ والطَّاعَةِ، وجاءَ رسولُ اللهِ ﷺ بيتهَا، وسألَ عنها بَرِيرَةَ ﷺ (مولاة أم المؤمنين ﷺ) سألها عن عائشة، فأخبرته أنها ما علمت عليها من سوءٍ إلا أنها كانت تعجنُ العجين، وتطلب منها أن تحفظه، فتنام عنه لصغرها، فتأتي الشاة فتأكله. تريد أن عائشة رضي الله عنها لا تعرف الشرَّ أبداً، تغفل عن عجينها لحدائثة سنّها، فطالما أن هذه صفتها فهي أبعد ما تكون عما رُميت به، ولا تعدو أن تكون من المحصنات الغافلات المؤمنات.

قَالَتْ عَائِشَةُ ﷺ: " فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: أَيُّ بَرِيرَةَ، هَلْ رَأَيْتَ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ؟ قَالَتْ بَرِيرَةُ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ^(١) عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ^(٢)، فَتَأْكُلُهُ"^(٣).

ما وَجَدَتْ لها عيباً إلا أنها أمرتها أن تحفظ العجين حتى تقبس ناراً لتخبزه، فنامت عنه، فجاءت الشاة فأكلته، وهذا من الاستثناء اللطيف، فقد أرادت بهذا الاستثناء تخليصها من كل عيب.

وفي رواية هشام بن عروة: " فَقَالَتْ: لَا وَالله مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا عَيْبًا إِلَّا أَنَّهَا

(١) أعيبه .

(٢) الداجن: الشاة التي تألف البيت .

(٣) البخاري " صحيح البخاري " (م ٣/٦ ج ٦/٧) كتاب التفسير .

كَانَتْ تَرَفُّدُ حَتَّى تَدْخُلَ الشَّاءُ، فَتَأْكُلُ حَمِيرَهَا، أَوْ عَجِينَهَا، وَانْتَهَرَهَا بَعْضُ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اصْدُقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَسْقُطُوا لَهَا بِهِ^(١)، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا يَعْلَمُ الصَّائِعُ عَلَى تِيرِ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ"^(٢).

ويظهر أن النبي ﷺ كره أن يصرِّح بالأمر، فصرِّح به بعض أصحابه ﷺ، فلما تفتنت للأمر نكت أنها رأت فيها ما يسألون عنه أبداً، وأنها لا تعلم فيها إلا الخُلوص من العيب كما يعلم الصائغ من الذهب الأحمر الخُلوص من العيب.

موقف النبي ﷺ

لم يشك النبي ﷺ براءة عائشة قط، وحاشا للنبي ﷺ من ذلك، وإنما تعين عليه استشارة أهل بطانته، والتتقيب عن هذه القصة؛ لقطع دابر الطغيان واجتثاث شُبه أهل الإفك بإقامة الحجَّة عليهم .

وإلا فإن براءة عائشة رضي عنها محققة عنده ﷺ، فالنبي ﷺ أعلم الناس بعائشة رضي عنها، وبجميل أحوالها وارتفاعها عن الدنيا، فصحة عائشة رضي عنها له أكد من صحة غيرها من نسائه، لكنه ﷺ لم يكن يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحي، ولم يكن ليحكم على عائشة رضي عنها برأي؛ لقوله تعالى: ﴿بِمَا أَرْكَأَ اللَّهُ...﴾ (١٠٥) [النساء] وليس له ﷺ أن يتكلم في أمر ليس له به علم، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ...﴾ (٣١) [الإسراء] فالنبي ﷺ لا يثبتُ أمراً، ولا ينفيه إلا بعلم كما أمر .

(١) أي حتى صرَّحوالها بالأمر .

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/٦ج/١٢ ص) كتاب التفسير .

ثم إن الإسلام دين الواقعية، فالنبي ﷺ يعلمنا أن نأخذ بالأسباب ولا ننفك عنها. وإذا كان أفاضل الصحابة يقطعون بكذب أهل الإفك، ويجزمون ببراءة عائشة رضي الله عنها، ويقولون: "لا نعلم إلا خيراً" ويقولون: سُبْحَانَكَ ﴿مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَّكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿٦٦﴾ [النور] فما الظنُّ بالنبي ﷺ!

وموقف النبي ﷺ لا يختلف كثيراً عن موقف أصحابه رضي الله عنهم، فقد ثبت أن النبي ﷺ لما وقف خطيباً على المنبر واستعذر من ابن أبي، شهد لعائشة رضي الله عنها وصفوان رضي الله عنهما بالخير، قالت عائشة: فقال رسول الله ﷺ، وهو على المنبر: "يا معشر المسلمين، من يعذرني^(١) من رجلٍ قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟! فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي"^(٢).

وفي رواية هشام بن عروة، قال: أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به، قام رسول الله ﷺ في خطيباً، فتشهد، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، أشيروا علي في أناس أبنوا (اتهموا) أهلي، وأيم الله، ما علمت على أهلي من سوء، وأبنوهم بمن؟! والله ما علمت عليه من سوء قط، ولا يدخل بيتي قط إلا وأنا حاضراً، ولا غبت في سفر إلا غاب معي"^(٣).

(١) أي من ينصري.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/٦ج/٧ص) كتاب التفسير.

(٣) المرجع السابق.

موقف أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه

عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: "لَمَّا أُخْبِرَتْ عَائِشَةُ بِالْأَمْرِ، قَالَتْ: " يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَتَطَّلِقَ إِلَى أَهْلِي؟ فَأَذِنَ لَهَا، وَأَرْسَلَ مَعَهَا الْعُلَامَ، وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: سُبْحَانَكَ ﴿ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور]"^(١)

والرَّجُلُ الَّذِي مِنَ الْأَنْصَارِ هُوَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ: خَالِدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، مَشْهُورٌ بِكُنْيَتِهِ، شَهِدَ بَدْرًا، وَالْعَقَبَةَ، وَمَا بَعْدَهُمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَخَصَّصَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِالنُّزُولِ عَلَيْهِ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ بُنِيََتْ بُيُوتُهُ وَمَسْجِدُهُ، وَقَدْ لَزِمَ الْجِهَادَ إِلَى أَنْ تُوُفِيَ فِي الْقِسْطَنْطِينِيَّةِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ فِي الْغَزْوَةِ الَّتِي أَعْرَازَهَا مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ رضي الله عنه ابْنَهُ يَزِيدَ.

وَرَوَى الطَّبْرِيُّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ حَمِيدٍ، عَنْ سَلْمَةَ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ بَعْضِ رِجَالِ بَنِي النَّجَّارِ، أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ، قَالَتْ لَهُ أُمُّ أَيُّوبَ: " أَمَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ؟ قَالَ: بَلَى، وَذَلِكَ الْكُذْبُ، أَكُنْتُ فَاعِلَةً ذَلِكَ يَا أُمَّ أَيُّوبَ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ، مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَهُ، قَالَ: فَعَائِشَةُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْكَ "^(٢).

من رد عن عرض أخيه

لا يخفى على أبي أيوب رضي الله عنه ولا على مَنْ هو دونه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَغِبَ فِي أَنْ

(١) البخاري "صحيح البخاري" (م٤/ج٨/ص١٦٣) كتاب الاعتصام.

(٢) الطَّبْرِيُّ "تفسير الطَّبْرِيُّ" (ج٥/ص٥٣٠) وإسناده ضعيف مسلسل بالضعفاء، محمد بن حميد الرَّازِي، وسلمة بن الفضل، ومحمد بن إسحاق كلهم ضعفاء، فضلاً عن إيهام الرَّاوي عن أبي أيوب، وإثنا ذكرته لأتبه على ضعفه، فلم أر مَنْ ضعفه؛ لئلا يغيرَ به أحد.

يردّ المسلم عن عرض أخيه ، قال النبي ﷺ :

" مَنْ رَدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (١). وسيأتي بعد أسطر لأمّ المؤمنين عائشة ؓ أن تردّ عن عرض حسان ؓ.

الحكمة من لبوث الوحي

اقتضت حكمة الله تعالى أن حُسَّ الوحي شهرًا لا يُوحى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ شيئاً في شأن عائشة ؓ؛ ليظهر الله تعالى ما في قلوب المؤمنين من حسن الظنّ بالله تعالى ورسوله وأهل بيته، ويزيدهم إيماناً وثباتاً على الهدى، وليستدرج الله تعالى المنافقين، ويملي لهم، ويكشف سرائرهم، ويزدادوا إثماً، وليُظهِرَ اللهُ تعالى قَدْرَ رسول الله ﷺ وأهل بيته عنده؛ فقد تولى الله تعالى الدِّفاعَ عن رسوله وأهل بيته.

عائشة ؓ تتمثل أي القرآن في النوازل

كانت عائشة ؓ تعلم أن الشدّة إذا تناهت كان وراءها الفرج قريباً، فقد قضى الله تعالى أن العُسْرَ بعده يُسر، وتعلم أن الصَّبْرَ محمودُ العواقب، وأن الأمر إذا ضاق اتَّسع، وأن الصَّبْرَ الجميلَ يعقبه الخيرُ الجزيلُ، وأن الصبر وإن كان مرّاً فإن عاقبته حلوةٌ، وما الخير والخيرة إلا في التقى والصبر؛ فصبرت واحتسبت، وفوّضت أمرها إلى الله تعالى وحده، ولذلك تجدها تقول: " والله ما أجِدُ لَكُمْ مثلاً

(١) أحمد "المستد" (ج ١٨ / ص ٥٨٠ / رقم ٢٧٤٠٧) وإسناده حسن .

إِلَّا قَوْلَ أَبِي يُوسُفَ ^(١)، قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف] ^(٢) وفي ذلك منقبة لعائشة شفاء، وفضيلة غراء؛ حيث صبرت صبراً جميلاً، كما قال تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المعارج]. وفي تمثيلها بأي القرآن في النوازل خلق عظيم؛ فيا لهفي ولهف المؤمنين على مَنْ كان خلقه القرآن الكريم!

عائشة رضي الله عنها والصفح الجميل

كذلك صفحت عائشة رضي الله عنها الصَّفْحَ الجميل، كما قال تعالى: ﴿فَأَصْفَحْ﴾ [الحجر] ﴿٨٥﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ رضي الله عنها عُرْوَةَ رضي الله عنها يَسُبُّ حَسَانَ بْنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه بَعْدَ أَنْ كَثُرَ عَلَيْهَا، أَنْكَرَتْ عَلَى عُرْوَةَ، وَأَمَرَتْهُ أَنْ يَكْفَ عَنْ ذَلِكَ، وَدَافَعَتْ عَنْ حَسَانَ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، وَذَكَرَتْ مِنْ مَنَاقِبِهِ أَنَّهُ كَانَ يَدَافِعُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَيُرَدُّ عَنْهُ الْقَوْلُ وَالْأَذَى، فَمِنْ طَرِيقِ أَبِي أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ أَبِيهِ: "أَنَّ حَسَانَ بْنَ ثَابِتٍ كَانَ يَمُنُّ كَثْرًا عَلَى عَائِشَةَ؛ فَسَبَّيْتُهُ، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أُخْتِي، دَعُهُ فَإِنَّهُ كَانَ يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم" ^(٣).

نعم، فهو شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، المؤيد بروح القدس، أخرج البخاري وغيره عن الزهري، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة: "أشهدك الله، هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول:

(١) لم تستحضر اسم يعقوب رضي الله عنه لما بها من الحزن أو البكاء.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/ج ٦/ص ٨) كتاب التفسير.

(٣) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٨م/ج ١٦/ص ٤٦) كتاب فضائل الصحابة.

يَا حَسَّانُ، أَجِبْ عَن رَّسُولِ اللَّهِ ﷺ، اللَّهُمَّ أَيَّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ؟ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: نَعَمْ" (١) وَعَن الْبَرَاءِ ﷻ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حَسَّانَ: "أَهْجُهُمْ - أَوْ هَاجِهِمْ - وَجِرِيلٌ مَعَكَ" (٢).

تَحْرِيمُ سَبِّ الصَّحَابَةِ ﷺ

فليحذر الَّذِينَ يَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِ الصَّحَابَةِ لِأَجْلِ زَلَّاتٍ عُفِرَتْ، فعدالة الصَّحَابَةِ لَا تَعْنِي أَتَمُّهُمْ مَعْصُومُونَ عَنِ الْخَطَا، قَالَ ﷺ: "كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، فَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ" (٣).

فَمَا يَدْرِيكَ إِذَا أَخْطَأَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ قَدْ تَابَ، وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، أَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ بِسَابِقَتِهِ، أَوْ أَنَّ لَهُ حَسَنَاتٍ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ، أَوْ أَنَّهُ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ، فَالصَّحَابَةُ ﷺ أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا.

وَلِذَلِكَ فَإِنَّ الْخَطَا مِنْهُمْ لَا يَبِيحُ الطَّعْنَ بِهِمُ وَالنَّيْلَ مِنْهُمْ، فَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ وَالْمَنَاقِبِ مَا تُغْفَرُ بِهَا الْأَخْطَاءُ، وَلَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ مَا تُمْحَى بِهَا السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ" (٤).

فَسُبُّ الصَّحَابَةِ ﷺ مُحَرَّمٌ، وَهُوَ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَلَا يَسْتَنِي مِنْ ذَلِكَ أَيُّ مَنْ

(١) البخاري "صحيح البخاري" (١م/١ج/١١٦) كتاب الصلاة.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٤ج/٧٩) كتاب بدء الخلق.

(٣) أحمد "المسند" (ج١١/٧٧/رقم ١٢٩٨٣) وإسناده حسن.

(٤) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٤ج/١٩٥) كتاب فضائل الصحابة.

الصَّحَابَةَ ﷺ، فقد قال ﷺ: " لَا تَسْبُوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَذْرَكَ مَدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ " ^(١)، وقال ﷺ: " مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ " ^(٢).

واعلم أنَّ سَبَّ الصَّحَابَةِ فِيهِ أَذَى اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي اخْتَارَهُمْ لَصَحْبَةِ نَبِيِّهِ ﷺ، قَالَ قَتَادَةُ: " وَلَكِنْ أَحَقُّ مَنْ صَدَقْتُمْ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ " ^(٣) وَهُوَ الَّذِي زَكَاهُمْ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ.

وَفِيهِ أَذَى لِلرَّسُولِ ﷺ وَأَتْمَامَ لَهُ أَنَّهُ لَمْ يَحْسُنْ تَرْبِيَتَهُمْ، وَأَنَّهُ ﷺ أَثْنَى عَلَيْهِمْ وَلَيْسُوا أَهْلًا لِلثَّنَاءِ، وَهَذَا مَمْنُوعٌ.

مَنْ تَكَلَّمَ وَمَنْ تَوَلَّى كِبْرَهُ

فِي آخِرِ رَوَايَةِ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ أَنَّ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا هُمْ: حَمْتَةُ، وَحَسَّانُ، وَمَسْطُحٌ ﷺ. وَإِنَّمَا أُخِذَ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِ أَنَّهُمْ سَمِعُوا وَأَصْغَوْا، وَأَمَّا مَنْ اخْتَلَقَ الْإِفْكَ وَأَذَاعَهُ وَأَشَاعَهُ فَهُوَ رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ ابْنُ أَبِي، تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: " أَمَّا زَيْنَبُ ابْنَةُ جَحْشٍ فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِدِينِهَا فَلَمْ تَقُلْ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا أُخْتُهَا حَمْتَةُ، فَهَلَكَتْ فِي مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيهِ مَسْطُحٌ، وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَالْمُنَافِقُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي،

(١) مسلم "صحيح مسلم شرح النووي" (٨م/ج ١٦/ص ٩٣) كتاب فضائل الصحابة.

(٢) الألباني "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (٥م/ص ٤٤٦) وقال: بمجموع طرقه حسن.

(٣) أحمد "المستد" (ج ١٠/ص ٤٣٦/رقم ١٢٣١٦) وإسناده صحيح.

وهو الَّذِي كَانَ يَسْتَوْشِيهِ وَيَجْمَعُهُ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ" (١).

نزول الوحي على النبي ﷺ في بيت أبي بكر ؓ ببراءتها ﷺ

دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَيْتِ الصَّدِيقِ ؓ، فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ، وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدَ عَائِشَةَ مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا. وَقَبْلَ أَنْ يُفَارِقَ النَّبِيُّ ﷺ مَجْلِسَهُ، وَقَبْلَ أَنْ يَغَادِرَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مَنْ كَانُوا حَاضِرِينَ، أَخَذَتِ النَّبِيَّ ﷺ شِدَّةً، وَرَاحَ يَتَصَبَّبُ عِرْقًا كَأَنَّهُ اللَّؤْلُؤُ وَهُوَ فِي يَوْمِ شَاتٍ مِنْ ثِقَلٍ مَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا كُشِفَ عَنْهُ، وَهُوَ يَضْحَكُ، بَشَّرَ عَائِشَةَ ﷺ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَنْزَلَ بِرَاءَتَهَا.

وما كانت عائشة ﷺ تظنُّ أَنْ يُتَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِأَمْرِهَا، وَيُقْرَأَ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ فِي الْمَسَاجِدِ، وَيُصَلَّى بِهِ، لَكِنَّهَا ﷺ كَانَتْ تَرْجُو أَنْ يَرَى النَّبِيُّ ﷺ فِي مَنَامِهِ رُؤْيَا يَبْرئُهَا اللَّهُ تَعَالَى بِهَا.

قَالَتْ عَائِشَةُ ﷺ: "ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا حِينِيذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبْرِئِي بِرَاءَتِي، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ (٢) مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يَبْرئُنِي اللَّهُ بِهَا.

قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا رَامَ (مَا بَرِحَ مَجْلِسَهُ) رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ (٣) حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/٦ج/١٣ ص) كتاب التفسير .

(٢) تستصغر نفسها من فرط تواضعها ﷺ .

(٣) الشدة، تعني شدة نزول الوحي .

الْجُهَانِ مِنَ الْعَرَقِ^(١) وَهُوَ فِي يَوْمِ شَاتٍ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي يُنَزَّلُ عَلَيْهِ.

قَالَتْ : فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُرِّيَ عَنْهُ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَتْ
أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا : يَا عَائِشَةُ، أَمَا اللَّهُ ﷻ فَقَدْ بَرَّأَكَ.

فَقَالَتْ أُمِّي : قُومِي إِلَيْهِ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ^(٢) وَلَا أَحْمَدُ

إِلَّا اللَّهَ ﷻ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ...﴾ ﴿١١﴾
[النُّور] الْعُسْرَ الْآيَاتِ كُلِّهَا^(٣).

عائشة رضي الله عنها تضيف معرفة النعمة بكتابتها إلى الخالق دون الخلق

وبلاحظ في قول عائشة رضي الله عنها : "وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ ﷻ" نفي معرفة النعمة عن

أحد من الخلق، وإضافتها بكتابتها إلى الخالق وحده، وهذا من كمال التوحيد؛ فإفراد
الله تعالى بالحمد في هذا المقام فيه تجريد التوحيد، فالله تعالى وحده الذي أنعم بإنزال
براءة ساحتها.

وفيه تجريد المتابعة للنبي ﷺ والتمسك بقوله ﷺ، فهو الذي أمرها أن
تفرد الله تعالى بالحمد؛ ففي رواية : " فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي : " يَا
عَائِشَةُ، أَحْمَدِي اللَّهَ، فَقَدْ بَرَّأَكَ اللَّهَ^(٤) . وقولها يدل على حسن سمعها، ووفور
عقلها، وعقول كل قوم على قدر زمانهم !

(١) شبهت قطرات عرقه ﷺ بحبات اللؤلؤ، لوجه الشبه الجامع بينها، وهو الصفاء والحسن.

(٢) من باب الإدلال عليه ﷺ، معرفة منها بمحبته لها ورضاه عنها .

(٣) البخاري " صحيح البخاري " (٣م/ج ٦/ص ٨) كتاب التفسير .

(٤) البخاري " صحيح البخاري " (٢م/ج ٣/ص ١٥٧) كتاب الشهادات .

أبو بكر الصديق رضي الله عنه يعفو عن مسطح رضي الله عنه ويصفح

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقافاً عند كتاب الله تعالى، يعمل به ولا يتجاوزه اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أنزل الله تعالى براءة عائشة رضي الله عنها، أقسم أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح بن أثانة رضي الله عنه بعد أن قال الذي قال في عائشة رضي الله عنها، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ... ﴾ [النور].

فقال أبو بكر: " بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي " وعاد له رضي الله عنه بما كان يصنع، ففي آخر حديث عروة عن عائشة، قالت: " فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه (وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرابته منه وفقره): والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور] قال أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً^(١). فثبت بذلك وقوع المغفرة لمن عفر إلى من أساء إليه وصفح عنه.

الحكم فيمن قذف طيبة طاب رضي الله عنه بعد أن أنزل الله تعالى براءتها

لا يمكن لأحد من الناس - وضيعاً كان أو ربيعاً - أن يتأى بنفسه عن أذى الناس وشروهم مهما تخلق بأخلاق الكرام؛ فمن العوام كالأنعام، ومن الرعاع

(١) البخاري " صحيح البخاري " (٣م/٦ج/٩ ص) كتاب التفسير .

كالسَّمِّ التَّافِعِ، وَمِنَ الْخَلْقِ خَلَقَ هَانِ عَلَيْهِمُ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَنَهْيِهِ ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الزَّمر] ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ فَضْلَ النَّبِيِّ ﷺ وَصَحْبِهِ ﷺ ، فَكَيْفَ لَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا فَضْلَكَ ، أَوْ أَنْ يَنْزِلُوكَ مِنْزِلَتَكَ؟!

وهذا الأذى والبلاء الذي لحق بطيِّبة طابَة عائشة ؓ تكاد تذوب منه القلوب، وتذهل له العقول، فكيف بمن تجرَّعه أنفاساً، وشربه عللاً بعد مهل؟! قال ابن القيم - رحمه الله - : "واتَّفقت الأمة على كفر قاذفها"^(١).

قلت : ذلك لأنَّ الطَّعْنَ بِأَمِّ الْمُؤْمِنِينَ ؓ بعد أن برَّأها الله تعالى في كتابه فيه تكذيب صريح لكلام الله تعالى الذي برَّأها، وفيه أذى للرَّسول ﷺ، بدليل قوله ﷺ : " مَنْ يَعْدِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؟! " وَأَذَى الرَّسُولِ ﷺ حرام بالاتِّفَاق.

كذلك فيه تنقُّص للرَّسول ﷺ ؛ لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَشِيتُ لِلْخَيْثِينِ وَالْخَيْثُوتِ لِلْخَيْثِيتِ ... ﴾ [النُّور] وما كان الله تعالى ليجعلها زوجة النبي ﷺ لولا أنَّها مبرأة وطبيَّة من سلالة طيِّب، كما قال تعالى : ﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ... ﴾ [النُّور] فقد كانت أحبَّ أزواج رسول الله ﷺ إليه، وما كان رسول الله ﷺ أن يحبَّ إلا طيباً.

وبالجملة، الوقيعة في عائشة ؓ فيها أذى لله تعالى وللرَّسول ﷺ، وفيها أذى للمؤمنين والمؤمنات، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ

(١) ابن القيم "زاد المعاد" (م/١ ص ١٠٣).

اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴿٥٨﴾ [الأحزاب].
وَحُكْمُ مَنْ تَكَلَّمَ بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَهَا يَخْتَلِفُ عَنْ حُكْمِ مَنْ تَكَلَّمَ فِي
عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ شَرْطَ الْإِيْمَانِ تَرْكُ قَذْفِ
الْمُحْصَنَةِ الْغَافِلَةِ الْمُؤْمِنَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور] فَمَنْ عَادَ لِمِثْلِهِ فَلَيْسَ مُؤْمِنًا، فَالْعُودَةُ لِمِثْلِ هَذَا الْإِفْكَ
وَالْبُهْتَانِ الْعَظِيمِ فِي حَقِّ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نَوَاقِضِ الْإِيْمَانِ؛ لِأَنَّ فِيهِ مَخَالَفَةَ لِلْقُرْآنِ.

الآيات العشر في براءة عائشة

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ
لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِنْتِهَاءِ الَّذِي تَوَفَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ أَوْلَا
إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ أَوْلَا جَاءُوا
عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأَوَّلْتِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ أَوْلَا فَضَّلَ
اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَكُورٌ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ
بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾
وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾
يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ.

وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٣٠﴾ [التور].

من دلالات الآيات وعظاتها وهداياتها

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِآيَاتِكُمْ﴾ وهو أعظم ما يكون من الكذب على عائشة رضي الله عنها، والاسم الموصول (الذين) ظاهر في إرادة جماعة، وفي لفظ (جاءوا) إشارة إلى أن الإفك لا أصل له، وإنما جاءوا به من عند أنفسهم.

﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ جماعة منكم، وعلى رأسهم رأس المنافقين ابن أبي. قلت: وقد عدَّ ابن أبي في المؤمنين وليس منهم، وهو أسلوب معروف في العربية كما قال تعالى عن إبليس: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةَ كُلُّهُمْ اٰجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ ... ﴿٣١﴾﴾ [الحجر] فقد عدَّ إبليس في الملائكة وهو ليس منهم.

﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ الخطاب وإن كان عامًّا لكلِّ مؤمن ساءه ذلك، لكن فيه تسلية خاصة للنبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعائشة، وأم رومان، ومسطح رضي الله عنهم.

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فلا عجب أن تحطَّ البلايا وتنزل الرزايا بالأنبياء والأولياء؛ سأل سعد رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "قلت: يا رسول الله، أيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قال: الأنبياء، ثمَّ الصَّالحون، ثمَّ الأمثل فالأمثل من النَّاسِ" ^(١) وذلك لما فيها من الخير الخفي والجلي، قال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الرَّجُلَ لَتَكُونَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةُ، فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ، فَلَا يَزَالُ اللَّهُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا" ^(٢).

(١) أحمد "المسند" (ج ٢/ ص ٢٢٧/ رقم ١٤٨١) وإسناده صحيح.

(٢) "التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان" (ج ٤/ ص ٤٥٥/ رقم ٢٨٩٧) وإسناده حسن.

والخير من وجوه: منها الأجر العظيم للنبي ﷺ ولأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ولأبي بكر وآله، الذين أودوا وصبروا.

ومنها الشرف العظيم لأم المؤمنين؛ فالله تعالى أنزل براءتها في قرآن يُتلى، ولهذا لما دخل ابن عباس عليها رضي الله عنها، وهي على فراش الموت، أثنى عليها وقال: "رَوْجَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَنْحَحْ بِكَرًا غَيْرَكَ، وَنَزَلَ عُدْرُكَ مِنَ السَّمَاءِ" ^(١).

ومنها إعلاء قدر المؤمنين الذين قدموا حسن الظن وحسن العهد بأم المؤمنين رضي الله عنها، والشأن عليهم من الله تعالى، وعِظَةٌ للمؤمنين إلى قيام الساعة من الإقدام على مثل هذا الحديث خشية أن تزل الأقدام، ووجوب التحفظ في الأمور والتثبت من الأخبار، فقد قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بِنِيٍّ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات]، وتنبه عائشة رضي الله عنها ومن أودي مثلها وأصيب بمصاها أن ذلك ليس شرًّا، وإنها هو خير وعاقبته حسنة، ولذلك جاء الخطاب عامًّا، وسبق للتأسي بما جرى لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

ومن الوجوه فضح المنافقين وما يضمرونه من شر للنبي ﷺ وأهل بيته وللمؤمنين، والتعريف بخطرهم والتحذير منهم، وتثقيل ميزان عائشة رضي الله عنها وميزان صفوان رضي الله عنه من الطاعنين التابعين لهم بغير إحسان، المخالفين لأمر الرحمن سبحانه، الوارثين لنفاق ابن أبي.

فضلاً عن أن هذه الآيات أحوج ما يكون العباد للعمل بها حتى قيام

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/٦ج/١٠ ص) كتاب التفسير.

السَّاعَةِ، والله إذا أراد أمراً أصابه، ولولا هذه الحادثة التي لا تعدو أمر الله تعالى لضاعت فوائد وفوائد .

﴿ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ﴾ هذا حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى، أَنْ تَحْمَلَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَكْتَسَبَتْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ... ﴾ (٣٨١) ﴿ [البقرة] ، وكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ (٣٨) ﴿ [المدثر] .

﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ﴾ أي معظمه ﴿ مِنْهُمْ ﴾ أي من العصبية ، وهو المنافق ابن أبي ﴿ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (١١) ﴿ لِأَنَّهُ أَذَاعَ مَا أَذَاعَ مِنَ الْإِفْكِ عِدَاوَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ ، ويلاحظ تَغَايُرَ العقوبة بين مَنْ تَكَلَّمَ وبين مَنْ تَوَلَّى كِبْرَهُ .

﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ لولا : للتخصيص والتقديم والتأخير ، فالله تعالى يَحْضُ الْمُؤْمِنِينَ وَيَحْضُهُمْ عَلَى تَقْدِيمِ حُسْنِ الظَّنِّ عِنْدَ سَمَاعِ مِثْلِ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي لَيْسَ عَلَيْهِ شَهُودٌ ، فَلَا يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَطْعَنَ فِي أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي هُوَ فِي مَنْزِلَةِ نَفْسِهِ . وَجَعَلَ الْغَيْرَ مَقَامَ النَّفْسِ (بأنفسهم) ، فالْمُؤْمِنُونَ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ... ﴾ (١١) ﴿ [الحجرات] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ... ﴾ (١٩) ﴿ [النساء] .

وَكَانَ مِنْ حَقِّ (لَوْلَا) أَنْ يَلِيهَا الْفِعْلُ (ظَنَّ) مِنْ غَيْرِ فَاصِلٍ ، لَكِنْ فَصَلَ بَيْنَهُمَا قَوْلُهُ : (إِذْ سَمِعْتُمُوهُ) وَالظَّرْفُ يَجُوزُ فِيهِ ، لِأَنَّ الظَّرْفَ لَا يَنْفَكُ عَنْهُ مَا يَنْفَعُ فِيهِ . وَالْغَرَضُ مِنْ تَقْدِيمِ الظَّرْفِ (إِذْ) الْعِنَايَةَ بِهِ وَالْإِهْتِمَامَ بِمَدْلُولِهِ ، فَقَدْ كَانَ ظَنُّ الْخَيْرِ وَاجِبًا مِنْ أَوَّلِ زَمَنِ سَمَاعِ حَدِيثِ الْإِفْكِ ، فَالْوَاجِبُ تَقْدِيمُ الْأَهْمِّ فِي الذِّكْرِ ،

فَلَمَّا كَانَ ذِكْرُ الْوَقْتِ أَهَمَّ وَجِبَ تَقْدِيمُهُ. وَقَدَّمَ ظَرْفَ الزَّمَانِ (إِذْ) الْمُتَعَلِّقَ بِالْفِعْلِ (ظَنَّ) عَلَى الْفِعْلِ (سَمِعَ) لِلْغَرَضِ نَفْسِهِ، وَهُوَ الْإِهْتِمَامُ بِإِنْكَارِ حَدِيثِ الْإِفْكِ مِنْ أَوَّلِ زَمَنِ سَمَاعِهِ.

وَأَسْنَدَ فِعْلَ الظَّنِّ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وَعَدَلَ عَنْ إِسْنَادِهِ إِلَى الضَّمِيرِ، فَلَمْ يَقُلْ (ظَنَنْتُمْ) عَلَى مَقْتَضَى الظَّاهِرِ مَعَ أَنَّهُ أَوْجَزُ، وَهَذَا يَعْرِفُ فِي عِلْمِ الْمُعَانِي بِالِاتِّفَاتِ، وَوَجْهَ حَسَنِ الْإِتِّفَاتِ أَنَّهُ عَدَلَ عَنِ الضَّمِيرِ إِلَى الظَّاهِرِ لِيَكُونَ أَبْلَغَ فِي التَّعْنِيفِ وَالتَّنْذِيمِ، وَلِيُصْرِّحَ بِلِغْظِ الْإِيمَانِ الَّذِي يَشْتَرِكُونَ بِهِ، وَالْمَقْتَضِي أَنْ لَا يُصَدِّقَ مُؤْمِنٌ عَلَى مُؤْمِنٍ شَيْئًا مِنَ الْإِفْكِ وَالبُهْتَانِ إِلَّا بَيِّنَةً وَبِرَهَانٍ.

وَقَوْلُهُ: ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ يَفْهَمُ مِنْهُ كَذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ إِنْ كَانَ لَا يُرْضَوْنَهُ لِأَنْفُسِهِمْ، فَأَمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَوَّلًا بِالْبِرَاءَةِ مِنْهُ، وَبِأَنْ يَظُنُّوا بِهَا عَفَافًا كَظَنِّهِمْ بِأَنْفُسِهِمْ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ (١٢) اسْتِثْنَاءٌ غَرَضُهُ حُضُّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمُبَادَرَةِ إِلَى تَكْذِيبِ حَدِيثِ الْإِفْكِ، فَالظَّنُّ الْوَاجِبُ لِلْمُؤْمِنِ أَمَامَ أَيْبِنِ الْكَذِبِ هَذَا أَنْ يُسَارِعَ إِلَى تَكْذِيبِ قَائِلِهِ، فَهُوَ كَذِبٌ ظَاهِرٌ لَا يَلِيقُ بِمَا عَلَيْهِ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَيُسْفَى مِنَ الْإِيمَانِ الْوَازِعِ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْبُهْتَانِ، فَأَمَّ الْمُؤْمِنِينَ لِيَسْتَكَأَحِدَ مِنَ النِّسَاءِ فِي الشَّرْفِ وَالْمَنْزَلَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَنْسَاءَ الْتَبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ...﴾ (١٣) [الْأَحْزَابُ] فَشَرَفَ الْمَنْزِلَةَ مَانِعٌ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْإِفْكِ، فَهِيَ قَدْوَةٌ حَسَنَةٌ كَسَائِرِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ يُقْتَدَى بِهِ لَا يُصَدِّقُ عَلَيْهِ هَذَا الْكَذِبَ.

وَكَانَ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ سَمِعَهُ فَسَكَتَ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَكَلَّمَ مُتَعَجِّبًا مِنْ

قائله، ومنهم مَنْ سارع إلى تكذيبه والإنكار على قائله، وهم السَّواد الأعظم .

وقوله : ﴿ هَذَا إِفْكٌ ﴾ باسم الإشارة، يجسّد المعنى ويجلّيه ويبرزه في أوسع صورة ويحضره في ذهن السّامع حسّاً، فكأنّ الكذب ماثلاً أمام أعينهم بما فيه من قبح وظلم بيّن لا يليق بالمؤمنين، ولعلّ ذلك سرُّ الإعراض عن الضّمير، فلم يقل : (هو إفك)، وقد جاء ذكر حديث الإفك باسم الإشارة في موضعين آخرين للغرض نفسه، فقد جاء في قوله : ﴿ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا ﴾، وقوله : ﴿ هَذَا مَبْتَنٌ عَظِيمٌ ۝١٦ ﴾ لما في الإشارة إليه من تجسيد للمعنى، والله أعلم.

﴿ تَوَلَّآ جَاءُوا عَلَيْهِ ﴾ هَلَّا جَاءُوا عَلَى مَا زَعَمُوا مِنَ الْإِفْكِ ﴿ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ ﴾ إن كانوا صادقين، والشّهادة هذه مطلقة، وجاءت مقيدة في مثل قوله تعالى : ﴿ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ... ۝١٨٢ ﴾ [البقرة] فليس المراد أربعة شهداء حتّى لو كانوا مجروحين، وإنما أربعة شهداء عدول.

﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ ﴾ الفاء : استثنائية، وإذ : شرطية، أي فإذا عجزوا عن الإتيان بأربعة شهداء ﴿ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ في حكمه وشريعته ﴿ هُمُ الْكٰذِبُونَ ۝١٣ ﴾ لا غيرهم.

وصيغة الحصر في جواب الشرط في قوله تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكٰذِبُونَ ﴾ للمبالغة، وكأنّ الكذب انحصرَ فيهم. وضمير الفصل (هم) أفاد الاختصاص، فما يُنسبُ إلى المسند إليه ثابت له دون غيره، والمسند إليه هو المبتدأ (أولئك)، وما ينسب إليه هو الكذب.

والغرض من اسم الإشارة (فأولئك) الإشارة إليهم لمزيد تعيينهم بصفة الكذب تحذيراً لنا من أمثالهم، أمّا التّقييد والتّعيين في شبه الجملة الظرفيّة (عند الله) فلزيادة ثبوت كذبهم وتحقّقه. وأضيف ظرف المكان إلى لفظ الجلالة للتّعظيم، وكلُّ ذلك من باب تعظيم حرمة عِرْضِ المسلم.

ونتعلّم من الآية أنّ الواجب ألا نُصدّق مَنْ يرمي مؤمناً بفاحشة إلا أن يأتي بأربعة شهداء، فإن لم يأت بهم، قلنا له: أنت عند الله تعالى من الكاذبين.

﴿ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ ﴿ لولا : حرف امتناع لوجود، وفضل : مبتدأ حذف خبره، وتقديره موجود، أي لولا فضل الله عليكم موجود ﴾ ﴿ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ ﴾ ﴿ خضتم وأكثرتم ﴾ ﴿ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿ ١٤ ﴾ ﴿ لكن فضل الله عليكم ورحمته موجودة في الدنيا والآخرة، وهذا وعد ضمني من الله تعالى بالفضل والمغفرة لهم دون الذي تولى كبره؛ فالآية مصرّحة بأنّ العذاب لا يمسّ كلّ مَنْ تكلم، وإنّما يمسّ مَنْ تولى كبره، وهو ابنُ أبي، كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿ ١١ ﴾ ﴿ فالعذاب العظيم مختصّ بمنّ تولى كبره دون غيره، لأنّه إنّما قال ما قال ليعيب الرّسول ﷺ ويغيظه عن قصد؛ كراهة لما جاء به من الحقّ.

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِمْ وَتَقُولُونَ بَأْفَوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ﴿ الآية فيها زجر عن أمرين محظورين : تلقّف مثل هذا الكلام ونقله، والقول بلا علم.

﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا ﴾ ﴿ صغيراً ﴾ ﴿ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ ﴿ ١٥ ﴾ ﴿ في الإثم، فهو من الكبائر.

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ﴾ هَلَّا قُلْتُمْ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ﴿مَا يَكُونُ لَنَا﴾ ما يَحُلُّ لَنَا ﴿أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ ولم يقل (به)، وإنما جاء باسم الإشارة (هذا) لتجسيد الحديث والدلالة على ظهوره، وأنه مع هذا لا يكون لنا أن نتكلم به وإن ظهر واشتهر، وذاع وشاع. وقوله (ما يكون) أقوى في الدلالة على عدم الجواز من (ما ينبغي) لأن (ينبغي) من أفعال المطاوعة، والله تعالى أعلم .

﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ والتَّسْبِيحُ مجازٌ عن التَّعَجُّبِ وذريعة له، وعلاقته السَّبِيبة، فكل مَنْ تَعَجَّبَ مِنْ أَمْرٍ، قال: (سبحان الله!). و(سُبْحَانَ) اسم مصدر و(بُهْتَان) مصدر، وكلاهما على وزن (فُعْلَان) وفيهما دلالة بالغة على المبالغة في إنكار حديث الإفك، والتعجب من عظم أمره.

﴿يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ﴾ بالأمر والنهي، والتَّحْذِيرُ والتَّذْكَيرُ، والتَّرْغِيبُ والتَّرْهيبُ ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ﴾ لنظير القول في عائشة ؓ، وهذا من باب الرَّجْرَجِ ﴿أَبْدَأُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿جَعَلَ شَرْطَ الْإِيمَانِ تَرْكَ الْقَذْفِ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ، وَفِيهِ تَهْيِيجٌ لَهُمْ عَلَى سَمَاعِ وَعَظِهِ سُبْحَانَهُ، وَإِذَا جَاءَتِ الْعِظَاتُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَنَعْمًا هِيَ،﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعْمًا يَعْظُمُكُمْ بِهِ...﴾ [النساء].

ولعله خصَّ المؤمنين بالوعظ دون غيرهم، لأنهم الذين ينتفعون به، والله أعلم. فما أحوجنا إلى القرآن ولفظه، وما أفقرنا إلى تدبره ووعظه!

﴿وَيَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ الْأَيْبَاتِ﴾ ويوضح لكم الأحكام، وهذا من رحمة الله تعالى لعباده المؤمنين، فالقرآن فيه موعظة، وشفاء، وهدى، ورحمة، قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ [يونس] وَاَعْجَبَ كَيْفَ هَجَرَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ هَذَا الْخَيْرَ الْجَزِيلَ وَالْعَطَاءَ الْجَمِيلَ! ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ له الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الاسم الموصول (الذين) يعمُّ كُلَّ مَنْ يَتَّصِفُ بِصِفَةِ صِلَةِ الْمَوْصُولِ ابْتِدَاءً بِابْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ، وَاِنْتِهَاءً بِمَنْ تَبِعَهُ وَشَايِعَهُ. وَالآيَةُ صَرِيحَةٌ فِي وَجُوبِ حَسَنِ الْاِعْتِقَادِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَسَلَامَةِ الْقَلْبِ لَهُمْ، فَقَدْ جَعَلَ الْوَعِيدَ عَلَى مَحَبَّةِ شَيْعِ الْفَاحِشَةِ فِي الْمُؤْمِنِينَ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ فِسَادِ النِّيَّةِ، وَخَبَثِ الطَّوَيَّةِ، وَفِيهَا تَحْذِيرٌ مِنْ إِشَاعَةِ الْفَاحِشَةِ وَنَشْرِهَا فِي الْمُؤْمِنِينَ، وَفِي مَعْنَاهَا قَوْلُهُ ﷺ: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ...﴾ ﴿١٤٨﴾ [النساء].

﴿هُمَّ عَذَابُ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ وإذا كان هذا حال من يحبُّ أن تشيع الفاحشة، فكيف بحال من ارتكب ما هو أعظم من ذلك؟! ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١٩﴾.

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢٠﴾ [النور] الواو : استثنائية، و(لولا) : حرف امتناع لوجود، و(فضل) : مبتدأ حُذِفَ خَبْرُهُ وَجُوبًا، وَتَقْدِيرُهُ مَوْجُودٌ. وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ فِيهِ لِهَلَكَتِكُمْ، وَنَحْوَهُ، وَلَعَلَّهُ حُذِفَ لِلْعِلْمِ بِهِ تَوْخِيًّا لِلْإِيجَازِ، أَوْ أَنَّهُ تَرَكَ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّهْوِيلِ؛ حَتَّى تَذَهَبَ النَّفْسُ فِي تَقْدِيرِهِ كُلِّ مَذْهَبٍ، فَهُوَ أَمْرٌ هَائِلٌ لَا يُبْلَغُ كُنْهَهُ وَلَا يُنَالُ آخِرُهُ.

القواعد الحسان لمن سمع حديث الإفك والبهتان

جاء حديث الإفك صيانة للمجتمع من خَرَص الخَرَّاصين، وأقاول المنافقين. وَمَنْ نَظَرَ بَعِينَ عَقْلَهُ، وَسَمِعَ بِأُذُنِ قَلْبِهِ، خَرَجَ بِخَمْسِ قَوَاعِدِ حَسَانِ، حَقِيقٌ أَنْ يَأْخُذَ بِهَا كُلُّ إِنْسَانٍ سَمِعَ حَدِيثَ الْإِفْكِ وَالْبَهْتَانِ، أَوْلَاهَا : أَنْ لَا يَصْنَعِيَ الْمَرْءُ إِلَى حَدِيثِ الْإِفْكِ وَلَا يَطْرُقُ أُذُنَهُ، وَأَنْ يَنْزَهُ سَمْعَهُ وَيَجْمِي بَصَرَهُ، حَتَّى لَا يَكُونَ شَرِيكاً فِيهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُ زَيْنَبَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها : "أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي".

ثانيها : جدير به أَنْ يَعْرِضَ حَدِيثَ الْإِفْكِ عَلَى نَفْسِهِ، فَإِذَا كَانَ لَا يَصَدِّقُهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَمَنْ الْأَوْلَى أَنْ لَا يَصَدِّقَهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَا يَظُنُّ بِهِمْ إِلَّا خَيْراً، ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا...﴾ [النور].

ثالثها : أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْأَمْرِ الْمَعْلُومِ الْمَحْقَقِ عِنْدَهُ مِنْ إِيْمَانِ الْمُؤْمِنِينَ الْوَارِعِ وَالْمَانِعِ عَنِ الْبَهْتَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [الأحزاب]، فَوَجَاهَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ تَدْفَعُ عَنْهُ وَتَبْرِئُهُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَلْبَسَاةَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ...﴾ [الأحزاب]، فَشَرَفِ الْمُنْتَزِلَةِ يَدْفَعُ عَنْهُنَّ الْإِفْكَ وَيَفْضَحُهُ.

رابعها : أَنْ لَا يَنْتَقِلَ حَدِيثَ الْإِفْكِ وَيُذِيعَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِلْأُمَّةِ، وَقَدْ عَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَاسٍ سُوءَ سَمْعِهِمْ وَقَوْلِهِمْ وَأَكْلِهِمْ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿سَمْعُوكَ لِلْكَذِبِ سَمْعُوكَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ...﴾ [المائدة]، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿سَمْعُوكَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّخْتِ...﴾ [المائدة].

خامسها : يَلْزِمُهُ أَنْ يَطَالِبَ نَاقِلَ الشَّائِعَةِ بِالذَّلِيلِ وَالْبَرْهَانِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ

تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأَوَّلْتِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ
الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النور]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ
فَتَعَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات].

الحكمة من نزول براءة عائشة ؓ وحيأ يتلى

قد يسأل سائل: لماذا لم تكن براءة عائشة ؓ وحيأ على قلب رسول الله
ﷺ أو رؤيا رآها، وإنما وحيأ يتلى!؟

والجواب: جاءت براءتها محكمة في كتاب الله تعالى حتى تكون براءة
عائشة ؓ ثابتة قطعاً لا ظناً، والمؤمنون إذا تليت عليهم آيات الله تعالى تزيدهم
إيماناً، كما قال ﷺ: ﴿وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتَهُ، زَادَتْهُمْ (١) إِيْمَانًا...﴾ [الأنفال].
أما المنافقون الذين على قلوبهم أغطية وفي آذانهم صمم، فلو جئتهم بكل
آية لا يؤمنون بها، ﴿وَإِنْ دَعَّاهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف]،
﴿أَوَّلْتِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ هُمْ فِي الدُّنْيَا خَرَىٰ وَلَهُمْ فِي
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة].

فحتى يومنا هذا هناك من يصرف الآيات عن براءة عائشة ؓ، ويزعم
أنها نزلت في براءة مارية ؓ مما رمتها به عائشة ؓ، وهذا كلام غليظ تنبو عنه

(١) إسناد زيادة الإيمان إلى الآيات مجاز عقلي، لأن الآيات ليست هي التي تزيد الإيمان حقيقة،
وإنما هي سبب، والمعنى أن الله تعالى زادهم إيماناً بسبب الآيات، فهو من باب التجوز في
الإسناد.

الأسباع، وعليه جفوة أشد من جفوة الجاهلية.

أمّا مارية أم ولد رسول الله ﷺ فلا تُتهم بشيء، والنبي ﷺ تزوّجها في السنة السابعة من الهجرة، وحديث الإفك كان في السنة الخامسة من الهجرة، فكيف تنزل الآيات فيها، وهي مقيمة على دين قومها، ولا علم له ﷺ ولا علم لعائشة رضي الله عنها بها؟! فما ذاك إلا من التجني .

أيضاً الذين جاؤوا بالإفك جماعة، فألفاظ القرآن تدلّ على ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْسَبَ مِنَ الْإِنْمَاءِ﴾.

أيضاً القاذف رجل وليس امرأة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور].

وقد نقل ابن الجوزي إجماع أهل السنة على أنّها نزلت في براءة عائشة رضي الله عنها، قال: "أجمع المفسرون أن هذه الآية وما يتعلق بها بعدها نزلت في قصة عائشة رضي الله عنها، وفي حديث الإفك أن هذه الآية إلى عشر آيات نزلت في قصة عائشة" (١).

ونقل ابن أبي الحديد التواتر على أنّها نزلت في عائشة رضي الله عنها، قال: "وجحدهم لإنزال ذلك في عائشة جحد لما يُعلم ضرورة من الأخبار المتواترة" (٢).

فإيّاك أن تعود لمثل كلام ابن أبي بعد نزول القرآن صريحاً في براءة عائشة

(١) ابن الجوزي "زاد المسير" (م ٥/ص ٣٤٧).

(٢) ابن أبي الحديد "شرح نهج البلاغة" (م ٤/ص ٣٠١).

فَتَجِبَ لَكَ النَّارُ، فبراءة عائشة نتعبد الله تعالى بها في كتاب الله تعالى، وهذا الكلام لا ينبري لمعاداته، ولا يجترئ على رده ومجاراته، ولا ينكره إلا من قال الله تعالى فيهم :

﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ (٤١) [العنكبوت].

ولكن لمن تقول هذا، فمن الخلق من لا يذهن شيئاً، ولا يعي رأياً، ولا يفقه قولاً، ولا يبصر شيئاً ﴿ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا... ﴾ (١٧٨) [الأعراف].

لم يؤذون عائشة ؟!

الذين آذوا عائشة في عهد النبي ﷺ جماعة من المنافقين كرهاً في النبي ﷺ وعداوة له، وبغضاً لأبيها أبي بكر الصديق ﷺ السابق بالتصديق، ولم يقصدوا عائشة ﷺ، وإنما كانوا يريدون النيل من النبي ﷺ الذي نجح في الدعوة في المدينة، ومظاهرة الكفار على المسلمين.

ولذلك في مرجع النبي ﷺ من هذه الغزوة، قَالَ رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ ابْنُ أَبِي : لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، وعنى بالأعز نفسه، وبالأذل النبي ﷺ، فهو يريد أن يخرج النبي ﷺ من المدينة كما أخرجه الذين كفروا من مكة.

أخرج البخاري عن زيد بن أرقم ﷺ، قَالَ : " كُنْتُ مَعَ عَمِّي فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي إِبْنِ سَلُولٍ يَقُولُ : لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا، وَقَالَ أَيضاً : لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ

لِعَمِّي، فَذَكَرَ عَمِّي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَصَدَّقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَذَّبَنِي، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ
يُصِيبَنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ...﴾ (١)
[المنافقون] إلى قوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا نُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ
اللَّهِ...﴾ (٧) إلى قوله: ﴿لِيُخْرِجَ الْأَعْرُضَ مِنْهَا الْأَذَلَّ...﴾ (٨)، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَرَأَهَا عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ (١).

فلا يستبعد أن الذين يحملون على عائشة رضي الله عنها الأحقاد، في كل الأزمان
والأحقاب، إنما غرضهم مظاهره الكفار على المسلمين؛ فمعاونة الكفار على
المسلمين خصلة من النفاق وشعبة من شعبه، قال الله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ
لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٢٨) الَّذِينَ يَنْخَدُونَ الْكٰفِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئِنَّهُمْ
عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ (١٢٩) [النساء]، وقال تعالى: ﴿... أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكٰذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤)
[المجادلة].

أما الذين تكلموا بالإفك من المؤمنين، مثل: مسطح، وحسان، وحمنة، فلم
يقصدوا أذى النبي ﷺ، بخلاف ابن أبي وأصحابه، الذين قصدوا إيذائه ﷺ
ومحاربتة .

أما الذين ورثوا نفاق ابن أبي، سواء من ذهب بهم الماضي الغابر، أو من

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/٦ج/٦٤ ص) كتاب التفسير .

بِرَمِّهِمُ الحاضر، فَعَرَضَهُمُ مِنَ الطَّعْنِ بِأُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عليها السلام، الطَّعْنِ وَالتَّشْكِيكِ فِي السُّنَّةِ الَّتِي رَوَتْهَا وَنَقَلَتْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم؛ لِأَنَّ الطَّعْنَ فِي الرَّأْيِ طَعْنٌ فِي المَرْوِيِّ، وَالتَّشْكِيكِ فِي النَّاقِلِ تَشْكِيكِ فِي المَنْقُولِ.

فَأَمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ مِنْ بَيْنِ السَّبْعَةِ المَكْثَرِينَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم رِوَايَةً، وَمُسْنَدُهَا صلى الله عليه وآله وسلم يَبْلُغُ أَلْفَيْنِ وَمِائَتَيْنِ وَعَشْرَةَ أَحَادِيثَ، وَانْفَرَدَتْ عَنْهُمْ بِأَنَّ جَلَّ الأَحَادِيثِ الَّتِي رَوَتْهَا تَلَقَّتْهَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مِشَافَهَةً، كَذَلِكَ تَنَاوَلَتِ السُّنَنَ الفَعْلِيَّةَ لِقَرَبِهَا مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَطَوَّلَ مَلَازِمَتَهَا لَهُ صلى الله عليه وآله وسلم، حَتَّى قِيلَ إِنَّ رُبْعَ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مَنْقُولٌ عَنْهَا صلى الله عليه وآله وسلم.

وهؤلاء الوارثون لابن أبي لا يستطيعون إظهار العداوة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مواجهة، فيجرحون عائشة عليها السلام محاربة للسُّنَنِ القَوْلِيَّةِ وَالفَعْلِيَّةِ الَّتِي وَرَثَتْهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، وَبَلَّغَتْهَا عَنْهُ صلى الله عليه وآله وسلم.

وَلَا يَغِيبُ أَنَّ فِي حِرْصِ عَائِشَةَ عليها السلام عَلَى الحديثِ، وَحِفْظِهَا وَرِوَايَتِهَا لَهُ وَتَبْلِيغِهَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مَنْقَبَةً عَظِيمَةً لَهَا، فَقَدْ كَانَ هَمُّهَا حِفْظَ الحديثِ وَتَبْلِيغَهُ، فَوَرَدَهَا النَّاسُ وَتَلَقَّوْهُ مِنْهَا، وَتَاجَرُوا فِيهِ، فَرَبِحَ البَيْعُ، وَرَبِحَتِ التَّجَارَةُ.

هَذَا وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لِمَنْ سَمِعَ كَلَامَهُ وَوَعَاهُ وَبَلَّغَهُ بِالنُّصْرَةِ، فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: "نَصَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَحْفَظُ لَهُ مِنْ سَامِعٍ"^(١).

فَأَمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ عليها السلام مِمَّنْ بَلَّغَ عَنْهُ مَنْ غَابَ، وَمِمَّنْ حَظِي بِهَذَا الدُّعَاءِ المُسْتَجَابِ، وَهِيَ مِمَّنْ امْتَثَلَ قَوْلَهُ صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) أحمد "المسند" (ج ٤/ص ١٦٢/رقم ٤١٥٧) وإسناده صحيح.

" بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً (١) " (٢)

فطوبى لمن تشرف بالبلاغ عنك يا رسول الله! وأولهم الصحابة رضي الله عنهم، حملة العلم، ونقلة الدين، وأمان الأمة.

واعلم أن عائشة رضي الله عنها أوديت في حياتها وبعد مماتها؛ لأن لها شأواً عالياً في الإسلام، فالريح لا تلمطُ عواصفها إلا العالي من الشجر، كما قال الشاعر:

إنَّ الرِّيحَ إِذَا اشْتَدَّتْ عَوَاصِفُهَا فليس ترمي سوى العالي من الشجرِ
أو كما قال آخر:

فالريحُ تحطمُ إن هبت عواصفُها دوح الثمار وينجو الشئح والرَّم

ثلاث من كن فيه كن عليه

اعلم أن أهل الحق يُعادون، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ... ﴾ (١١٣) [الأنعام]، ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ... ﴾ (٣١) [الفرقان].

واعلم أن أهل الحق يُستهزأ بهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَخَدُّونَكَ إِلَّا هُزُوعًا ... ﴾ (٤١) [الفرقان] ولذلك قال هؤلاء المستهزون ما حكاه الله تعالى عنهم: ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ (٤١) [الفرقان]. ولا يخفى خروج الاستفهام إلى معنى التحقير، وأن اسم الإشارة (هذا) للقريب، والغرض التحقير

(١) قوله رضي الله عنه: "بلَّغوا" تكليف، وقوله رضي الله عنه: "عني" تشریف، وقوله رضي الله عنه: "ولو آية" تخفيف.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٤ج/ص ١٤٥) كتاب أحاديث الأنبياء.

بالقرب أيضاً، ومثله قوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ
 ءَالِهَتَكُمْ... ﴾ [الأنبياء] ، وقول مَنْ قال منهم : ﴿ أَهْؤُلَاءِ مَنِ اللَّهُ عَلَيْهِمُ
 مَنْ يُبَيِّنَاتُ... ﴾ [الأنعام] .

فإيذاء النبي ﷺ، ورمي أصحابه ﷺ، وإيذاء المؤمنين في عائشة ؓ من
 السنن، ذلك أَنَّ أهل الحق لهم أعداء، ولذلك قال ورقة للنبي ﷺ : " لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ
 قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي " (١) .

لكن الباغي عليه تدور الدوائر، ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ
 ... ﴾ [يونس] والشؤء لا يقع فيه إِلَّا فاعله، والمكر لا يجيئ إِلَّا بصاحبه
 ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ... ﴾ [فاطر] .

ولذلك قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ : الْبَغْيُ،
 وَالنَّكْتُ، وَالْمَكْرُ " قال ﷺ : ﴿ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ... ﴾ [يونس]، وقال:
 ﴿ فَمَنْ نَكَّتْ فَإِنَّمَا يَنْكُتُ عَلَىٰ نَفْسِهِ... ﴾ [الفتح]، وقال : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ
 السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ... ﴾ [فاطر] .

فَمَنْ ظَلَمَ عَائِشَةَ ؓ مِّنْ سَلَفٍ وَمَضَىٰ وَغَبِرَ، أَوْ مَنَّ خَلْفَ وَأَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ،
 فَإِنَّمَا بَغِيهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا حَسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ .

(١) متفق عليه: البخاري "صحيح البخاري" (١م/ج١/ص٣) بدء الوحي، ومسلم "صحيح
 مسلم بشرح النووي" (١م/ج٢/ص٢٠٣) كتاب الإيمان .

وهذه سنن ماضية لا تبدل ولا تتغير، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ

فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ [فاطر].

واعلم أن من سنن الله تعالى أن الرسل تبلى ثم تكون لهم العاقبة، قال هِرَقْلُ لِأَبِي سُفْيَانَ: "وَسَأَلْتَكُ هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ، فَتَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سِجَالًا، يَنَالُ مِنْكُمْ وَتَنَالُونَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ هُمْ الْعَاقِبَةُ" (١).

ومن سنن الله تعالى أن يُبْتَلَى الْمُتَّقُونَ، ثم يجعل الله تعالى العاقبة لهم، قال

تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ [القصص]، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْقَوِيِّ ﴿١٣٢﴾ [طه].

حَنَانِيكَ رَبَّنَا، اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ قَلْتَ فِيهِمْ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ

أَمِينٍ ﴿٥١﴾ [الدخان] وقلْتَ فِيهِمْ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ

صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾ [القمر].

قذف المحصنات من السبع الموبقات

القذف لغة: الرمي مطلقاً بحجر أو سهم ونحوهما مما يؤدي، ثم استُعيِرَ

للقذف باللسان، لأنه يشبه الأذى الحسي، فخرج اللسان مخرج اليد، فهو في المقال

كناية عن الشتم. والقذف اصطلاحاً: الرمي بزنا، واشتهر في هذا المعنى حتى

غلب عليه.

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/ج ٥/ص ١٦٨) كتاب التفسير. ومسلم "صحيح

مسلم بشرح النووي" (٦م/ج ١٢/ص ١٠٦) كتاب الجهاد.

وجاء التّعبير عن القذف بالرّمي ثلاث مرّات في ثلاث آيات من سورة النّور، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ...﴾ (النّور، ٤) وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ...﴾ (النّور، ٦) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ...﴾ (النّور) وهو من بلاغة القرآن؛ فإنّ الكلمة إذا خرجت من اللّسان لا يقوى اللّسان على العودة بها أو ردّها، فهي كالحجر ونحوه ممّا يرمى، فلا تعود اليدّ قادرة على رده.

واتّفق الفقهاء على تحريم القذف، وأنّه من الكبائر، والأصل في تحريمه الكتاب والسنة، فمن الكتاب آيات بيّنة، منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النّور، ٤) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النّور).

واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية على أفعال أربعة: الأوّل أنّها نزلت في عائشة رضي الله عنها، والثاني: أنّها في أزواج النّبِيِّ صلى الله عليه وآله، والثالث: أنّها في المهاجرات، والرّابع: أنّها عامّة في أزواج النّبِيِّ صلى الله عليه وآله وغيرهنّ.

وقوله تعالى: ﴿الْغَافِلَاتِ﴾ أي لا علم لهنّ بما رمين به، كناية عن براءتهنّ، وقوله: ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ فيه تشنيع على الذين يقذفونهنّ كذباً؛ لأنّ وصف الإيذان وازع لهنّ عن الوقوع في هذا الإفك المفترى.

ومن أدلّة تحريمه من السنة قول النّبِيِّ صلى الله عليه وآله: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا

: يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : الشُّرُكُ بِاللَّهِ ، وَالسَّحَرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ
إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرَّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَيُّ يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ ^(١) الْمُحْصَنَاتِ
الْمُؤْمِنَاتِ الْعَافِلَاتِ ^(٢) .

حصان رزان

قَالَ حَسَّانٌ ^(٣) يُرِيءُ عَائِشَةَ ^(٤) فِيمَا قِيلَ فِيهَا ، وَيَعْتَدِرُ إِلَيْهَا :

حَصَانٌ ^(٣) رَزَانٌ ^(٤) مَا تُزْنُ ^(٥) بِرِيْبَةٍ
حَلِيلَةٌ خَيْرُ النَّاسِ دِينًا وَمَنْصِبًا
عَقِيلَةٌ حَيٌّ مِنْ لُؤْيٍ بْنِ غَالِبٍ
مُهْدَبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا ^(٦)
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُمْ
وَتَصْبِحُ عَزْنِي ^(١) مِنْ لِحُومِ الْعَوَافِلِ
نَبِيُّ الْهُدَى وَالْمَكْرُمَاتِ الْفَوَاضِلِ
كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهَا غَيْرُ زَائِلِ
وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ
فَلَا رَفَعْتُ ^(٨) سَوْطِي إِلَيَّ أَنْامِلِي ^(٩)

(١) القذف أنواع ثلاثة : صريح ، وكناية ، وتعريض . وأتفق الفقهاء على وجوب حدِّ القذف
بصريح الرِّنا ، واختلفوا في الكناية والتعريض .

(٢) البخاري " صحيح البخاري " (٢م / ٣ ج / ص ١٩٥) كتاب الوصايا .

(٣) عفيفة .

(٤) ذات ثبات ووقار .

(٥) ما تَنَّهُم .

(٦) جَوْعَى ، أي لا تقع في لحوم الناس ، ولا ترتع في أعراضهم .

(٧) أصلها .

(٨) يدعو على نفسه أن تشلَّ يده إن قال شيئاً ، لكن سمع .

(٩) ديوان حسان بن ثابت ^(١٠) (ص ٢٠٢) .

ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر

بَارَكَ اللهُ تَعَالَى لِلنَّاسِ بِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَفَضْلُهَا وَتَكَرُّرِ الْبَرَكَةِ مِنْهَا وَكَثْرَةِ الْخَيْرِ بِسَبَبِهَا ثَابِتٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَمَا نَزَلَ بِعَائِشَةَ مِنْ أَمْرٍ تَكَرَّرَهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ خَيْرًا، فَضِياعُ عَقْدِهَا وَمَا نَشَأَ عَنْهُ مِنْ حَدِيثِ الْإِفْكِ نَزَلَ بِسَبَبِهِ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ، فِيهَا مِنَ الْأَحْكَامِ وَالْإِحْكَامِ مَا فِيهَا، فَمَا كَانَ أَعْظَمَ بَرَكَةً عَقْدِهَا!

وقد ضاع عقدها في غزاة أخرى، وكان سبباً في نزول آية التيمم، قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: "خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ، أَوْ بَدَاتِ الْجَيْشِ، انْقَطَعَ عَقْدِي لِي، فَأَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيَّ التَّيْمُمَ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَيَّ مَاءً، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ، فَأَتَى النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ فَقَالُوا: أَلَا تَرَى مَا صَنَعْتَ عَائِشَةُ؟ أَقَامَتْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِالنَّاسِ مَعَهُ، وَلَيْسُوا عَلَيَّ مَاءً، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ؟ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَاضِعٌ رَأْسُهُ عَلَيَّ فَخِذِي قَدْ نَامَ، فَقَالَ: حَبَسَتْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالنَّاسُ، وَلَيْسُوا عَلَيَّ مَاءً، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءً، قَالَتْ: فَعَاتَبَنِي، وَقَالَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِهِ فِي خَاصِرَتِي، فَلَا يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحْرُكِ إِلَّا مَكَانُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَيَّ فَخِذِي، فَتَنَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَصْبَحَ عَلَيَّ غَيْرَ مَاءً، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيْمُمِ فَتَيَمَّمُوا.

فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحَضِرِيِّ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَعَثْنَا الْبَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ، فَوَجَدْنَا الْعِقْدَ تَحْتَهُ" ^(١).

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٤ج/ص ١٩٥) كتاب المناقب.

القسم الثالث نفحات من استدراقات أم المؤمنين رضي الله عنها

رجوع الصحابة رضي الله عنهم إليها رضي الله عنها

عائشة رضي الله عنها : حبيبة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، أعلم وأفقه نساء الأمة قاطبة،
أزيتت كُتُبُ الصَّحاح بفتاويها، وحفلت برواياتها.

كان كبار الصحابة وأعلامهم يستفتونها ويرجعون إليها، وكانت تناظر
الرَّاسخين منهم وتردُّ عليهم، ولم لا؟! فهي زوج النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، لزمته في السَّفر
والحضر، وأطلعت وعلمت منه من المسائل والفضائل ما لم يعلمها غيرها.
ومَّا يُظْهِرُ سَعَةَ عِلْمِهَا رجوعُ كبارِ الصَّحابة والتَّابعين إليها في بعض
المسائل، فهذا أبوها أبو بكر الصَّدِّيق رضي الله عنه يَرْجِعُ إليها في مَرَضِهِ الَّذِي مات فيه،
ويسألها عن قَدْرِ كَفَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وعن يوم موته صلى الله عليه وسلم، روى البخاري عن عائشة
رضي الله عنها، قالت :

" دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقَالَ : فِي كَمْ كَفَنْتُمُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَتْ : فِي
ثَلَاثَةِ أَنْوَابٍ بَيْضٍ سَحُولِيَّةٍ^(١) لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ، وَقَالَ لَهَا : فِي أَيِّ يَوْمٍ
تُوِّفِّي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَتْ : يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، قَالَ : فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالَتْ : يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ،
قَالَ : أَرْجُوا فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّيْلِ، فَنَظَرَ إِلَى نَوْبٍ عَلَيْهِ كَانَ يَمْرُضُ فِيهِ، بِهِ رَدْعٌ^(٢)
مِنْ زَعْفَرَانٍ، فَقَالَ : اغْسِلُوا ثَوْبِي هَذَا، وَزِيدُوا عَلَيْهِ ثَوْبَيْنِ فَكَفَّنُونِي فِيهَا، قُلْتُ : إِنَّ
هَذَا خَلْقٌ، قَالَ : إِنَّ الْحَيَّ أَحَقُّ بِالْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ، إِنَّمَا هُوَ لِلْمُهَلَّةِ، فَلَمْ يَتَوَفَّ حَتَّى

(١) ثياب بيض نقيّة من القطن، ولعلّها منسوبة إلى سحول بلد باليمن تجلب منها هذه الثياب.

(٢) أي لطح لم يعمّه كله.

أَمْسَى مِنْ لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ وَدُفِنَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ" (١).

ولعلَّه ﷺ أراد إلى جانب حقيقة السؤال أن يوطئ لعائشة رضي الله عنها؛ لِتَصْبِرَ عَلَى فَقْدِهِ، مِمَّا يُطَهِّرُ فِرَاسَتَهُ وَثَبَاتَهُ حِينَ وَفَاتِهِ.

استدراكها ﷺ ومقاييس نقد الحديث عندها

لا عَجَبَ أَنْ تُسَهِّمَ عَائِشَةُ رضي الله عنها فِي حِفْظِ السُّنَّةِ، فَهِيَ مَعْدُودَةٌ فِي عِلْمَاءِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَمِنَ الْمَكْتَرِينَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ رَوَايَةً وَدِرَايَةً. وَرَوَايَتُهَا الْحَدِيثَ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لَهَا، فَهِيَ أَحْفَظُ الصَّحَابِيَّاتِ وَأَكْثَرُهُنَّ فِي رَوَايَةِ الْحَدِيثِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ لَوَاحِدَةٍ مِنَ الصَّحَابِيَّاتِ قَدْرُهَا فِي رَوَايَةِ الْحَدِيثِ وَلَا مَا يُقَارِبُهُ.

رَوَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْكَثِيرَ الطَّيِّبَ، وَرَوَتْ عَنْ أَبِيهَا، وَعَنْ عُمَرَ، وَفَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَأُسَيْدَ بْنِ حُضَيْرٍ وَغَيْرِهِمْ، وَرَوَى عَنْهَا مِنَ الصَّحَابَةِ عُمَرُ، وَابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِمْ، وَمِنَ كِبَارِ التَّابِعِينَ حَدَّثَتْ عَنْهَا سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَعَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ، وَمَسْرُوقٌ، وَآخَرُونَ كَثِيرُونَ.

وهي رائدة نساء الأئمة في توثيق السنة على الإطلاق، وأسوة في نقد الحديث باستدراكاتها، ولا عزو؛ فقد تربت في بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفي بيت النبي ﷺ مهبط الوحي، ومعين العلم.

ولا ريب أنَّها تدرك وجه خيرية السنة نظماً ومعنى واعتقاداً وقولاً وفعلاً،

(١) البخاري "صحيح البخاري" (١م/١ج/٢ص/١٠٦) كتاب الجنائز.

وتعلم ما لها من أثر على الفرد والمجتمع. فالسنة توحد المسلمين، وتجمع كلمتهم، وتلم شعئهم، وتصلح شأنهم، وتؤلف بين قلوبهم، فضلاً عن أنها ميّنة لكتاب ربهم، والمصدر الثاني للتشريع الإسلامي؛ ولذلك أولتها جلّ اهتمامها.

وكان لأئمّ المؤمنين عليهم السلام مقاييس في نقد الحديث، كعرض الحديث على القرآن الكريم، روى البخاري عن مسروق، قال: قُلْتُ لِعَائِشَةَ رضي الله عنها: يَا أُمَّتَاهُ، هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: "لَقَدْ قَفَّ^(١) شَعْرِي مِمَّا قُلْتَ! أَيْنَ أَنْتِ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكُنَّ فَقَدْ كَذَبَ: مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام]، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ ...﴾ [الشورى]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي عَدِيٍّ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ عَدَاً ...﴾ [لقمان]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْغُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ...﴾ [المائدة] الآية، وَلَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيْلَ عليه السلام فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ" ^(٢).

ولسلم عن الشعبي، عن مسروق، قال: كُنْتُ مُتَكِيًّا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: "يَا أَبَا عَائِشَةَ (مسروق)، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ،

(١) قَفَّ شعري: قام من الفرع.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/٦ج/٥٠ ص) كتاب التفسير.

قَالَ : وَكُنْتُ مُتَكِنًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِيَنِي وَلَا تَعَجَلِيَنِي، أَلَمْ يَقُلْ اللهُ ﷻ : ﴿لَقَدْ رَأَاهُ بِالْأَفْقِ الْأَيْمَنِ﴾ [التكوير] ، ﴿لَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ [النجم] ؟ فَقَالَتْ : أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَن ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : إِنَّمَا هُوَ جَبْرِيْلُ لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظْمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ .

فَقَالَتْ : أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهُ يَقُولُ : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام] أَوْ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهُ يَقُولُ : ﴿وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُلْكَمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ عَسِيمٍ﴾ [الشورى] . قَالَتْ : وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بِبَلِغٍ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾ [المائدة] قَالَتْ : وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدِّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ ، وَاللهُ يَقُولُ : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ...﴾ [النمل] ^(١) .

ومن مقاييس توثيق السنَّة عندها عرض السنَّة على السنَّة، سأل مُحَمَّد بن المنتَشِر عَبْدَ اللهِ بنَ عُمَرَ رضي الله عنه عَنِ الرَّجُلِ يَتَطَيَّبُ، ثُمَّ يُصْبِحُ مُحْرِمًا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ : "مَا أَحَبُّ أَنْ أُصْبِحَ مُحْرِمًا أَنْصَحُ ^(٢) طَيِّبًا، لِأَنَّ أَطْلِيَّ بَقَطِرَانَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٢م/ج ٣/ص ٨) كتاب الإيمان .

(٢) نضح : فار ، ومنه قوله تعالى : ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ﴾ [الرحمن] .

أَفْعَلَ ذَلِكَ" (١) فَدَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَأَخْبَرَهَا عَنْ قَوْلِ ابْنِ عُمَرَ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ:
 "أَنَا طَيَّبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عِنْدَ إِحْرَامِهِ، ثُمَّ طَافَ فِي نِسَائِهِ، ثُمَّ أَصْبَحَ مُحْرِمًا" (٢).
 وفي رواية، قَالَتْ: "يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، كُنْتُ أُطَيِّبُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
 فَيَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ، ثُمَّ يُصْبِحُ مُحْرِمًا يَنْصُخُ طَيْبًا" (٣).

وفي استرحامها ودعائها لابن عمر دلالة على سهوه، وفيه إظهار لعذره،
 فلو استحضر فِعْلَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ما قال ذلك. وحاصل كلامها رضي الله عنها أنها كانت تطيب
 النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قبل الإحرام بالحج، وكانت تطيبه لعله قبل أن يفيض بأطيب طيب تيسر
 لها، روى مسلم عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: "كُنْتُ أُطَيِّبُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَبْلَ أَنْ يُحْرِمَ
 وَيَوْمَ النَّحْرِ قَبْلَ أَنْ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ بِطَيْبٍ فِيهِ مِسْكٌ" (٤).

ومن عرضها السُّنَّةَ على السُّنَّةِ استدراكها على أمهات المؤمنين، روى
 البخاري عن عُرْوَةَ عن عَائِشَةَ رضي الله عنها: "أَنَّ أَرْوَاجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حِينَ تُوِّفِيَ رَسُولُ اللَّهِ
صلى الله عليه وسلم أَرْدَنَ أَنْ يَبْعَثَ عُمَانَ رضي الله عنه إِلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، يَسْأَلُهُ مِيرَاثَهُنَّ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَلَيْسَ
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لَا تَوْرَثُ مَا تَرَكَنَا صَدَقَةً؟! (٥). وفي الحديث دليل على فقهه
 عائشة رضي الله عنها، وسعة حفظها، وبثها للعلم، وإطلاعها على ما لم يطلع عليه غيرها

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٤م/٨ج/١٠٢) كتاب الحج .

(٢) المرجع السابق.

(٣) البخاري "صحيح البخاري" (١م/١ج/٧١) كتاب الغسل .

(٤) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٤م/٨ج/١٠٢) كتاب الحج .

(٥) البخاري "صحيح البخاري" (٤م/٨ج/٥) كتاب الفرائض.

من أمّهات المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ.

وَمِنْ ذَلِكَ اسْتَدْرَاكُهَا عَلَى أُخِيهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ سَالِمِ مَوْلَى شَدَّادٍ قَالَ: " دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ تُوُفِّيَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَدَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، فَتَوَضَّأَ عِنْدَهَا، فَقَالَتْ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، أَشْبَعِ الْوُضُوءَ؟ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ" ^(١).

أَرَادَتْ رضي الله عنه أَنْ تَذَكَّرَ أَخَاهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ رضي الله عنه بِوَجُوبِ غَسْلِ الرَّجُلَيْنِ بِكُمَاهَا، وَأَنَّ الْمَسْحَ لَا يَجِزِي، وَلَعَلَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ رضي الله عنه كَانَ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، فَقَدْ كَانَ خَارِجًا فِي جَنَازَةِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، فَلَمَسْلَمَ عَنْ سَالِمِ مَوْلَى الْمُهْرِيِّ، قَالَ: " خَرَجْتُ أَنَا وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فِي جَنَازَةِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، فَمَرَرْنَا عَلَى بَابِ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَذَكَرَ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ" ^(٢).

وَمِنَ الْمَقَائِسِ عَرْضَ الْحَدِيثِ عَلَى حَدِيثِ عِنْدَهَا، عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَائِشَةَ فَدَخَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ، فَقَالَتْ: " أَنْتَ الَّذِي تُحَدِّثُ أَنَّ امْرَأَةً عُدَّتْ فِي هِرَّةٍ لَهَا رَبَطَتُهَا، فَلَمْ تَطْعَمْهَا وَلَمْ تَسْقِهَا؟ فَقَالَ: سَمِعْتُهُ مِنْهُ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ -، فَقَالَتْ: هَلْ تَدْرِي مَا كَانَتْ الْمَرْأَةُ؟ إِنَّ الْمَرْأَةَ مَعَ مَا فَعَلْتِ، كَانَتْ كَافِرَةً، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ أَنْ يُعَدَّبَهُ فِي هِرَّةٍ... " ^(٣).

وَلَعَلَّ عَذْرَ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ مَنَاسِبَةَ الْحَدِيثِ، فَعَلَّةَ دَخُولِهَا النَّارَ

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٢م/ج ٣/ص ١٢٨) كتاب الطهارة.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أحمد "المسند" (ج ٩/ص ٥٤٩/رقم ١٠٦٧٥) وإسناده حسن.

إلى جانب ما فعلته في الهرة كُفَرها، ولعلَّ ما يُؤيِّدُ كَوْنَهَا كَافِرَةً مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مَسْنَدِهِ (١)، والبيهقي في البعث والنَّشور (٢)، وهو موافق لما رواه أحمد. وهذه المرأة هي التي رآها النَّبِيُّ فِي النَّارِ، وهي من بني إسرائيل كما في صحيح مسلم أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قال: " وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا، رَبَطْتَهَا فَلَمْ تُطْعَمْهَا، وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ " (٣).

ومن العلماء مَنْ يرى أَنَّهُ لَيْسَ فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ مَا يَقْتَضِي كُفْرَهَا، وَأَنَّهَا إِنَّمَا عُدِّتْ بِسَبَبِ إِصْرَارِهَا عَلَى حَبْسِ الْهِرَّةِ وَسَجْنِهَا حَتَّى مَاتَتْ، وَأَنَّ الْإِصْرَارَ عَلَى الصَّغَائِرِ وَعَدَمَ الْمَبَالَاةِ بِهَا وَالْمَجَاهِرَةَ بِهَا بِصَيِّرِهَا كِبَارًا، وَأَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خَوْلَفَتْ. فَاَلْمَسْأَلَةُ لَا تَخْلُو مِنْ خِلَافٍ، وَالْحَاصِلُ إِذَا كَانَ هَذَا حَالًا مَنْ عَذَّبَ هِرَّةً، فَمَا حَالُ مَنْ عَذَّبَ الْعِبَادَ!؟

ومن المقاييس عرضها السُّنَّةَ عَلَى وَقَائِعِ التَّارِيخِ، فَقَدْ رَوَى الشَّيْخَانُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ الْأَسْوَدِ، قَالَ: " ذَكَرُوا عِنْدَ عَائِشَةَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ وَصِيًّا، فَقَالَتْ: مَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ، وَقَدْ كُنْتُ مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي أَوْ قَالَتْ حَجْرِي، فَدَعَا بِالطُّسْتِ، فَلَقَدْ انْحَنَتْ (مَالَ) فِي حَجْرِي، فَمَا شَعَرْتُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَمَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ! " (٤).

(١) أبو داود "مسند أبي داود" (ج ٣/ص ٢٨/رقم ١٥٠٣).

(٢) البيهقي "البعث والنَّشور" (ج ١/ص ٧٩/رقم ٤٨).

(٣) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (م ٣/ج ٦/ص ٢٠٩) كتاب الكسوف.

(٤) البخاري "صحيح البخاري" (م ٢/ج ٣/ص ١٨٦) كتاب الوصايا، ومسلم "صحيح

مسلم بشرح النووي" (م ٦/ج ١١/ص ٨٨) كتاب الوصية.

وهذا يدلُّك على أنَّ هناك فئة حاقدة كانت تُلْفَقُ الأحاديث على رسولِ الله ﷺ منذ ذلك العهد؛ لِتُوَقِّعَ الفرقة والعداوة بين المسلمين، ولذلك قامت عائشة رضي الله عنها كغيرها من أكابر الصَّحابة بجهود جَمَّةٍ في توثيق السُّنة.

ومعلوم أنَّ علياً رضي الله عنه نفسه كان يردُّ هذه الفرية، عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: قِيلَ لِعَلِيِّ: أَلَا تَسْتَخْلِفُ؟ قَالَ: " مَا اسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَخْلِفُ عَلَيْكُمْ، وَإِنْ يُرِدِ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِالنَّاسِ خَيْرًا، فَسَيَجْمَعُهُمْ عَلَى خَيْرِهِمْ كَمَا جَمَعَهُمْ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ ﷺ عَلَى خَيْرِهِمْ" ^(١).

قلت: وطالما أنَّ الله تعالى تكفَّلَ بحفظ القرآن، فالسُّنة محفوظة بالتَّبعية، ومن حفظ الله للسُّنة أن قيَّدَ الله تعالى لها رجالاً من أمثال أبي هريرة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم كثير رضي الله عنهم، ونساءً من أمثال أمهات المؤمنين: عائشة، وأمّ سلمة، وسودة، وحفصة، وزينب، وجويرية، وأمّ حبيبة، وميمونة، وصفية... رضي الله عنهم، وبنات النبي ﷺ فاطمة الزَّهراء رضي الله عنها، وصحبايات من أمثال: خنساء بنت خدام، ولبابة بنت الحارث، وأمّ هانئ بنت أبي طالب أخت عليّ، وأسماء بنت أبي بكر الصِّديق، وأمّ قيس بنت محصن أخت عكاشة الذي طلب من النبي ﷺ أن يدعو الله أن يجعله من الذين يدخلون الجنة بغير حساب، وغيرهنَّ كثير رضي الله عنهم.

(١) الهيثمي "مجمع الزوائد" (ج ٩/ ص ٤٧/ رقم ١٤٣٣٤) وقال: رَوَاهُ الْبِرَّازُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي الْحَارِثِ، وَهُوَ ثِقَّةٌ. وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ فِي "المستدرک" (ج ٣/ ص ٧٩) كتاب معرفة الصَّحابة رضي الله عنهم، ووافقه الذهبي.

القسم الرابع حادثة الجمل

الفتنة الأولى : مقتل عثمان ؓ

كانت فتنة قتل الخليفة عثمان ؓ أول الفتن وأعظمها بعد أن كُسرَ بابُ الفتنة عمرؓ ، وكان عثمان في هذه الفتنة على الحق والهدى، قَالَ كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ : " ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّمَ فِتْنَةً فَقَرَّبَهَا، وَعَظَّمَهَا، قَالَ: ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ مُتَّقِنٌ فِي مَلْحَفَةٍ، فَقَالَ: هَذَا يَوْمِيذٍ عَلَى الْحَقِّ. فَأَنْطَلَقْتُ مُسْرِعًا، أَوْ قَالَ: مُحْضِرًا، فَأَخَذْتُ بِضَبْعِيهِ (بِعَضْدِيهِ)، فَقُلْتُ: هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هَذَا. فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ " (١).

ولذلك قال النبي ﷺ : " مَنْ نَجَا مِنْ ثَلَاثٍ فَقَدْ نَجَا - قَالَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - قَالَوا: مَاذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : مَوْتِي، وَمَنْ قَتَلَ خَلِيفَةَ مُصْطَفِيٍّ بِالْحَقِّ يُعْطِيهِ، وَالِدَجَالِ " (٢).

وقد قُتِلَ الخليفة عثمان ؓ في هذه الفتنة مظلوماً كما أخبر النبي ﷺ ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ: " ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِتْنَةً، فَمَرَّ رَجُلٌ ، فَقَالَ ﷺ : يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا الْمُقْنَعُ يَوْمِيذٍ مَظْلُومًا. قَالَ: فَنَظَرْتُ، فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ " (٣).
وقد نشأ عن هذه الفتنة فتن أخرى، منها فتنة الجمل، ووقعت دون قصد.

(١) أحمد "المسند" (ج ١٤ / ص ٧٦ / رقم ١٨٠٣٦) وإسناده صحيح.

(٢) أحمد "المسند" (ج ١٦ / ص ٣٢٢ / رقم ٢٢٣٨٧) وإسناده صحيح.

(٣) أحمد "المسند" (ج ٥ / ص ٣١٢ / رقم ٥٩٥٣) وإسناده صحيح. والترمذي "سنن الترمذي" (ج ٥ / ص ٦٣٠ / رقم ٣٧٠٨) كتاب المناقب ، وقال أبو عيسى : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ. وحسنه الألباني في "الصحيححة" (ج ٧ / ص ٣١٨).

مسير عائشة رضي الله عنها إلى البصرة وعذرها

قال قوم : أذنبت عائشة ذنباً لا تنفعُ معه توبةٌ ولا إناية، ولا يُقبلُ معه عدلٌ ولا شفاعة، فقد خَرَجَتْ على إِمَامٍ زمانها، وخلعت يد الطّاعة، وفارقت الجماعة، واستحلَّت السَّيفَ تحت راية عمياء، في مَلَأٍ مِنَ النَّاسِ، فيهم طلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وأنهم قبلوا البيعة لفظاً، ورفضوها معنى.

قلنا : كَمْ سَاقَ الحِجَامُ إلى القُبُورِ أناساً ظلموا أنفسهم : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ، فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد]

فهؤلاء إنَّما سخطوا على مَنْ رضي الله عنهم ، وكرهوا رضوان الله تعالى !
فما خرج أحد منهم رضي الله عنه على علي رضي الله عنه ، وما نزعَ يداً مِنْ طاعة، وما فارق الجماعة؛ فهم لا يجهلون وجوب الوفاء ببيعة خليفة المسلمين، ووجوب ملازمة الجماعة خاصّة عند ظهور الفتن، وعدم جواز القتال تحت راية عُمَيَّة، فقد قال النبي ﷺ : " مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الجُمَاعَةَ، فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً. وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةِ عُمَيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصْبَتِهِ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبَتِهِ، أَوْ يَنْصُرُ عَصْبَتَهُ، فَقَتِلَ، فَقَتَلَهُ جَاهِلِيَّةً. وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاسَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِدِي عَهْدِ عَهْدِهِ، فَلَيْسَ مِنِّي وَكَسْتُ مِنْهُ " (١).

فهل نحن أعلم بهذا الحديث الشريف من أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير؟! أم خُصِصْنَا بالعلم به، وعزَّب عنهم ولم يعرفوه؟! أم نحن أعلم منهم بقوله ﷺ : " وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٦م/ج١٢/ص٢٣٨) كتاب الإمارة.

الإمام جُنَّةٌ يَقَاتِلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ" (١).

فهل نعلم نحن أنه لا يجوز القتال إلا تحت راية الإمام، ولا يجوز أن نتقدم على رأيه، وإنما نكون تبعاً لتدبيره في التوازل وغيرها، ويجهل ذلك المقطوع لهم بالخيرية؟!!

لكنّها ﷺ لما قُتِلَ عثمان رضي الله عنه في داره (٢)، وهو يقرأ كلام الله في المصحف الذي جمع الناس عليه، وفاض دمه على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة] شقَّ عليها ذلك كما شقَّ على المسلمين.

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، وإنما نشأ عن هذه القاصمة قواصم أخرى، فالذين استباحوا حرمة المدينة المنورة من المنافقين والغوغاء وتجروؤوا على الخليفة عثمان رضي الله عنه وقتلوه، تفرَّق بعضهم في الأمصار، فسارع إليهم كثيرٌ ممن يتعصب لهم من قبائلهم، وممن يهبُّ مع كلِّ ريح، وممن يضمّر الشرَّ للإسلام، فانتقضت واضطربت البلاد، وهاج الشرُّ بين الناس .

ولم يكن من السهل على الخليفة عليّ رضي الله عنه يومها أن يتبين هؤلاء البغاة، أو يقتصص منهم. وتنازع الناس الأمر، فصاروا بين : مُسرّع، ومُبطئ، ومعتزل، ومصلح .

فمنهم من رأى الإسراع في قتل قتلة عثمان رضي الله عنه، ومنهم من رأى التريث حتى تنجلي عن وجه الحق، ومنهم من اعتزل الفتنة، ومنهم من سعى للإصلاح

(١) البخاري " صحيح البخاري " (٢م / ٢ج / ٤ ص / ٨) كتاب الجهاد والسير .

(٢) انظر كتابنا " شهيد الدار : عثمان بن عفان رضي الله عنه " .

وإخماد جمر الفتنة .

فَمَوَاقِفَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ تَبَايَنْتِ مِنْ مَقْتَلِ الْخَلِيفَةِ عَثْمَانَ إِلَى أَرْبَعَةِ مَوَاقِفَ :
أُولَئِكَ : كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ مَنْ غَضِبَ لِعَثْمَانَ رضي الله عنه فِي حَرَمَةِ الدَّمِّ وَالشَّهْرِ وَالْبَلَدِ
وَالدَّارِ ، فَرَأَوْا أَنَّ التَّعْجِيلَ فِي تَعْقُبِ قَتْلِهِ وَالْإِسْرَاعَ فِي مُحَاسِبَتِهِمْ أَمْرٌ وَاجِبٌ قَبْلَ أَنْ
يَسْتَطِيرَ شَرُّ هَؤُلَاءِ الْبَغَاةِ الْمُنَافِقِينَ ، وَيَصِيبَ عَلِيًّا رضي الله عنه مَا أَصَابَ عَثْمَانَ رضي الله عنه ، وَيَنْفَتِقَ
فِي الْإِسْلَامِ فَتَقَّ لَا رَتَقَ لَهُ ، وَهُمْ أَهْلُ الشَّامِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ مَعَاوِيَةُ رضي الله عنه ، وَشَطْرَ مَنْ
أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، وَمِثْلَهُمْ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ .

ثَانِيهَا : مِنْهُمْ مَنْ رَأَى ضَرُورَةَ تَأْجِيلِ مَلَاحِقَةِ قَتْلِ عَثْمَانَ رضي الله عنه وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ
عَلَيْهِمْ حَتَّى يَتَوَطَّدَ الْحُكْمُ لِلْخَلِيفَةِ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، وَتَصِيرَ لَهُ شَوْكَةٌ ، وَيَخْضَعُ الْبِلَادُ الَّتِي
انْتَقَضَتْ بَعْدَ اسْتِشْهَادِ عَثْمَانَ رضي الله عنه ، وَهُمْ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ خَاصَّةً أَهْلُ الْكُوفَةِ ،
فَقَدْ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ رضي الله عنه فِي ذَلِكَ .

ثَالِثُهَا : مِنْهُمْ مَنْ اعْتَزَلَ الْفِتْنَةَ ، وَأَثَرَ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ حَتَّى تَنْجَلِيَ هَذِهِ الْغَمَّةُ
وَالظُّلْمَةُ وَيَبْزُغَ فَمَرُّهَا ، تَمَسُّكَ بِالْأَحَادِيثِ الَّتِي تَأْمُرُ بِالْكَفِّ عَنِ الْقِتَالِ بَيْنَ
الْمُسْلِمِينَ ، وَمَا فِيهَا مِنْ وَعِيدٍ عَلَى مَنْ حَمَلَ السَّلَاحَ عَلَى الْمُسْلِمِ ، وَهُمْ كَثُرَ ، مِنْهُمْ :
سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو ، وَالْمَغِيرَةُ بْنُ شَعْبَةَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ،
وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ ، وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، وَأَبُو مُوسَى
الْأَشْعَرِيُّ ، وَأَبُو مَسْعُودٍ عَقْبَةُ بْنُ عَمْرِو الْأَنْصَارِيُّ ، وَصُهَيْبُ بْنُ سِنَانَ الرَّومِيُّ ،
وَعِمْرَانُ بْنُ حُصَيْنٍ بْنُ عُبَيْدٍ ، وَسَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ ، وَأَبُو بَكْرَةَ نُفَيْعُ بْنُ الْحَارِثِ ،
وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ ، وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ رضي الله عنهم .

رابعها : منهم مَنْ سعى للإصلاح وجمع الكلمة، بعد أن تَشَطَّى القوم، وكشفت الفتنة قناعها، ويمثلهم أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ومَحْرُمُهَا ابن أختها عبد الله رضي الله عنه، واثنان مِنَ المشهود لهم بالجنة، وهما : طلحة، والزبير رضي الله عنهما.
 فلَمَّا قُتِلَ عثمان رضي الله عنه، وبويع عليٌّ رضي الله عنه بالخلافة، سار طلحة والزبير رضي الله عنهما ملكة، فوجدا أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد حَجَّتْ، فاستقرَّ رأيهم على الذهاب إلى البصرة، للإصلاح ووَأد الفتنة^(١) التي نشأت عن قتل عثمان رضي الله عنه قبل أن تصير ناراً تَلْظَى وأواراً تَشْطَى. واختاروا البصرة لأنَّ شطراً مِنْ أهلها كان يرى ضرورة التَّعجيل في قَتْلِ قَتْلَةِ عثمان خلافاً لما كان يراه عليٌّ رضي الله عنه.

فخرجوا لإصلاح ذات البين، وكانوا يرجون الاستحياء من أمِّ المؤمنين إذا رآها النَّاسُ، ولم يخرجوا لِدُنْيَا يصيبونها كما احتجَّ به الزَّاعمون، فهم أَتَقَى اللهُ تعالى مِنْ أَنْ يخرجوا في سَفَرٍ لا يرضاه اللهُ تعالى، وما عَلَّقُوا به هَمَّتْهم من الرَّغبة في الآخرة المقبلة أَجَلٌ وأَعْظَمُ من جَمْعِ حطامٍ وَمَتَاعِ الدُّنْيَا المدبرة، كيف وهم يقرأون قول الله تعالى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمُنِعْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى].

فقد تَأَوَّلَتِ عائشة رضي الله عنها أَنَّهَا أمُّ المؤمنين، وحيث قصدت نزلت في أهلها وولدها، وأنَّ لها في القُلُوبِ مكانةً تُصْلِحُ بها بين النَّاسِ، فهي أمُّهم بكتاب الله تعالى ﴿ وَأَرْوَجُهُمْ... ﴾ [الأحزاب] ، أخرج عبد الرَّزَّاق في المصنَّف

(١) انظر كتابنا "وأد الفتنة" دراسة نقدية لشبهات المرجفين وفتنة الجمل وصفين على منهج المحلِّثين.

بسند منقطع قَوْلَ عائشة رضي الله عنها: " إِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يَحْجِزَ بَيْنَ النَّاسِ مَكَانِي، قَالَتْ: وَلَمْ أَحْسَبْ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ النَّاسِ قِتَالٌ، وَلَوْ عَلِمْتُ ذَلِكَ لَمْ أَقِفْ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ أَبَدًا" ^(١).

فقد كانت تعتقد أنَّ مكائنها تكون حاجزاً بين النَّاسِ من الاختلاف، فهي أحقُّ بأنَّ يُسْتَحْيَا منها، فلها عليهم ما لأُمَّهاتهم من حقٍّ، فعذرنا رضي الله عنها أنَّها تُريدُ الإصلاحَ ابتغاءَ مرضاة الله تعالى، وكانت متأوِّلةً لقوله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ^(١١٤) [النساء].

وأمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت أهلاً للاجتهاد، فهي أفقه النساءِ الصَّحَابِيَّاتِ قاطبة، ولا يختلف في علمها اثنان ولا يجحده إلا ذو شأن، يرى الشَّمْسُ ساطعةً فيعشى منها ناظره.

ولم يشأ الله تعالى أن يَفْعَ صُلْحٌ، فكان ما كان، ورجعت إلى المدينة رضي الله عنها نَادِمَةً، فهي مأجورة فيما تأوَّلت؛ فكلُّ مجتهدٍ في الأحكام أهلٌّ للاجتهاد مُصِيبٌ الأجر.

وإذا كان خروجها صواباً كان صواباً مأجوراً، وإذا كان خطأً كان خطأً مغفوراً؛ لأنَّ الخطأ في اجتهاد الكفاء مغفوء عنه، بل له أجر.

ثمَّ إنَّها ندمت وآبت وانتهت، وقد قال عليه السلام: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ...﴾ ^(٣٨) [الأنفال] فإذا كان هذا للكفار أفلا يكون لأُمَّ المؤمنين رضي الله عنها أم الأبرار؟!

(١) الصَّنْعَانِي "المصنّف" (ج ٥/ص ٤٥٧/رقم ٩٧٧٠).

مغفرة الله تعالى ذنوب عائشة ﷺ ما تقدم منها وما تأخر

عَظَّمَ اللهُ تَعَالَى شَأْنَ الْمُؤْمِنِينَ التَّائِبِينَ الْمُتَّبِعِينَ لِسَبِيلِهِ، فَأَقَامَ لَهُمْ مَلَائِكَتَهُ وَحَمَلَةَ عَرْشِهِ يَدْعُونَ لَهُمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ، وَيَسْأَلُونَ اللهُ لَهُمْ أَنْ يَقِيَهُمُ السَّيِّئَاتِ، قَالَ ﷺ: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [غافر].

فإذا كان هذا للمؤمنين، أفلا يكون لأم المؤمنين ﷺ والصحابية الأولين ﷺ، الذين لا يعدل بهم أحد ممن جاء من بعدهم، ولا يقاس بهم؟!!

فلا تسمع لمن قال: إن عائشة رضي الله عنها أذنبت ذنباً لا تنفع معه توبة، فلا نعلم ذنباً تقصر عن محوه التوبة، فالتوبة تأتي على كل ذنب يقع من المؤمن إذا تاب وأتاب إلى ربه وأسلم له، فقد فتح الله تعالى باب الرجاء، فقال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾﴾ [الزمر] ^(١).

فالله تعالى لا يتعاطمه ذنب من أن يغفره، وقد وعد الله تعالى بالقبول، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ... ﴿٥٥﴾﴾ [الشورى]،

(١) قيل إنها أرجى آية في كتاب الله تعالى، ولعل أرجى منها قوله تعالى: ﴿وَلِإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ

لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ... ﴿٦١﴾﴾ [الزعد].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٤) [التوبة].

وقد دعا لها النبي ﷺ ذات يوم بالمغفرة، تقول ﷺ: "لَمَّا رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ طَيْبَ نَفْسٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ لِي! فقال: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَائِشَةَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهَا وَمَا تَأَخَّرَ، وَمَا أَسْرَتْ وَمَا أَعْلَنْتَ، فَضَحَكَتْ عَائِشَةُ حَتَّى سَقَطَ رَأْسُهَا فِي حِجْرِهَا مِنَ الضَّحْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيْسْرُكَ دَعَائِي؟ فقالت: وَمَالِي لَا يَسْرُنِي دَعَاؤُكَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّهَا لَدَعَوَتِي لِأُمَّتِي فِي كُلِّ صَلَاةٍ" (١).

عائشة ﷺ وإصلاح ذات البين

لَمَّا لِصَلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ أَوْ فِسَادِهِ مِنْ أَثَرٍ فِي حَيَاةِ النَّاسِ، خَرَجَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ مصلحة، لسدِّ باب الفتنة الذي يدخل منه المتربصون بهم، فمقصدها أعظم مقصد، لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ...﴾ (١) [الأنفال].

فكانت ﷺ تسعى في تقوى الله تعالى وإصلاح ذات البين؛ لعل مفاتيح الخير تكون على يديها، فقد قال ﷺ: "إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَعَالِيْقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَعَالِيْقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى

(١) الهيثمي "مجمع الزوائد" (ج ٩/ص ٢٤٣)، وقال: رواه البزار، ورجاله رجال الصَّحيح غير أحمد بن منصور، وهو ثقة. وحسنه الألباني في "الصَّحيحه" (م ٥/ص ٣٢٤/رقم ٢٢٥٤) مكتبة المعارف، وقال: أخرجه البزار وإسناده حسن. وهو في "صحيح ابن حبان" (ج ١٦/ص ٤٨)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وحسنه الألباني في "التعليقات الحسان" (م ١٠/ص ١٩٧/رقم ٧٠٦٧)، كتاب مناقب الصَّحابة.

يَدِيهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ" (١).

فغايتها عظيمة، ونيتها سليمة، ومساعيها كريمة، لكن كان بين الحيين من هم مفاتيح للشَّرِّ مغاليق للخير، فكلَّ نفس تميل إلى ما يناسبها ويشاكلها: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ (٨٤) [الإسراء].

وإصلاح ذات البين من أصول جماع الدين، وهو أفضل عند الله تعالى من درجة الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ" (٢).

وتذهب النَّفْسُ حَسْرَةً حين تعلم أنه مازال هناك مَنْ يَتَّهَمُ المصلح، ويبرئ المفسد: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ...﴾ (٣٣٠) [البقرة].

الأمر بالإصلاح في القرآن الكريم

اعلم أن أمَّ المؤمنين رضي الله عنها خرجت مصلحة بين النَّاسِ لِأَنَّهَا تعلم أن الله تعالى أمر بالإصلاح ورغب فيه وندب إليه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ...﴾ (١٠) [الحجرات]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ...﴾ (١١٤) [النساء]، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ...﴾ (١) [الأنفال]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ

(١) الألباني "الصَّحِيحَةُ" (٣م / ص ٣٢٠ / رقم ١٣٣٢)، وقال: بمجموع طرقه حسن.

(٢) أحمد "المسند" (ج ١٨ / ص ٥٧١ / رقم ٢٧٣٨١) وإسناده صحيح.

جَنَفًا أَوْ إِتْمَانًا فَاصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ... ﴿١٨٢﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ... ﴿٢٢٤﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا... ﴿٣٥﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ... ﴿١٢٨﴾ [النساء].

شهادة عمّار لعائشة

لَمَّا سَارَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْبَصْرَةِ، قَامَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رضي الله عنه الطَّيِّبُ الْمَطِيبُ، الَّذِي مَلَأَ إِيَّانًا إِلَى مُشَاشِهِ، صَادِقُ اللَّهْجَةِ، قَامَ خَطِيبًا عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ، وَشَهِدَ لِأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّهَا زَوْجَةُ النَّبِيِّ فِي الدَّارَيْنِ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى رَأْيِ عَلِيِّ رضي الله عنه.
أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ الْحَكَمِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ أَنَّ عَمَّارًا قَامَ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ، فَذَكَرَ عَائِشَةَ، وَذَكَرَ مَسِيرَهَا، وَقَالَ: "إِنَّهَا زَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَكِنَّهَا مِمَّا ابْتَلَيْتُمْ" ^(١).

وَمَرَادُ عَمَّارٍ رضي الله عنه أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها سَارَتْ مَسِيرَهَا هَذَا بِقَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَفِيهِ ابْتِلَاءٌ، وَأَنَّهَا إِنَّمَا خَرَجَتْ مَتَأَوُّلَةً، وَلَمْ تَبْدُلْ حُكْمًا، وَلَمْ تَخَالَفْ شَرْعًا، وَلَمْ تَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَمْنَعُهَا ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ زَوْجَةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْآخِرَةِ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ الْحَقَّ مَعَ عَلِيِّ رضي الله عنه.

وَشَهَادَةُ عَمَّارٍ لِأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ بِالْفَضْلِ، وَأَنَّهَا زَوْجَةُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الْجَنَّةِ تَشْهَدُ لَهُ بِالْإِنصَافِ وَالْوَرَعِ وَتَحَرُّيهِ الْحَقَّ قَوْلًا وَعَمَلًا، وَمَا كَانَ لِيَشْهَدَ لَهَا لَوْلَا عِلْمُهُ بِذَلِكَ.

(١) البخاري "صحيح البخاري" (م/٤ ج/٨ ص/٩٨) كتاب الفتن.

الدليل على أن خروج عائشة رضي الله عنها ومن معها كان للإصلاح

كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر عائشة رضي الله عنها عن هذا المسير، فلمَّا تذكَّرت ذلك همَّت بالرجوع إلا أن مَنْ مَعَهَا ثَنَاهَا عن عَزْمِهَا؛ لما يرجون في خروجها وَمِنْ رُؤْيَةِ النَّاسِ لها من خير وإصلاح بين النَّاسِ، روى أحمد بسند صحيح عن قيس، قَالَ: "لَمَّا أَقْبَلَتْ عَائِشَةُ بَلَغَتْ مِيَاهَ بَنِي عَامِرٍ لَيْلًا نَبَحَتِ الْكِلَابُ، قَالَتْ: أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟ قَالُوا: مَاءُ الْحَوَابِ، قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا أَنِّي رَاجِعَةٌ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَهَا: بَلْ تَقْدِمِينَ فَيَرَاكَ الْمُسْلِمُونَ، فَيُصْلِحُ اللَّهُ ﷻ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، قَالَتْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ: "كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبُحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوَابِ؟" (١) " (٢).

(١) ماءٌ على طَرِيقِ البَصْرَةِ، بين البصرة ومكَّة.

(٢) أحمد "المسند" (ج ١٧/ص ٢٧٣/رقم ٢٤١٣٥) وإسناده صحيح . ورواه ابن حبان وصححه الألباني في "التعليقات الحسان" (ج ٩/ص ٣٩٩/رقم ٦٦٩٧)، وهو في "الصحيحه" (م ١/ص ٢٢٣/رقم ٤٧٥)، ورواه أبو يعلى في "مسند أبي يعلى الموصلي" (ج ٨/ص ٢٨٢/رقم ٤٨٦٨) وقال المحقق: إسناده صحيح، وأخرجه الحاكم في "المستدرک" (ج ٣/ص ١٢٠) ولم يقع في المطبوع منه التصريح بالتصحيح منه ولا من الذهبي، وقد يكون التصحيح غفل عنه الطابع أو الناسخ، فقد نقل الحافظ تصحيحه عن الحاكم في "الفتح" (م ١٣/ص ٤٥) وكذلك قال الذهبي في ترجمة عائشة في "سير أعلام النبلاء" (ج ٢/ص ١٢٨) هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُجْرَجُوهُ، وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (ج ٧/ص ٢٣٤/رقم ١٢٠٢٦) من رواية البزار عن ابن عباس، وقال: رواه البزار ورجاله ثقات، وصححه البوصيري في "الإتحاف" انظر: "مختصر إتحاف السادة المهرة" (م ٥/ص ٤٥١/رقم ٨٣١٠)، وقال: رواه أبو بكر بن أبي شيبة ورواته ثقات.

وعائشة رضي الله عنها لما تذكّرت الحديث لم تكتمه، وإنما ذكرته لهم، لكنهم لم يفهموا أنّ في الحديث نهياً عن الخروج أو أمراً بالعود، فليس في حديث النبي صلى الله عليه وآله ما يدلّ على الأمر بالعود، أو بامتناع الخروج عليها، وإنما هو إخبار بالغيب وتنبّيه لِقَدَرِ الله تعالى، وأنّ أمر الله واقع لا محالة؛ فلا تثريب عليهم. وما من شك أنّ عائشة رضي الله عنها لها فضل الدّعوة للإصلاح، والسّبق إلى الخير.

وفي الحديث دليلٌ قاطع على أنّ من خرج معها لم يخرج للقتال، وإنما خرج للإصلاح وعلى رأسهم الزبير بن العوام رضي الله عنه حواري رسول الله صلى الله عليه وآله، روى أحمد بسند صحيح عن قيس بن أبي حازم، أنّ عائشة، قالت: لما أتت على الحوَابِ سَمِعْتُ بُنَابَ الْكِلَابِ، فَقَالَتْ: " مَا أَطْنُنِي إِلَّا رَاجِعَةً، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، قَالَ لَنَا: أَيَتَكُنَّنْ تَنْبُحَ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوَابِ؟ فَقَالَ لَهَا الزُّبَيْرُ: تَرَجِعِينَ عَسَى اللَّهُ صلى الله عليه وآله أَنْ يُصَلِّحَ بِكَ بَيْنَ النَّاسِ " ^(١).

ولم يسلم الزبير رضي الله عنه إلى يومنا من الطعن والتّجريح، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنّة، وأحد السّنة من أصحاب الشورى، وأول من سلّ سيفه في سبيل الله تعالى، شهد بدرًا والمشاهد كلّها مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فكيف نطعن فيمن تشفع له سوابقه، وقد تقدّم قول النبي صلى الله عليه وآله: " إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ اللَّهَ صلى الله عليه وآله اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ " ^(٢).

كما لم يسلم ابنه عبد الله بن الزبير بن خويلد الذي كان معه يومها، وهو

(١) أحمد "المسند" (ج ١٧/ ص ٣٩٥/ رقم ٢٤٥٣٥) وإسناده صحيح.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/ ج ٥/ ص ٦٠) كتاب التفسير.

أشهر من أن يُعرَّف: أبوه الرَّبِيز، وأمه أسَاء، وجدُّه أبو بكر، وعمته حَدِيْجَةُ، وخالته عَائِشَةُ، وجدته صَفِيَّةُ.

الرَّدُّ عَلَى مَنْ احْتَجَّ عَلَى خُرُوجِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾

رَعَمَ بَعْضُ مَنْ يَنْقُصُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي خُرُوجِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ

لِلْإِصْلَاحِ فِي حَادِثَةِ الْجَمَلِ، أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ...﴾ (٣٣)

[الْأَحْزَابُ] يَقْتَضِي تَحْرِيمَ السَّفَرِ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَنَّ قَوْلَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لِنِسَائِهِ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ: " إِنَّمَا هِيَ هَذِهِ الْحُجَّةُ، ثُمَّ الرَّمَنْ ظُهُورَ الْحُضْرِ " (١) يَقْتَضِي تَحْرِيمَ الْخُرُوجِ عَلَيْهِنَّ لِلْحَجِّ بَعْدَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْقِتَالِ! وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ التَّحْرِيمَ ظَاهِرٌ، بِدَلِيلِ أَنَّ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ امْتَنَعْنَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَّا عَائِشَةَ.

قُلْنَا: لَا يُفْهَمُ مِنَ الْآيَةِ أَوْ الْحَدِيثِ النَّهْيُ عَنِ الْخُرُوجِ مُطْلَقًا، فَالْمَرْأَةُ فِي

الْإِسْلَامِ خَرَجَتْ إِلَى الْحَجِّ وَالْمَسْجِدِ وَالْجِهَادِ وَالْعَمَلِ... وَالْمُرَادُ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّ

الْحَجَّ لَا يَجِبُ عَلَيْهِنَّ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَالْحَجُّ الْوَاجِبُ مَرَّةً فِي الْعَمْرِ.

أَمَّا زَعْمُهُمْ أَنَّ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ امْتَنَعْنَ مِنَ الْحَجِّ إِلَّا عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَلَمْ يَمْتَنِعْ

إِلَّا سُودَةَ وَزَيْنَبُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَقَدْ حَمَلْنَ الْحَدِيثَ عَلَى كِرَاهَةِ التَّنْفُلِ بِالْحَجِّ مِنَ النِّسَاءِ،

رَوَى أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ لِنِسَائِهِ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ:

" هَذِهِ تُمْ ظُهُورَ الْحُضْرِ، قَالَ: فَكُنَّ كُلُّهُنَّ يَحْجُبْنَ إِلَّا زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ

وَسُودَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ، وَكَانَتَا تَقُولَانِ: وَاللَّهِ لَا تُحَرِّكُنَا دَابَّةٌ بَعْدَ أَنْ سَمِعْنَا ذَلِكَ

(١) أحمد "المسند" (ج ٩/ص ٣٠٥/رقم ٩٧٢٧) وإسناده صحيح.

من النبي ﷺ" (١).

وذكر الحافظ في الفتح أن أم سلمة امتنعت، وكانت تقول: " لا يُجرّكني
ظَهْرُ بَعِيرٍ حَتَّى أَلْقَى النَّبِيَّ ﷺ" (٢).

والعذر عند أم المؤمنين عائشة ؓ أنّها تأوّلت الحديث كما تأوّله غيرها
من أمّهات المؤمنين - رضي الله عنهن - على أن المراد منه أنه ليس عليهن حجّ
واجبٌ بعد تلك الحجّة، وليس المراد أن الخروج ممتنع عليهن بالكلية.

والوجه في عدم إنكار الخلفاء على أمّهات المؤمنين - رضي الله عنهن - في
الخروج إلى الحجّ بعد أمر النبي ﷺ هنّ بلزوم ظهور الحصر، أنّهم أعلم بأحكام الله
تعالى، وأتقى الله من أن يخالفوا أمر رسول الله ﷺ، فلا يفهم من الحديث أن الأمر
بترك الخروج للوجوب، ثم إن عائشة ؓ سألت النبي ﷺ: " يَا رَسُولَ
الله، أَلَا نَغْزُو وَنُجَاهِدُ مَعَكُمْ؟ فَقَالَ: لَكِنَّ أَحْسَنَ الْجِهَادِ وَأَجْمَلُهُ الْحُجُّ حَجٌّ مَبْرُورٌ،
فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَا أَدْعُ الْحُجَّ بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ" (٣).

عليّ ؓ يستنفر أهل الكوفة ليعيد عائشة ؓ إلى أمنها

لم تصحّ الروايات في أن عليّاً وعماراً ؓ حصّاً أهل الكوفة إلى الخروج
لقاتال أم المؤمنين عائشة ؓ، وأنه خرج إلى البصرة لملاقاتها، وما صحّ ما أخرجه
البخاري عن عبد الله بن زياد الأسديّ، قال: " لَمَّا سَارَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ إِلَى

(١) أحمد "المسند" (ج ١٨/ ص ٣١٦/ رقم ٢٦٦٣٠) بإسناد صحيح .

(٢) ابن حجر "فتح الباري" (ج ٧/ ص ٨٦) كتاب المناقب .

(٣) البخاري "صحيح البخاري" (م ١/ ج ٢/ ص ٢١٩) كتاب الحجّ .

البصرة، بعث عليّ عمّار بن ياسر وحسن بن عليّ، فقدمّا علينا الكوفة، فصعدا المنبر، فكان الحسن بن عليّ فوق المنبر في أعلاه، وقام عمّار أسفل من الحسن، فاجتمعنا إليه، فسمعتُ عمّاراً، يقول:

"إِنَّ عَائِشَةَ قَدْ سَارَتْ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَاللَّهِ إِنَّهَا لَزَوْجَةٌ نَبِيِّكُمْ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ابْتَلَاكُمْ، لِيَعْلَمَ إِيَّاهُ تُطِيعُونَ أَمْ هِيَ" (١).

وكانت خطبته هذه قبل حادثة الجمل ليكفّمهم عن الخروج معها ﷺ، والصّмир في قوله: (إِيَّاهُ) لله تعالى، فهو القائل في محكم التنزيل: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ...﴾ [الأحزاب]، ويحتمل أنّه للخليفة عليّ فهو الأولى بالطاعة، والأول أظهر، وليس في الحديث دعوة للخروج مع عليّ ﷺ لمقاتلة أحد.

أما من يتعلّل بما رواه البخاري عن عمرو أنّه سمع أبا وائل يقول: "دَخَلَ أَبُو مُوسَى وَأَبُو مَسْعُودٍ عَلَى عَمَّارٍ، حَيْثُ بَعَثَهُ عَلِيٌّ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ يَسْتَنْفِرُهُمْ" (٢). ويطنّ أنّ عليّاً ﷺ يستنفر أهل الكوفة لقتال عائشة ﷺ فهذا لا يصحّ البتّة؛ فهو يعرف أنّ خروج عائشة ﷺ من أصله كان قدراً مقدوراً، فقد حدّرها النبيّ ﷺ في حياته من الخروج، وسمع عليّ ﷺ هذا التحذير، وسمع طلب النبيّ ﷺ منه أن يرفق بها، أخرج الحاكم بإسناد صحيح من رواية أمّ سلمة ﷺ هند زوج النبيّ ﷺ، قالت:

ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ خُرُوجَ بَعْضِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، فَضَحِكْتُ عَائِشَةَ، فَقَالَ:

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٤م/٨ج/٨٧ ص) كتاب الفتن.

(٢) المرجع السابق.

" انظري يا حميراء، أن لا تكوني أنت، ثم التفت إلى علي، فقال: إن وُلِّيت من أمرها شيئاً فآرفق بها " (١).

فحاشا لعليؑ أن يخرِّص على قتال أمه، وقد أمره النبيﷺ بالرفق بها؟! وحاشاه أن يعصي أمر رسول اللهﷺ وينبذ وصيته وراء ظهره، وإنما استنفر عليؑ أهل الكوفة لأنه خشي على عائشةؓ، فخرج ومن معه إلى البصرة ليجتمع بعائشةؓ ويعيدها إلى مأمنها.

أخرج أحمد بإسناد حسن عن أبي رافع أن رسول اللهﷺ، قال لعلي بن أبي طالب: " إِنَّهُ سَيَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَائِشَةَ أَمْرٌ، قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَنَا أَشَقَاهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَارْزُدْهَا إِلَى مَأْمِنِهَا " (٢).

فالله تعالى أطلع نبيهﷺ على ما يقع بين علي وعائشة، فالنبيﷺ كان يعلم أن أمراً سيقع بينهما، وليس معركة كما يصورون ويهولون! ولم ينه النبيﷺ علياً ولا عائشة؛ لأنه يعلم أن هذا الأمر واقع بأمر الله ليظهر عذرهما، وإنما نبهها وأوصى علياً بها، فالله تعالى إذا أراد شيئاً هيأ الأسباب له.

(١) الحاكم "المستدرک" (ج ٣ / ص ١١٩) كتاب معرفة الصحابة، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأورده ابن عساكر في "كتاب الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين" (ص ٧١)، وقال: هذا حديث حسن من رواية أم سلمة.

(٢) أحمد "المسند" (ج ١٨ / ص ٤٦٨ / رقم ٢٧٠٧٦) وإسناده حسن. وأخرجه البزار في مسنده "البحر الزخار" (ج ٩ / ص ٣٢٩ / رقم ٣٨٨١) وحسنه الحافظ في "الفتح" (ج ١٣ / ص ٤٦).

المنافقون يوقعون الفتنة بين الحيين

خرج عليٌّ عليه السلام إلى البصرة في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين لملاقاة أم المؤمنين ومن معها، فلما اجتمعوا اجتمعت كلمتهم؛ فحشي المنافقون وأعوائهم الذين نُسب إليهم قتل الخليفة عثمان عليه السلام من اجتماعهم على قتالهم، فاندسوا بين هؤلاء وهؤلاء فوضعوا فيهم السلاح، وأنشبو السهام، وبدلوا فيهم السيوف، فنشب القتال على غير نيّة، وأخذت كل طائفة تدفع عن نفسها، وهي تظن أن الأخرى بدأتها القتال، فكلتا الطائفتين محقة في غايتها، سليمة في نيّتها، مدافعة عن نفسها.

عائشة عليها السلام تنهى عن القتال يوم الجمل

ما جرى في حادثة الجمل أمرٌ نهارٍ فُضي ليلاً، ولم يكن لأُم المؤمنين عائشة عليها السلام ولا لأُمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام يدٌ في ذلك، فقد كان كلٌّ منهما ينهى عن القتال، روى البخاري عن أبي حميلة، قال: قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ لِعَائِشَةَ عليها السلام: "يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْجَمَلِ، فَقَالَتْ: كُنْ كَخَيْرِ ابْنِي آدَمَ" ^(١).

أي كُنْ المقتول ولا تكن القاتل، وهذا يدلُّ على أن عائشة عليها السلام كانت تنهى عن القتال ولا تأمر به.

كذلك الخليفة عليٌّ عليه السلام كان يتجنب القتال حتى لا يُصيبَ دماً حراماً، ففي "المطالب العلية" بسند صحيح عن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرْدٍ، قَالَ: "جِئْتُ إِلَى الْحَسَنِ عليه السلام، فَقُلْتُ: اعْذُرْنِي عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَيْثُ لَمْ أَحْضِرِ الْوُقُوعَةَ، فَقَالَ الْحَسَنُ عليه السلام: مَا تَصْنَعُ

(١) البخاري "التاريخ الأوسط" (ص ٤٦ / رقم ٣٣٧).

بِهَذَا، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَلُودُ بِي، وَهُوَ يَقُولُ: يَا حَسَنُ، كَيْتَنِي مِتْ قَبْلَ هَذَا بَعِشْرِينَ سَنَةً" (١).

قتلى الجمل وزمن القتال

وقد أورد خليفة بياناً بأساء من حُفِظَ مِنْ قَتْلِ الْجَمَلِ فَكَانُوا قَرَابَةَ الْمَائَةِ (٢) وهذا يؤكد قِلَّةَ عدد القتلى، وهذا ليس غريباً فلم يكن أحد من الفريقين يهاجم الآخر، وإثما كان يدفع عن نفسه، والمشهورُ أَنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا يَتَجَنَّبُونَ الْقِتَالَ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ.

ومما يدلُّك على قِلَّةِ عدد قتلى الجملِ قِصْرُ زمن القتال يومها، فقد نشب القتالُ بعد الظُّهرِ وانتهى مع غروب الشَّمْسِ، أخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح عن زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، قَالَ: " فَكَفَّ عَنْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَأَصْحَابِهِمَا، وَدَعَاهُمْ حَتَّى بَدَّوهُ فَقَاتَلَهُمْ بَعْدَ صَلَاةِ الظُّهْرِ، فَمَا عَزَبَتْ الشَّمْسُ وَحَوْلَ الْجَمَلِ عَيْنٌ تَطْرَفُ مِمَّنْ كَانَ يَدْبُ عَنْهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: لَا تُتَمُّوا جَرِيحًا وَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَلْقَى سِلَاحَهُ فَهُوَ آمِنٌ؛ فَلَمْ يَكُنْ قِتَالُهُمْ إِلَّا تِلْكَ الْعَشِيَّةَ وَحَدَاهَا" (٣).

ما قاله عمار رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها حين فرغ من الجمل

أخرج الطَّبْرِيُّ بسند صحيح عن أَبِي يَزِيدَ الْمَدِينِيِّ يَقُولُ: قَالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ

(١) ابن حجر "المطالب العالية" (١٨م/١٨٤ ص/١٤٤ رقم ٤٤٠٦) وقال المحقق: صحيح بهذا الإسناد، ورواته ثقات.

(٢) خليفة "تاريخ خليفة" (ص ١٨٧-١٩٠).

(٣) ابن أبي شيبة "مصنف ابن أبي شيبة" (ج ١٥ ص/٢٨٦ رقم ١٩٦٧٩) وصححه الحافظ في "الفتح" (ج ١٣ ص/٤٨) وقال: أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح.

عنده لعائشة رضي الله عنها حين فرغ القوم: "يا أم المؤمنين، ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليك! قالت: أبو اليقظان؟ قال: نعم، قالت: والله إنك ما علمت قوَال بالحق، قال: الحمد لله الذي قضى لي على لسانك" ^(١).

مسير عائشة رضي الله عنها كان قدراً

أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه بإسناد حسن عن عبيدة بن سعد، عن عائشة، أنها سئلت عن مسيرها، فقالت: "كان قدراً" ^(٢).

فإذا علمت ذلك تبين لك عذر عائشة رضي الله عنها في خروجها، فقد كان قدراً من الله تعالى، وقدر الله تعالى كائن لا محالة، والاعتراض عليه حرام.

وقد لهج قوم بالاعتراض على خروج عائشة رضي الله عنها قروناً من الزمن، وفي ذلك قدح في الحكمة؛ لأنه اعتراض على قدر الله، وأول من اعترض على حكمة الله تعالى إبليس حين قال: ﴿خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف].

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن مضاء خروجها مضاء القدر، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَيْتَ شِعْرِي، أَيَّتُكَنَّ صَاحِبَةُ الْجَمَلِ الْأَدْبِيِّ" ^(٣)، تُخْرَجُ فَيُنْبِئُهَا كِلَابٌ حَوَّابٍ، يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ يَسَارِهَا قَتْلَى كَثِيرٌ، ثُمَّ تَنْجُو

(١) الطبري "تاريخ الأمم والملوك" (ج ٣/ص ٥٤٨). وصححه الحافظ في "الفتح"

(ج ١٣/ص ٤٩)، وقال: أخرجه الطبري بسند صحيح عن أبي يزيد المدني.

(٢) ابن أبي شيبة "مصنف ابن أبي شيبة" (ج ١٥/ص ٢٨١/رقم ١٩٦٦٥)، وإسناده حسن.

وذكره نعيم بن حماد في كتاب "الفتن" (ج ١/ص ٨٢) والواسطي في "تاريخ واسط" (ص ٧١).

(٣) كثير الوبر، وقيل: كثير وبر الوجه.

بَعْدَمَا كَادَتْ" (١).

وربّ محتجّ علينا يقول : تتحدّثون عن قلة قتلى الجمل، وقد ثبت أنّ النبيّ ﷺ قال: "يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ يَسَارِهَا قَتْلٌ كَثِيرٌ!" قلنا : ولكن ليس بهذه الكثرة المبالغ بها في الروايات التاريخية، فهذا اليعقوبي مثلاً يروي دون سند ويقول : " كانت الحرب أربع ساعات من النهار، فروى بعضهم أنّه قُتِلَ في ذلك اليوم نيف وثلاثون ألفاً" (٢) ولا غرو أنّ المبالغة من علامات الوضع التي تُعرف بها الروايات الباطلة، ومن تعقّب الروايات التي تتحدّث عن قتلى الجمل بالدراسة والتحقّق علم أنّه لا يصحّ شيء منها.

الخطأ في الاجتهاد لا يبيح الطعن في صاحبه

وما زال هناك مَنْ يَطْعَنُ في اجتهاد أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وخروجها للإصلاح، ويجمع أقوال أعلام من علماء المسلمين يروون أنّها أخطأت في اجتهادها؛ لبيح الطعن بها.

قلنا : هبّ أنّ عائشة رضي الله عنها أخطأت في اجتهادها، فهل الخطأ في الاجتهاد يبيح الطعن بها؟! الجواب : لا قطعاً؛ فقد عفا الله تعالى عن المخطئ في اجتهاد، قال رحمه الله :

﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال).

(١) رواه البزار ورجاله ثقات، كذا قال الهيثمي في "مجمّع الزوائد" (ج ٧/ص ٢٣٤/رقم ١٢٠٢٦) والحافظ في "الفتح" (م ١٣/ص ٤٥)، وصحّحه الألباني في "الصحيححة" (ج ١/ص ٨٥٣/رقم ٤٧٤).

(٢) اليعقوبي "تاريخ اليعقوبي" (٢م/ص ٨١).

وفي هذه الآية أقوال منها : أي لولا حُكْمَ مِنَ اللَّهِ مَضَى وَانْقَضَى وَسَبَقَ
إثباته في اللُّوحِ المحفوظ، بأن لا يُعَذِّبَ مَخْطِئًا فِي اجْتِهَادٍ، لِأَصَابِكُمْ فِيهَا أَخَذْتُمْ
عَذَابَ عَظِيمٍ .

وقد أخبر الله تعالى - في خواتيم سورة البقرة - أنه قد تجاوز عن السَّيِّئِينَ،
وعن الخَطَأِ، ومنه الخَطَأُ فِي الاجْتِهَادِ، فَقَالَ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا...﴾ (البقرة) ﴿٢٨٦﴾
[البقرة] وقد أخبر النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى، قَالَ: " قَدْ فَعَلْتُ " .

فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:
﴿وَلَنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ...﴾ (البقرة) ﴿٢٨٦﴾ .
قَالَ: دَخَلَ قُلُوبِهِمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: قُولُوا:
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا. قَالَ: فَالْقَى اللَّهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا
يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ
نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة] قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ. ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا
كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة] قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ. ﴿وَأَعْفُ عَنَّا
وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا...﴾ (البقرة) ﴿٢٨٦﴾ قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ" (١).

وهذا الدعاء الذي علم الله به النَّبِيُّ ﷺ وأصحابه دُعَاةً، فِيهِ ثَنَاءٌ عَلَى

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (١م/١ج/٢ص/١٤٦) كتاب الإيمان.

الصَّحَابَةِ، فهو يظهر حسن السَّمْع والطَّاعَةَ. وقد جعله الله تعالى في كتابه لبيان ما كان عليه أصحاب النبي ﷺ مِنَ المسارعة إلى الانقياد والخضوع لله تعالى والتَّسليم للرَّسولِ ﷺ، وليكون دُعَاءَ مَنْ يَأْتِي بعدهم مِنَ التَّابِعِينَ.

وانظر كيف أثنى الله تعالى على سيِّدنا سليمان النَّبِيِّ ﷺ وحمده بصوابه، وعذر سيِّدنا داود النَّبِيِّ ﷺ وعفا عنه باجتهاده، فقال: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَمْكُورَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَايِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا... ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء].

وإنما قال: ﴿وَكُلًّا ءَايِنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ حتى لا يتوهَّم متوهِّمٌ أنَّ الله تعالى قد أخذ داود النَّبِيَّ ﷺ باجتهاده، ولذلك مدحها وأثنى عليها معاً، وسأوى بينهما بالحُكْم والعِلْم، ﴿فَأَيُّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايِنُهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجنَّة]. فالخطأ فيما فيه اجتهاد سائغ ليس مسوِّغاً للطَّعن في صاحبه، ولا لإطلاق الألسن في جانبه.

لكن مِنَ النَّاسِ مِمَّا شددت لهم عُرَى الكلام، وجئت بيئته وبرهان، فإنَّ جُهْدَكَ زائل، ولا يحلُّ بطائل، كمضيء الشمع في قاعة العميان، أو كقارِع الطُّبَل في قاعة الطُّرْشان.

محاسن من أمسك عن الوقوع في الصحابة ﷺ وسكت عما شجر بينهم

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ [البقرة]، وقال ﷺ: "إذا ذكر أصحابي

فأمسكوا"^(١). أي عن الكلام عنهم إذا كان فيه تنقيص لهم، أو وُضِعَ منهم، أو إزراء بهم، أما ذكرهم للذَّبِّ عنهم، وإظهار قدرهم، وبيان عذرهم، وإبراء ساحتهم، وإشهار مناقبهم، وإذاعة فضائلهم، والدَّعوة إلى الاقتداء بهم، فلا يُفهم ذلك من الحديث.

وهم أهلٌ للإمساك عنهم، فقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه جملةً واحدة، فقال: ﴿سُحْمًا رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ...﴾ ﴿٢١﴾ [الفتح].

ولذلك لما سُئِلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ وَالْجَمَلِ وَصِفِّينَ وَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ، قَالَ: "تِلْكَ دِمَاءٌ كَفَّ اللَّهُ يَدَيَّ عَنْهَا، وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَغْمَسَ لِسَانِي فِيهَا"^(٢).

فالإمساك عنهم من أمارات المؤمنين المتبعين لهم بإحسان، الذين أثنى الله تعالى عليهم وامتدحهم بقوله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾ [الحشر].

(١) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَفِيهِ مُسْهَرُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَثِقَّةُ ابْنِ حَبَّانَ وَعَيْرُهُ وَفِيهِ خِلَافٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ، كَذَا قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي "مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ" (ج ٧/ص ٢٠٢/رقم ١١٨٥١)، وَهُوَ كَمَا قَالَ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي "الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ" (ج ٢/ص ٩٣/رقم ١٤٢٧). وَذَكَرَهُ الْأَبْلَانِيُّ فِي "الصَّحِيحَةِ" (م ١/ص ٤٢/رقم ٣٤) وَفِي "صَحِيحِ الْجَامِعِ" (ج ١/ص ١٥٥/رقم ٥٤٥).

(٢) ابن سعد "الطبقات الكبرى" (٣٩٤/٥).

وَيَمْلَأُ جَنِّيكَ أَسَى أَنْ تَجِدَ مَنْ يَبْحَثُ عَنْ مَسَاوِيهِمْ، وَيَذَكِّرُهُمْ بِغَيْرِ
الجميل؛ لِيَحْرُسَ عَلَيْهِمْ! وَلَا يَنْقُضِي عَجَبِكَ مَنْ يَأْتِيكَ بِأَخْبَارِ مَصْنُوعَةٍ تَخْلُبُ
القلوب، وآثارَ مَوْضُوعَةٍ تُعْظِمُ الذُّنُوبَ، بِالطَّفِ الْقَوْلِ وَأَعْذِبُهُ، وَبِالِغَةِ بِالْغَةِ،
وَزَخْرَفَةِ خَادِعَةٍ، وَلَيْسَ مَرَادُهُ مِنْ ذَلِكَ الصَّحَابَةَ ذَاتِهِمْ، وَإِنَّمَا صَرَفَ النَّاسَ عَنْ
دِينِهِمْ، فَالصَّحَابَةَ ﷺ هُمْ نَقْلَةُ الدِّينِ، وَالطَّعْنَ فِيهِمْ يَتَضَمَّنُ رَدَّ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

ولذلك قال أبو زُرْعَةَ: " إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زَنْدِيقٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ عِنْدَنَا حَقٌّ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ،
وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ
يُجْرِحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَالْجُرْحُ بِهِمْ أَوْلَى وَهُمْ زَنَادِقَةٌ" (١).

فَمَنْ تَعَيَّظَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، رَوَى الْخَلَّالُ
عَنْ أَبِي عُرْوَةَ الزُّبَيْرِيِّ أَنَّهُمْ ذَكَرُوا عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَجُلًا يَنْتَقِصُ أَصْحَابَ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَقَالَ مَالِكٌ: " مَنْ أَصْبَحَ وَفِي قَلْبِهِ غَيْظٌ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ
ﷺ فَقَدْ أَصَابَتْهُ الْآيَةُ: ﴿يَعْجِبُ الزَّرْعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ...﴾ (٢١) ﴿الفتح﴾" (٢).

هذا ولا يخفى على كل ذي سمع أن أذى الصحابة ﷺ والطعن فيهم يترتب
عليه إثم عند الله عظيم، وخزي في الدنيا مقيم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ يَقْتُلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ (٥٨)
[الأحزاب].

(١) الخطيب البغدادي "الكفاية" (ص ٤٩).

(٢) الخلال "السنة" (ج ٢/ ص ٤٧٨)، وابن الجوزي مختصرأ في "زاد المسير" (٧م/ ص ١٧٥).

القسم الخامس

صدّ عاديّات الأدعياء عن زوج سيّد الأنبياء ﷺ

إثم من يحدث بكل ما سمع

أمرنا الله تعالى بالتّشبُّث من الأخبار والآثار، وألا نركن إليها حتّى يظهر صدقها، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بِنِيءٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصَيِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات] كما أمر النبي ﷺ كل أحد بالتّشبُّث فيما يحكيه، والاحتياط فيما يرويه، فقال ﷺ: " كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ" (١).

فلا يجوز لمؤمن أن يروي أيّ خبر إلّا عن ثقةٍ محض، ولا أن يحدث بأمر إلّا بعد أن يتوقّف فيه ويعرف حال راويه، فالإسلام جعل الكلمة مسؤوليّة، قال الله تعالى: ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الصفّات] أي عن أفعالهم وأقوالهم. وإذا كان من الكذب أن يحدث المرء بكل ما سمع دون أن يتحقّق، فمقتضى ذلك أن من الكذب كذلك أن يذيع كلّ ما يقرأ، لا يبالي من أين أخذه وفيما نشره.

والكذب: هو الإخبار عن الشّيء بخلاف ما هو في حقيقة الأمر، ولا يشترط فيه القصد والعمد، لكن العمد شرط للإثم، كما أخبر النبي ﷺ: " وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" (٢).

(١) مسلم " صحيح مسلم بشرح النووي" (١م/١ج/١ص ٧٣) المقدمة.

(٢) البخاري " صحيح البخاري" (١م/١ج/١ص ٣٦) كتاب العلم.

فلا تأخذُ كلاماً على عَواهنه من غير سَنَدٍ ولا دليل، ولا تُقلِّ قال ﷺ،
والنَّبِيُّ ﷺ لم يُقل، ولا تكن عوناً للكذَّابين على نشر كذبهم على رسول الله ﷺ،
فتكون أحد الكاذبين.

وكم رَجُلٍ يجادلُك بخيرِ سمعه، أو بقولٍ قرأه، أو بحديثٍ ذكِر له، أو
برواية لا سَنَدَ لها، أو لا تُبَتَّ فيها، وهو يجهلُ أن الله تعالى جعل لنا قاعدةً نركنُ
إليها، وآيةً ناوي إليها، فقال سبحانه: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَأٍ
فَتَبَيَّنُوا...﴾ [الحجرات]، فنحن لا نقبل كلاماً إلاً بدليل جازِم وبرهان جازِم
، ومن لم يتبيَّن الدليل ضلَّ السَّبيل، قال الزَّنَجَانِي :

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْأَثَرَ وَدَعَّ عَنكَ رَأْيَا لَا يُلَاقِيهِ خَبَرٌ
وقد رأيتُ خَلْقاً يحدِّثون بأحاديثٍ منكروة، وبرواياتٍ مكذوبة، أسانيدُها
ظلمات بعضها فوق بعض، ولا يقبلون جرحاً ولا تعديلاً، فيا ضيعةً جُهودِ علماء
الحديث، الَّذِينَ نَخَلُوا الصَّحِيحَ مِنَ الضَّعِيفِ، وَمَيَّزُوا الطَّيِّبَ مِنَ الخَبِيثِ !

وكم من رَجُلٍ يجادلُك في آية، وقد نَصَبَ نَفْسَه إماماً في التَّفْسِيرِ، وهو لا
يعرف القواعدَ التي يحتاجُ المفسِّرُ إليها، فهو يجهلُ أن المفسِّرَ يحتاجُ إلى معرفة: اللُّغة،
والنَّحو، والصَّرْف، والاشتقاق، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وعلم
القراءات، وعلم أصول الدِّين، وعلم أصول الفقه، وعلم أسباب النُّزول، وعلم
النَّاسخ والمنسوخ، ومعرفة الأحاديث المبيِّنة لتفسير المجمل والمبهم... وهذه العلوم
كان يعرفها الصَّحابة والتَّابعون بالطَّبع، وطال على كثير من أهل زماننا معرفتها
بالطَّبع أو الاكتساب.

وكم رجلٍ يجادلُك في حديث، وهو لا يدري أنَّ عِلْمَ الحديثِ روايةٌ ودرايةٌ لو أنفقَ عمره ما أدركَ له نهاية، ومع هذا تجده لا يتورَّع عن غَمَزٍ ولزِّ العلماء، ولو أنَّه نظر في كُتُبِهِم لَعَدَّ نفسه من الصُّمِّ البُكْمِ الَّذِينَ لا يعقلون، ولكن سَقَّ عليه الغوصُ في بحارهم الزَّاخرة، وبعثت عليه الشُّقَّة، فتخلَّف وناصبهم العداوة.

وَمِنَ الْعَجَبِ الْعَجَابِ، وَمِمَّا يَمْزِقُ الْأَفئدةَ وَيُدْمِي قلوبَ ذوي الألبابِ، أن تجد مَنْ يَكْذِبُ على أُمَّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها والصَّحابة رضي الله عنهم، ويتفهيق ويملاً جوفه بالكلام؛ إظهاراً لفضيلته، وتركيةً لنفسه، على حساب مَنْ زكَّاهم اللهُ تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُورُونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرَكِّبُ مِنْ يَشَاءٍ...﴾ [النساء].

نقض قولهم: إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها: تقاتلي علياً وأنت له ظالمة!

قالوا: إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أخبر أنَّ عائشة ستقاتل علياً وهي له ظالمة، فقد قال لها صلى الله عليه وسلم: "تقاتلي علياً، وأنت له ظالمة".

قلت: هذا حديث لا أصل له، فقد فتشت كتب القوم فلم أجد له ذكراً، والظاهر أنَّه وهم، فالحديث قاله صلى الله عليه وسلم للزبير رضي الله عنه، أخرج الحاكم في "المستدرک" أنَّ الزبير رضي الله عنه خرَّج يريد علياً، فقال له علي: "أشُدُّكَ اللهُ، هل سمعت رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يقول: تقاتله وأنت له ظالم؟ فقال: لم أذكرُ، ثم مضى الزبير منصرفاً" ^(١).

قلت: والغريب أنَّ الحاكم صحَّحه، والأغرب أنَّ الذهبي وافقه، مع أنَّ

(١) الحاكم "المستدرک" (ج ٣/ ص ٣٦٦) كتاب معرفة الصحابة.

في سنده عبد الملك بن محمد الرقاشي، قال فيه الحافظ : صدوق يخطئ تغير حفظه لما سكن بغداد^(١)، وفي سنده عبد الله بن محمد بن عبد الملك الرقاشي، ذكره العقيلي في كتاب الضعفاء، ونقل قول البخاري : فيه نظر^(٢). وشيخه عبد الملك بن مسلم، قال عنه الحافظ : لئن الحديث^(٣).

ومتنه لا يثبت؛ فلو ثبت لوقع ما أخبر به النبي ﷺ من القتال بينهما، فلم يقع قتال، بل تنحى الزبير وانصرف راجعاً إلى المدينة، وغدر به وقتله ابن جرموز ظهراً (غيلة) بوادي السباع على سبعة فراسخ من البصرة. فإن صح الحديث لتعدد طرقة^(٤) فما جعل الزبير ﷺ يرجع سوى هذا الحديث. وكيف لعلي ﷺ أن يقاتله، وهو يعلم أن قاتله في النار؟! روى أحمد عن زرب بن حبيش، قال :

" استأذن ابن جرموز على علي ﷺ ، فقال : من هذا ؟ قالوا : ابن جرموز يستأذن، قال : ائذنوا له، ليدخل قاتل الزبير النار، إني سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : إن لكل نبي حواريًا، وحواري الزبير"^(٥).

-
- (١) ابن حجر "تقريب التهذيب" (ص ٣٦٥ / رقم ٤٢١٠).
(٢) العقيلي "كتاب الضعفاء" (ج ٢ / ص ٧٠١ / رقم ٨٧٥).
(٣) ابن حجر "تقريب التهذيب" (ص ٣٦٥ / رقم ٤٢١٧).
(٤) ذكر الألباني طرفاً منه في "الصحيحة" (م ٦ / ص ٣٣٩ / رقم ٢٦٥٩) مكتبة المعارف، وقال: بالجملة صحيح عندي لطرقة، دون قصة عبد الله بن الزبير مع أبيه. والله أعلم.
(٥) أحمد "المسند" (ج ١ / ص ٤٦٤ / رقم ٦٨٠) وإسناده حسن.

نقض قولهم : إن النبي ﷺ أشار إلى بيت عائشة ﷺ وقال : هنا الفتنة

قالوا : روى البخاري عن عبد الله ﷺ، قال : قام النبي ﷺ خطيباً ، فأشار نحو مسكن عائشة ، فقال : " هاهنا الفتنة ثلاثاً من حيث يطلع قرن الشيطان " (١) .
وروى مسلم عن ابن عمر ، قال : خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة ، فقال : " رأس الكفر من هاهنا " (٢) . وأوهما أن النبي ﷺ إنما أشار إلى بيت عائشة ﷺ ، وأنه عنى بالفتنة عائشة ، وأن الحديث فيه ذم لها .

والقارئ البصير يعلم أن النبي ﷺ إنما أشار نحو مسكن عائشة ﷺ ولم يشير إلى مسكنها ، فهناك فرق بين القول الشريف (نحو) والقول الخبيث (إلى) ، ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ... ﴾ [المائدة] فهل يعقل أن يشير النبي ﷺ إلى بيت عائشة ﷺ ، الذي هو بيته ﷺ ، ويصفه بهذا الوصف ؟! ﴿ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور] .

والإشارة الشريفة إنما هي إلى المشرق إلى العراق ، لأنها مشرق أهل المدينة كما ورد في أحاديث صريحة صحيحة ، فقد روى مسلم عن سالم بن عبد الله بن عمر يقول : " يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة ! سمعت أبي عبد الله بن عمر ، يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الفتنة تجيء من هاهنا - وأوماً بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان - وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض ، وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ ، فقال الله - ﷻ - له :

(١) البخاري " صحيح البخاري " (٢م / ٤ / ص ٤٦) كتاب فرض الخمس .

(٢) مسلم " صحيح مسلم بشرح النووي " (٩م / ١٨ / ص ٣٢) كتاب الفتن .

﴿وَقَاتَلَتْ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا...﴾ [طه] (١).

أما قولهم: "إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: "رَأْسُ الْكُفْرِ مِنْ هَاهُنَا" فلم يتموا الحديث زيادة في التلبيس والتعمية، والحديث عن ابن عمر، قَالَ: "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْتِ عَائِشَةَ، فَقَالَ: "رَأْسُ الْكُفْرِ مِنْ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ - يَعْنِي الْمَشْرِقَ -" (٢). وللبخاري عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ" (٣).

ومنهم مَنْ شَعَبَ بِأَنَّ الْفِتْنَ مِنْ جِهَةِ نَجْدٍ، قَالُوا: فقد روى البخاري عن ابن عمر، قَالَ: "ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي نَجْدِنَا، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَأْمِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمِينِنَا، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي نَجْدِنَا، فَأُظِنُّهُ قَالَ فِي الثَّلَاثَةِ: هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتْنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ" (٤).

قلنا: نعم، الحديث أخرجه البخاري من رواية أزهر السَّمان مرفوعاً، لكن ليس المراد بنجد بلاد نجد المشهورة، فهذا من الوهم، فليس المراد موضعاً مخصوصاً، فأصل كلمة نجد ما ارتفع وأشرف من الأرض، بخلاف العُور فَإِنَّهُ مَا انْخَفَضَ مِنْهَا، فما ارتفع يسمَّى نجداً، وما انخفض يسمَّى غوراً، وَتِيَامَةُ كُلُّهَا مِنْ

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٩م/٩ج/١٨ص/٣١) كتاب الفتن.

(٢) المرجع السابق.

(٣) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٢ج/٤ص/٩٧) كتاب بدء الخلق.

(٤) البخاري "صحيح البخاري" (٤م/٤ج/٨ص/٩٥) كتاب الفتن.

الْعُورُ، وَمَكَّةَ مِنْ تِهَامَةَ.

ونجد أهل المدينة من جهة المشرق، وهي بادية العراق ونواحيها، وهذا معروف في كتب المعاجم والبلدان والأنساب والحديث وغيرها. ومن الأدلة على أن نجد أهل المدينة من جهة المشرق دعاء النَّبِيِّ ﷺ على قبائل من مُضَرَ كانوا مقيمين بأرض نجد وما والاها، قال ﷺ: "اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرَ وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِينِي يُوسُفَ. وَأَهْلَ الْمَشْرِقِ يَوْمَئِذٍ مِنْ مُضَرَ مُحَالِفُونَ لَهُ" (١).

فقولهم: وَفِي نَجْدِنَا، وقوله ﷺ: "هُنَاكَ الرَّزَازِلُ وَالْفِتْنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ" المراد جهة المشرق، ومصداق ذلك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أخبر أَنَّ قَرْنَ الشَّيْطَانِ يَطْلُعُ مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ حَيْثُ الْفِتْنَةُ، كَمَا تَقَدَّمَ آنفًا، رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقِ، يَقُولُ: "أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ" (٢).

وعلة امتناع النَّبِيِّ ﷺ عن الدعاء لأهل نجد (أهل المشرق) تحذيرهم من الفتن، لحملهم على ترك ملابستها ومزاولتها لأتباعهم من جهتهم.

وشواهد الحال تؤكد أَنَّ الفتن كان منشأها من المشرق، فمَنْ قَتَلَ الْخَلِيفَةَ عُمَرَ ﷺ غَيْلَةَ جَاءَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، وَمَنْ أَجْلَبَ عَلَى الْخَلِيفَةِ عَثْمَانَ ﷺ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَلَّتْهُمُ جَاءَ مِنْ هُنَاكَ. وَحَادِثَةُ الْجَمَلِ وَقَعَتْ فِي نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ، وَمِنْ الْمَشْرِقِ ظَهَرَ الْخَوَارِجُ، وَطَلَعَتْ مَعْظَمُ الْفِرْقِ الصَّالِّتَةِ، وَفِيهَا قَتَلَ الْخَلِيفَةَ عَلِيٌّ ﷺ وَابْنَهُ سَبْطًا

(١) البخاري "صحيح البخاري" (١م/١ج/١ص/١٩٥) كتاب الأذان.

(٢) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٩م/٩ج/١٨ص/٣١) كتاب الفتن.

رسول الله ﷺ، وغير ذلك، وما زالوا يبكون ويتباكون: ﴿فَلْيَصْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٨٢) [التوبة].

نقض قولهم : عائشة ؓ تروي أن النبي ﷺ حاول التردّي من رؤوس شواهِق الجبال

قالوا : روى البخاري عن عائشة ؓ أن النبي ﷺ كان يريد أن يُلقِي نفسه من ذروة جبل، فقد روى عن مَعْمَرٍ، قال الزَّهْرِيُّ : فأخبرني عروة، عن عائشة ؓ وساق حديث بدء الوحي إلى قوله : "... وفتّر الوحي فُتْرَةً " .

وزاد الزَّهْرِيُّ : " حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ - فِيمَا بَلَّغْنَا - حُزْنًا غَدَاً مِنْهُ مَرَارًا كَيْ يَرْتَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أُوقِيَ بِذُرُورَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ، تَبَدَّى لَهُ جِرْبِيلُ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِدَلِكِ جَأْشُهُ، وَتَقَرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فُتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَاً لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أُوقِيَ بِذُرُورَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِرْبِيلُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ " (١) .

قالوا : وهذا يعارض عِصْمَةَ النَّبِيِّ ﷺ، كذلك يعارض ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال : " مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَرْتَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُحَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا " (٢) .

قالوا : وإذا لم يكن هذا الخبرُ الَّذِي رواه البخاري صحيحًا، فكيف يوصف كتابه بالصَّحِيحِ، وهو يطعن على رسولِ الله ﷺ ويتهمه أنه كان يريد قتل

(١) البخاري " صحيح البخاري " (م/٤/ج/٨/ص ٦٨) كتاب التَّعْبِيرِ .

(٢) البخاري " صحيح البخاري " (م/٤/ج/٧/ص ٣٢) كتاب الطَّبِّ .

نفسه كما روت عائشة رضي الله عنها !؟

قلت : هذا كلام مَنْ ليس له درايةٌ بعلم الحديث، فقصة التردّي من رؤوس شواهِق الجبال مِنَ الوَهْمِ عزوها للبخاري، فهي من بلاغات الزُّهريّ، وليس مِنْ حديث عائشة رضي الله عنها، ووجودها في صحيح البخاري لا يعني أنّها صحيحة على شرطه، ولكن صنيع البخاريّ يوهّم مَنْ لا عِلْمَ له أنّها على شرطه، فليس كُلُّ كلمة في الصّحيح على شرط البخاريّ.

فهنالك أحاديث مسندة صحيحة، وأخرى معلقة سقط من أوّل الإسناد راوٍ فأكثر على التّوالي، وقد تجد الحديث معلقاً في موضع وموصولاً في موضع آخر من كتابه، ومنها ما لا يوجد إلا معلقاً، وقد جمعها الحافظ في كتابه "تغليق التّعليق" وهي قليلة، وجلّها صحيح.

وقد علّقها البخاري بصيغتين : صيغة الجزم، وصيغة التّمريض، وما علّقه بصيغة الجزم فصحيح إلى من علّقه عنه، ثم النّظر فيما بعد ذلك، وما كان منها بصيغة التّمريض ممّا لم يورده في موضع آخر فلا يوجد فيه ما يلتحق بشرطه إلا القليل، وقد علّقها بهذه الصّيغة كونه يذكرها بالمعنى، ولكن فيها الصّحيح، وفيها ما هو حسن، وفيها دون ذلك.

وهناك الموقوفات، وهي أقوال الصّحابة أو التّابعين، ومنها الصّحيح ومنها دون ذلك، وهذا يعرفه أهل الحديث، ولا يجهله طُلابُ العِلْمِ، وفي منأى عنه أهلُ الجهل .

ففي آخر حديث عائشة رضي الله عنها، زاد الزُّهري : "فيما بلغنا" وعلى ذلك فهذا من

بلاغات الزُّهري، وليس من حديث عائشة رضي الله عنها، والزُّهري من الطبقة الرَّابِعة أي من الطبقة التي تلي الوسطى من التَّابعين، وبينه وبين النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله واسطة أو واسطتان أو أكثر، وغالب روايات الزُّهري إذا قال: "بلغنا" الإعضال، أو الإرسال.

والمُعْضَل: هو ما سقط من سنده راويان أو أكثر على التوالي، والمرسل - عند الفقهاء والأصوليين - ما رفعه غيرُ الصَّحَابِيِّ، وسُمِّي بالمرسل لأنَّ صاحبه أطلقه، ولم يقيده بالصَّحَابِيِّ الَّذِي رواه عنه.

ومن أهل الحديث مَنْ يرى أنَّ ما أرسله صِغَارُ التَّابعين منقطع، والحاصل المُعْضَل والمُرْسَل والمنقَطع من أنواع الضَّعيف، ومرسل الزُّهري هذا شبه الرُّيح. قلت: وقد ذكر البخاري حديث (بدء الوحي) في غير موضع من كتابه، فقد ذكره في كتاب التفسير، وكتاب بدء الوحي، وكتاب بدء الخلق، وكتاب الأدب، وهذه الزيادة لم يذكرها إلا في أوَّل كتاب التَّعبير، ولعلَّه ذكرها لينبئه إلى مخالفتها لما صحَّ عنده من حديث بدء الوحي.

فالبخاري - رحمه الله - سَمَّى كتابه "الجامع الصَّحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسننه وأيامه" ومن قوله (الصَّحيح) فهم العلماء أنَّه ما أدخل إلا ما صحَّ ممَّا ساق إسناده، وأنَّه احترز عن إدخال الضَّعيف، ومن قوله (المسند) أنَّ مراده الأصليَّ تخريج الأحاديث المتَّصلة إسنادهما بالصَّحابة رضي الله عنهم إلى الرَّسول صلى الله عليه وآله، وأنَّ الحديث الصَّحيح: ما رواه عدلٌ متَّقِنٌ ضابِطٌ عن مثله إلى منتهاه بإسنادٍ متَّصل من غير شذوذٍ ولا علة. كما فهم العلماء من عمله في كتابه أنَّه اشترط على رواته: المعاصرة واللِّقاء، أي معاصرة الرَّاوي مَنْ يروي عنه، وثبوت لقاءه له، وأنَّ

ما وقع في كتابه من غير شرطه، فإنما وقع عرضاً لا أصلاً ومقصوداً.

قلت : ومن الخطأ الشنيع والغلط الفظيع أن يقرأ هؤلاء في الجامع الصحيح، وهم لا يعرفون مصطلح كاتبه، فهذا يوقع الاضطراب في الفهم.
وقصة التردّي هذه أوردها الألباني في "الضعيفة" وقال : "بلاغ الزهري ليس على شرط البخاري"^(١). وهي بلا شك من زيادات الزهري كما جزم بذلك الحافظ في "الفتح"، وقال : "وهو من بلاغات الزهري وليس موصلاً"^(٢).

قلت : وبلاغ الزهري لم يأت من طريق موصل تقوم به حجة، ولا يحتاج إلى توجيه، فلا ينبغي الانشغال بالفرع طالما لم يسلم الأصل، أيضاً مهما بلغ الراوي من الضبط والإتقان والورع، فإنه يدخل حديثه الشذوذ والعلّة، فالخطأ والتصحيف قل أن يعرى عنه ليبب أو حصيف، وهذا معلوم لدى المشتغلين في علل الحديث.

وقد ثبت في الصحيحين عن الزهري نفسه أن النبي ﷺ تحدّث عن فترة الوحي وحزنه، ولم ترد كلمة واحدة عن قصة التردّي، قال محمد بن شهاب (الزهري) : فأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي - قال في حديثه : "بيننا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، ففرقت منه، فرجعت فقلت : زملوني،

(١) الألباني "السلسلة الضعيفة والموضوعة" (٣م/ص ١٦٠/رقم ١٠٥٢).

(٢) ابن حجر "فتح الباري" (ج ١٢/ص ٣٠٢).

زَمُّونِي، فَدَثَرُوهُ، فَانزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنَةُ ۝١ قُرْآنًا نَزِيرًا ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِيرًا ۝٣﴾
 وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ [المذثر] قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: وَهِيَ الْأَوْثَانُ الَّتِي كَانَ
 أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْبُدُونَ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ الْوَحْيُ" (١).

والخلاصة قصة التردّي ذكرها البخاريّ في أوّل كتاب التّعبير، في آخر
 حديث عائشة في بدء الوحي من طريق معمر: قال الزّهري: فأخبرني عروة عن
 عائشة... فساق الحديث إلى قوله: (وفتر الوحي) وزاد الزّهري: " حَتَّى حَزِنَ
 النَّبِيُّ ﷺ - فِيهَا بَلَّغْنَا - ... " القصة.

وأخرج الحديث بهذه الزيادة أحمد في مسنده من طريق معمر به، وأخرجه
 مُسْلِمٌ مِنْ نَفْسِ الطَّرِيقِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْقِ لَفْظَهُ، وَإِنَّمَا أَحَالَ بِهِ عَلَى لَفْظِ رِوَايَةِ يُونُسَ
 عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، وَلَيْسَ فِيهِ الزِّيَادَةُ. وَكَذَلِكَ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ مِنْ طَرِيقِ عَقِيلٍ،
 قَالَ ابْنُ شِهَابٍ بِهِ دُونَ الزِّيَادَةِ، وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي أَوَّلِ الصَّحِيحِ عَنْ عَقِيلٍ بِهِ.
 وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ الْقِصَّةَ تَفَرَّدَ بِهَا دُونَ يُونُسَ وَعَقِيلٍ، فَهِيَ شَادَّةٌ،
 فَضْلًا عَنْ أَنَّهَا مَرْسَلَةٌ مُعْضَلَةٌ؛ فَإِنَّ الْقَائِلَ: " فِيهَا بَلَّغْنَا " إِنَّمَا هُوَ الزُّهْرِيُّ.

نقض قولهم: عائشة ﷺ كانت سبباً في طلاق الجُوْنِيَّةِ وموتها كمدا

قالوا: عائشة رضي الله عنها احتالت وخادعت النبي ﷺ وكانت سبباً في طلاق

أسماء بنت التّعمان الجُوْنِيَّةِ، وأن أسماء ماتت كمداً لأجل ذلك.

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/ج٦/ص٨٩) كتاب التفسير. ومسلم "صحيح مسلم
 بشرح النووي" (١م/ج٢/ص٢٠٦) كتاب الإيمان.

قالوا : فقد روى ابن سعد، قَالَ : أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنِي
ابْنُ الْغَسِيلِ، عَنْ حَمْزَةَ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ، عَنْ أَبِيهِ وَكَانَ بَدْرِيًّا، قَالَ: " تَزَوَّجَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَسْمَاءَ بِنْتَ النُّعْمَانِ الْجُوْنِيَّةَ، فَأَرْسَلَنِي فَجِئْتُ بِهَا، فَقَالَتْ حَفْصَةُ
لِعَائِشَةَ أَوْ عَائِشَةَ لِحَفْصَةَ : اخْضَيْبِيهَا أَنْتِ، وَأَنَا أَمْسِطُهَا. فَفَعَلْنَ، ثُمَّ قَالَتْ هَا
إِحْدَاهُمَا: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يُعْجِبُهُ مِنَ الْمَرْأَةِ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ أَنْ تَقُولَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ.
فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ وَاعْتَلَقَ الْبَابَ وَأَرْخَى السُّرَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ.
فَتَالَ بِكُمُ عَلَى وَجْهِهِ فَاسْتَرَّ بِهِ، وَقَالَ: عُدْتُ مُعَاذًا. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. قَالَ هِشَامُ بْنُ
مُحَمَّدٍ : فَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ مَعَاوِيَةَ الْجَعْفِيُّ : أَنَّهَا مَاتَتْ كَمَدًّا " (١).

قلت : وهذا الحديث في سننه هشام بن محمد بن السائب الكلبي (٢)، منهم
بالوضع كأبيه، وقد أخرجه الحاكم في "المستدرک" وسكت عنه، وقال الذهبي في
"التلخيص" : سننه وإه (٣)، وذكره الألباني في "الضعيفة" وقال : موضوع (٤). وهو
كما قال؛ فإن متن الحديث يخالف ما أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي أسيد ﷺ
قَالَ : " خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى انْطَلَقْنَا إِلَى حَائِطٍ يُقَالُ لَهُ الشُّوْطُ (٥)، حَتَّى انْتَهَيْنَا

(١) ابن سعد "الطبقات الكبرى" (٨م/ص ١٤٥).

(٢) قال عنه ابن حبان : " كان غالباً في التشيع ، أخباره في الأغلو طات أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفها "ابن حبان " كتاب المجروحين " (ج ٣/ص ٩١).

(٣) الحاكم "المستدرک" (ج ٤/ص ٣٧) كتاب معرفة الصحابة .

(٤) الألباني "الضعيفة" (ج ٥/ص ١٦٦/رقم ٢١٤٤).

(٥) بستان معروف في المدينة.

إِلَى حَائِطَيْنِ، فَجَلَسْنَا بَيْنَهُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اجْلِسُوا هَاهُنَا. وَدَخَلَ وَقَدْ أَتَى بِالْجُؤَيْبِيَّةِ، فَأَنْزَلَتْ فِي بَيْتٍ فِي نَخْلِ فِي بَيْتِ أُمِّمَةَ بِنْتِ النُّعْمَانَ بْنِ شَرَّاحِيلَ، وَمَعَهَا دَائِبَتُهَا حَاضِنَةٌ لَهَا، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: هَبِي نَفْسِكَ لِي، قَالَتْ: وَهَلْ تَهَبُ الْمَلِكَةَ نَفْسَهَا لِلشُّوقَةِ^(١)؟! قَالَ: فَأَهْوَى بِيَدِهِ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهَا لِيَسْكُنَ، فَقَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ^(٢)، فَقَالَ: قَدْ عُدْتِ بِمَعَاذِي، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: يَا أَبَا أُسَيْدٍ، اكْسِبْهَا رَازِقَتَيْنِ^(٣) وَأَلْحِقْهَا بِأَهْلِهَا^(٤).

قلت: وليس في الحديث أن عائشة أو حفصة رضي الله عنهما وراء ما حدث؛ فليس لهما ذكرٌ أصلاً، ولو كان شيء من هذا لعلِمَ بالنقل الصحيح، ولكن ماذا تقول لمن عدَّ نفسه عالماً فقيهاً، وإماماً نبياً، وراح يتجاسر في ألفاظه.

نقض قولهم: إنها ﷺ لا تسأل عن دين وإنما تسأل عن متاع

قالوا: عائشة لا تُسأل عن دين، وإنما تسأل عن متاع الدنيا، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَائِهِ حِجَابٍ...﴾ ﴿٥٢﴾ [الأحزاب]، قالوا: فالآية فيها قيدان: قيد في السائل أن يسأل عن متاع، وقيد في المسؤول - وهنَّ أمهات المؤمنين - أن يسألن من وراء حجاب.

قلت: الغريب أن هذا الكلام هناك من يتداعى عليه، ويأخذه على أنه

(١) غير الملوك.

(٢) لعلها لم تعرفه ﷺ.

(٣) الرّازقيّة: ثياب كتّان بيض.

(٤) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/٦ج/١٦٤) كتاب الطلاق.

كلامٌ مُسَلَّمٌ به، ولا شَيْبَةَ فيه، وهو مِنْ كَلامِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ، الَّذِينَ يَفْرَقُونَ بَيْنَ آيِ الْكِتَابِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ...﴾ (البقرة، ٨٥) ﴿...﴾، خِلافَ مَنْ قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ (آل عمران، ١١٣) ﴿...﴾.

فكيف يسوغ تأويلهم وقد أمر الله تعالى زوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن - أن يذكرن ويبلغن ما يتلى في بيوتهن من القرآن والسنة، قال تعالى: ﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ...﴾ (٣٤) ﴿...﴾ [الأحزاب] والمعنى اذكرن في أنفسكن ما يتلى في بيوتكن من القرآن والسنة، واذكرنه لغيركن على وجه الوعظ والتعلیم والتبليغ.

وعائشة رضي الله عنها أولاهن بذلك وأخصهن؛ فلم ينزل الوحي على رسول الله ﷺ وهو في لحاف امرأة غيرها، فقد قال النبي: "يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة؛ فإنه والله ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منك غيرها" (١) كما أنها رضي الله عنها كانت صغيرة في العمر، والصغير أحفظ، ولم تشغل بولد. وقوله ﷺ: "لا تؤذيني في عائشة" يدل على أن إيذاء عائشة رضي الله عنها فيه إيذاء للنبي ﷺ!

ثم إنهم فهموا معنى المتاع على أنه كل ما يُتَّع به من عروض الدنيا! وفي المتاع أقوال منها: حاجة، أو فتوى. وهذا يدل على جواز مساءلتهم من وراء حجاب في حاجة، أو مسألة يُستفتى فيها. وأياً كان معنى المتاع، فهو عام في كل ما

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/ج٤/ص٢٢١) كتاب فضائل الصحابة.

يُطَلَّبُ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ.

ولذلك كانت أمهات المؤمنين يذكُرْنَ ما أمرهنَّ اللهُ به، وكان الصحابة ﷺ يسألونهنَّ خاصَّةً عائشة، ولعلَّ هذا ممَّا رفع من قدرهنَّ، فما زال النَّاسُ يترصَّون عنهنَّ وعمَّن رضي اللهُ عنهم.

والحجاب في الآية: ﴿مِنْ وَّرَاءِ حِجَابٍ﴾ المراد به حجاب البيوت، حيث المرأة مبتدلة في بيتها، فأوجب اللهُ تعالى على المؤمنين إذا سألوا أمهات المؤمنين أن يسألوهنَّ من وراء حجاب (سِتْر)، ولذلك كانت أمُّ المؤمنين عائشة تعلم النَّاسَ من وراء حجاب امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى، ففي الصحيحين عن الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: "سَمِعْتُ عَائِشَةَ - وَهِيَ مِنْ وَّرَاءِ الْحِجَابِ - تُصَفِّقُ، وَتَقُولُ: كُنْتُ أَفْتِلُ فَلَا تَدَّ هَدْيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِيَدَيَّ... " (١) الحديث.

كما أمر اللهُ تعالى أمهات المؤمنين - والنساء تبع لهنَّ - بالحجاب إذا خرَّجنَ من بيوتهنَّ، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلُوبًا لَلزَّوْجِكِ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابٍ مِّنْهُنَّ ذَلِكَ أَذْفَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنُهُنَّ...﴾ [الأحزاب]، فأية الحجاب عند المخاطبة في المساكن، وأية الجلايب عند الخروج من المساكن.

قلت: وكيف لا تُسأل أمُّ المؤمنين عائشة ﷺ عن دين، وقد قيل لمسروق: هل كانت عائشة تُحسِّنُ الفرائض؟ قال: "والَّذي نفسي بيده، لقد رأيتُ مَشْبَحَةَ

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٥م/٩ج/٧٣) كتاب الحجِّ، والبخاري "صحيح البخاري" (٣م/٦ج/٢٣٩) كتاب الأضاحي.

أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ يسألونها عن الفرائض" (١).

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبِيعٍ: "كَانَتْ عَائِشَةُ أَفْقَهُ النَّاسِ، وَأَعْلَمَ النَّاسِ، وَأَحْسَنَ النَّاسِ رَأْيًا فِي الْعَامَّةِ" (٢)، وَقَالَ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ: "مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَمْرٌ فَسَأَلْنَا عَنْهُ عَائِشَةَ إِلَّا وَجَدْنَا عِنْدَهَا فِيهِ عِلْمًا" (٣)، وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ: "مَا رَأَيْتُ امْرَأَةً أَعْلَمَ بِطَبِّ وَلَا بِفِقْهِ وَلَا بِشَعْرِ مِنْ عَائِشَةَ" (٤)، وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: "لَوْ جُمِعَ عِلْمُ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيهِنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ عِلْمُ عَائِشَةَ أَكْثَرَ مِنْ عِلْمِهِنَّ" (٥).

نقض قولهم : لم ينزل في عائشة ﷺ شيء من القرآن

قالوا : لم ينزل في آل أبي بكر شيء من القرآن، فضلاً عن أن ينزل في عائشة، لما روى البخاري عن عائشة، قالت : "مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِينَا شَيْئاً مِنَ الْقُرْآنِ". قلتُ : هذا كلام مَنْ لم يتعلَّم الوقف والوصل، فهو يقف على كلام لم يتم معناه لتعلقه بما بعده لفظاً ومعنى، وهذا وقف قبيح لأنَّه أفاد معنى غير مراد

(١) الهيثمي "مجمع الزوائد" (ج٩/ص٢٤٢)، وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن . وأخرجه الحاكم في "المستدرک" (ج٤/ص١١) كتاب معرفة الصحابة .

(٢) ابن حجر "الإصابة" (م٤/ج٨/ص١٤٠/رقم ٧٠١) كتاب النساء.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الهيثمي "مجمع الزوائد" (ج٩/ص٢٤٢) وقال : رواه الطبراني وإسناده حسن .

(٥) المرجع السابق، وقال الهيثمي : رواه الطبراني مرسلًا ورجاله ثقات. وأخرج نحوه الحاكم في "المستدرک" (ج٤/ص١١) كتاب معرفة الصحابة ، وقال الذهبي في التلخيص : على شرط البخاري ومسلم.

لتوقّف ما بعده عليه ليطمّ به المعنى، فالرواية عند البخاري عن يوسُفَ بنِ مَاهَكَ قَالَ: "كَانَ مَرْوَانَ عَلَى الْحِجَازِ اسْتَعْمَلَهُ مُعَاوِيَةَ، فَخَطَبَ فَجَعَلَ يَذْكُرُ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ؛ لِكَيْ يُبَايِعَ لَهُ بَعْدَ أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ شَيْئًا، فَقَالَ خُدُوهُ فَدَخَلَ بَيْتَ عَائِشَةَ رضي الله عنها؛ فَلَمْ يَقْدِرُوا، فَقَالَ مَرْوَانَ: إِنَّ هَذَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍ لَكُمَا أَتَعِدَانِي...﴾ (١٧) ﴿[الأحقاف] فَقَالَتْ عَائِشَةُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِينَا شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَذْرِي﴾ (١).

فمراد عائشة رضي الله عنها أنه لم ينزل في ذمهم شيء من القرآن، وإنما نزل عذرها وبراءتها ممّا نَسَبَ أهلُ الإفك. فالوقف والابتداء قد يحيل الكلام إلى معنى غير مقصود، ومن تعمّد ذلك ﴿فَاتِمًا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ...﴾ (١٣٧) ﴿[المؤمنون].

ومنهم مَنْ شَغَبَ، فقال: قَوْلُهَا: "مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِينَا" يدلُّك على أن قوله تعالى: ﴿ثَافِتٌ أَثْنَيْنِ...﴾ (٤٠) ﴿[التوبة] ليس المراد به أبا بكر رضي الله عنه، وليس كما زعم، فالمراد بقول عائشة: "فِينَا" أي في بني (أولاد) أبي بكر، لا في أبي بكر وآله، ثم إنَّهَا تنفي نزول آيات في ذمهم، ولا تنفي نزول آيات بالكلية.

فالصّدِّيق رضي الله عنه صاحب النّبِيِّ صلّى الله عليه وآله في الحضرة والأسفار، وجاره في الرّوضة الشّريفة المحاطة بالأنوار، نزل فيه قوله تعالى: ﴿ثَافِتٌ أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ...﴾ (٤٠) ﴿[التوبة]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ...﴾ (٢٢) ﴿[النور]، وقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ (١٧) ﴿[الليل].

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/٦ج/٤٢ ص) كتاب التفسير.

وقد استدلل العلماء بقوله تعالى : ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾ [الليل] ومعه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى ﴾ [الحجرات] على أن أبا بكر الصديق ؓ ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين على رجل أفضل منه .

ولكن لمن تقول هذا؟! إن أهل الأهواء لو جئتهم بكل آية ﴿ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا... ﴾ [الحجر] ، وصدق الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الْقَبْرَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ ﴾ (٨٠) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ [النمل] .

نقض قولهم : عائشة ؓ زوجة النبي ﷺ في الدنيا لا في الآخرة

قالوا : عائشة ؓ زوجة النبي ﷺ في الدنيا لا في الآخرة؛ واحتجوا بأنها بدلت وغيرت من بعده ﷺ .

قلت : وحجتهم داحضة؛ فقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما أمر بتخيير أزواجه بين المقام معه أو مفارقتة هن بدأ بعائشة ؓ ، فقال : " إني ذاكركم أمرًا فلا عليكم أن لا تعجلي حتى تستأمرني أبويك ، قالت : وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه ، قالت : ثم قال إن الله جل ثناؤه ، قال : ﴿ يَتَأَيَّمُ النَّبِيُّ قُلُوبَ لَأَ تَرَوْكَ إِذْ كُنْتَ تَرُدُّكَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبَّتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَكَ وَأَمْسِكَكَ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ (٨١) وَلَنْ كُنْتَ تُرَدُّكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب] ، قالت : فقلت : ففي أي هذا أستأمر أبوي؟! فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ ، قالت : ثم فعل أزواج النبي

ﷺ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ" (١).

فأمهات المؤمنين كلهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وكلهن محسنات أعد الله لهن أجراً عظيماً.

وقد حظر الله تعالى عليهن أن يتزوجن بعد موته ﷺ، وقصرهن عليه ﷺ؛

ليقين أزواجه في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أزْوَاجَهُ، مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا...﴾ (٥٣) [الأحزاب].

ومن المعلوم أن زوجة المؤمن في الدنيا زوجته في الآخرة، لقوله ﷺ:

"المرأة لآخر أزواجها" (٢) ولقوله تعالى: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ

وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ...﴾ (٣٣) [الرعد]، وقوله: ﴿هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ

مُتَّكِئِينَ﴾ (٥٦) [يس]، وقوله: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (٧٠) [

الزخرف] فإذا كان هذا للمؤمنين، فما بالك بالنبِيِّ ﷺ وأمّهات المؤمنين!

وهناك أحاديث صحيحة صريحة تدحض قول من زعم أن عائشة رضي الله عنها

زوجة النبي ﷺ في الدنيا لا في الآخرة، فقد بشرها النبي ﷺ أمها زوجته في الدنيا

والآخرة، منها ما رواه ابن حبان وغيره بسند صحيح، عن ابن أبي مليكة عن

عائشة، قالت: جاء بي جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ في خرقه حريير، فقال: "هذه

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/ج٦/ص٢٣) كتاب التفسير. ومسلم "صحيح مسلم

بشرح النووي" (٥م/ج١٠/ص٧٨) كتاب الطلاق.

(٢) الألباني "الصحيحة" (٣م/ص٢٧٥/رقم١٢٨١).

رَوَجَّتْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" (١).

وما رواه الحاكم عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ذكر فاطمة رضي الله عنها، قالت : فَتَكَلَّمْتُ أَنَا فَقَالَ: "أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ، قَالَ: فَأَنْتِ زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" (٢).

أَمَّا مَنْ زَعَمَ أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها ظَهَرَ مِنْهَا فِي حَيَاتِهِ رضي الله عنه مَا يُوجِبُ كُفْرَهَا، فَيَدْحُضُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ...﴾ (١٠) [الممتحنة]. فلو ظهر منها شيء من ذلك ما أمسك النبي رضي الله عنه بعصمتها.

هذا وهناك مطاعن أخرى، وشبهات لا تكاد تنقضي، وحسبنا ما رددنا عليه، لِيَقِفَ الْعَاقِلُ عَلَى أَطْلَالِ الْبَاطِلِ، وَيَطَّلِعَ عَلَى آثَارِ فِكْرِ عَاطِلٍ، لِتَبْقَى النَّفْسُ مُسْتَكِينَةً لِلْحَقِّ مُبْصِرَةً لِلصِّدْقِ، وَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ، وَالْبَاطِلُ حَقِيقٌ بِأَنْ يُتْرَكَ وَلَا يَسْتَمَعُ، وَفِيهَا أَشْرَتْ غَنَى لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَوَعَى، وَفِيهَا رَوَيْنَاهُ عَنْ عَائِشَةَ أَصْدَقَ رَدًّا وَأَبْلَغَهُ.

أَحَادِيثُ مَوْضُوعَةٌ فِي حَقِّ عَائِشَةَ رضي الله عنها

وَلَدَ الْمُؤَلَّدُونَ، وَوَضَعَ الْوَضَّاعُونَ أَحَادِيثَ كَثِيرَةً يَطْعَنُونَ بِهَا عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها وَغَيْرِهَا حَتَّى شَبِعُوا مِنْ لَحُومِ الْغَوَافِلِ، وَأَذَاعَ وَأَشَاعَ هَذِهِ الْأَخْبَارَ مَنْ ضَبَعَ وَأَضَاعَ، وَكَعَمَّرُ اللَّهِ لَوْ تَابُوا وَأَصْلَحُوا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ، فَوَيْلٌ لَأَكْلِي لَحُومِ النَّاسِ،

(١) الألباني "التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان" (ج ١٠ / ص ١٨٠ / رقم ٧٠٥٢).

(٢) الحاكم "المستدرک" (ج ٤ / ص ١٠) كتاب معرفة الصحابة، وقال الحاكم: الحديث صحيح ولم يخزجاه، ووافقه الذهبي.

﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لُحْمَةً﴾ [الهمزة].

ومن هذه الأحاديث: "خذوا شَطْرَ دينكم عَنْ هذه الحميراء" ^(١) وهو موضوع، ومنها حديث: "يا حميراء، لا تغتسلي بالماء المشمس، فإنه يُورثُ البرص" ^(٢). وحديث: "يا عائشة، اتخذت الدنيا بطنك؟! أكثر من أكلة كل يوم سرف، والله لا يحبُّ المسرفين" ^(٣). وحديث: "يا عائشة، اهجري المعاصي، فإنَّها أَفْضَلُ من الهجرة، وحافظي على الصَّلَاة، فإنَّها أَفْضَلُ من الجهاد" ^(٤).

ومنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دخل على عائشة و فاطمة، وقد جرى بينهما كلام، فقال ﷺ: "ما أنتِ بمتتهية يا حميراء عن ابنتي؟ إِنَّ مثلي ومثلك كأبي زرع مع أم زرع ..." ^(٥). ومنها: "إذا أردت اللِّحوق بي، فليكفك من الدنيا كزاد الراكب، وإيَّاك ومجالسة الأغنياء، ولا تستخلفني ثوباً حتى ترقيعه" ^(٦). وهناك أحاديث

(١) الألباني: "الضعيفة" (م ١٤ / ص ٧٦ / رقم ٦٥٣٢) وقال الألباني: منكر.

(٢) ابن القيم "المنار المنيف" (ص ٥٧) وهو حديث باطل.

(٣) الألباني: "الضعيفة" (ج ١ / ص ٤٢٣ / رقم ٢٥٧)، وقال: موضوع.

(٤) الألباني: "الضعيفة" (ج ١١ / ص ٢٠١ / رقم ٥١١٩) وقال: منكر.

(٥) الألباني: "الضعيفة" (م ١٤ / ص ٧٦ / رقم ٦٥٣٢) وقال الألباني: منكر.

(٦) الترمذي: "ضعيف سنن الترمذي" (ص ٢٠١) كتاب اللباس، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح بن حسان، وصححه الحاكم في "المستدرک" (ج ٤ / ص ٣١٢) وفي سننه سعيد بن محمد الوراق، قال عنه الحافظ: ضعيف "تقريب التهذيب" (ص ٢٤٠ / رقم ٢٣٨٧)، وقال الذهبي في تلخيص المستدرک: الوراق عَدَم. وأورده الألباني في "الضعيفة" (ج ٣ / ص ٤٥٧ / رقم ١٢٩٤) وقال: ضعيف جداً.

أخرى، وفيما ذكرنا غنى لمن وَعَى وَاذَعَى.

هذا وليس أبغض إلى الوضّاعين من أهل الحديث، الَّذِينَ نَخَلُوا الرُّوَايَاتِ
وَمَيَّزُوا الطَّيِّبَ مِنَ الخَبِيثِ، وقد أحسن القائل :

أَهْلُ الْحَدِيثِ هُمْ أَهْلُ النَّبِيِّ وَإِنْ لَمْ يَصْحَبُوا نَفْسَهُ أَنْفَاسَهُ صَحَبُوا
فطوبى لأهل الحديث الَّذِينَ دعا لهم رسولُ الله ﷺ بالنُّصرة، فقال :
" نَصَرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبْلَغَهُ غَيْرَهُ، فَإِنَّهُ رَبُّ حَامِلِ فَقْهِ لَيْسَ
بِفَقِيهِ، وَرَبُّ حَامِلِ فَقْهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ " (١).

ويا حسرة على مَنْ يظنُّ أَنَّ الكذب يفيء عليه مغنماً، أو أَنَّ الصُّدق يخسر
فيه درهماً، أو يجرّ عليه مغرمًا؛ فلو جاء يوم القيامة بكلِّ معذرة يعتذر بها ما تقبل
منه ، ﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِرَهُ ﴾ [القيامة].

ويفتّ في عضدك، ويقلق مرفدك، أن تجد مَنْ يتأشّب إلى الوضّاعين الَّذِينَ
مَا اشْتَمَلَتِ النِّسَاءُ عَلَى ذِي هَهْجَةٍ أَكْذَبَ مِنْهُمْ، ويقتفي أثرهم وينشر خبرهم.
لقد خسر الَّذِينَ اكتبوا هذه الأحاديث، ويمّموا وجوه النَّاسِ إليها،
وجعلوا كلام الله تعالى ورسوله ﷺ وراء ظهورهم : ﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ
أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة].

أين تذهب عنهم هذه الآيات : ﴿ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمَكُرُونَ ﴾ ﴿ ١١ ﴾
[يونس] ، ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَعَثَرَهُمْ... ﴾ ﴿ ١٢ ﴾ [يس] ، ﴿ هَذَا كَتَبْنَا يَنْطِقُ

(١) أحمد "المسند" (ج ١٦ / ص ٣٢ / رقم ٢١٤٨٢) وإسناده صحيح .

عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ [الجاثية]. فليحذر الذين
 يبعون الغواتل، ويخلطون الحق بالباطل، فعملهم إلى بوار، ومصيرهم إلى القهّار
 ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر].

ماذا قال ابن عباس رضي الله عنه حين اشتكت عائشة رضي الله عنها وحين حضرتها الوفاة
 لما اشتكت عائشة رضي الله عنها جاء ابن عباس رضي الله عنه فقال: "يا أم المؤمنين،
 تقدّمين على فرط صدق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر رضي الله عنه (١). أي ستلحقين
 بالأحبة: النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه، فقد سبقك وهياً لك المنزل في الجنة، فقطع
 ابن عباس لعائشة بدخول الجنة، ولا يقال ذلك إلا بتوقيف.

وثبت أن ابن عباس استأذن على عائشة قبل موتها، وهي مغلوبة، قالت:
 "أخشى أن يُنَيَّيَ عليّ، فقيل: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن وجوه المسلمين، قالت:
 ائذنوا له، فقال: كيف تجديتك؟ قالت: بخير إن اتقيت، قال: فأنت بخير إن شاء
 الله، روجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم ينكح بكراً غيرك، ونزل عذرك من السماء. ودخل
 ابن الزبير خلافة، فقالت: دخل ابن عباس فأتى عليّ، ووَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسِيًّا
 مَنْسِيًّا (٢) (٣).

وهذه الشهادة عندما تأتي من ابن عباس رضي الله عنه لها دلالتها؛ فهو من شهداء
 الله تعالى في الأرض، وما كان ليشهدها رضي الله عنه لولا علمه بذلك!

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٤ج/٢٢٠) كتاب أحاديث الأنبياء.

(٢) على عادة أهل الورع والتقى.

(٣) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/٦ج/١٠) كتاب التفسير.

القسم السادس عدالة الصحابة رضي الله عنهم وأدلة العدالة

عدالة الصحابة رضي الله عنهم

المراد بعدالة الصَّحابة أنَّهم لا يتعمَّدون الكَذِبَ على رُسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، لما شَهِدَ اللهُ لهم به مِنْ سَلامَةِ قلوبهم، وصدقِ إيمانهم، وحسنِ تَقْواهم، ولما مدحهم صلى الله عليه وآله به في آياتٍ يَكْثُرُ إيرادُها، ولما ثبت عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله من عظيمِ مناقبهم، وعلوِّ مراتبهم، وفضلِ سوابقهم في أحاديثٍ يطولُ تعدادها.

فهم عدول بتعديل الله تعالى لهم ورسوله صلى الله عليه وآله، وكلُّهم عدول مَنْ سَبَقَ إسلامُهُ منهم وَمَنْ تَأَخَّرَ، وَمَنْ هاجر وَمَنْ ناصر، ومن قاتل معه صلى الله عليه وآله وَمَنْ لم يُقاتل، وَمَنْ لازمه صلى الله عليه وآله وَمَنْ لم يلازمه، وَمَنْ ماتَ في حياته صلى الله عليه وآله وَمَنْ مات بعد وفاته صلى الله عليه وآله، وَمَنْ لابس الفتن منهم وَمَنْ اعتزلها؛ لأنَّه لا يجوز أن يمدحهم الله تعالى ويشي عليهم الرُّسُولُ صلى الله عليه وآله وهم على غير ذلك، والقدح في عدالة أحدهم ذريعة لردِّ كلام الله تعالى، وكلام الرُّسُولِ صلى الله عليه وآله.

ولا نغلو فيهم، فليس المراد بعدالتهم أنَّهم معصومون عن الخطأ، فالصَّحابة غير معصومين عن الخطأ في آحادهم، لكنَّ الله تعالى أجارهم عن الخطأ في إجماعهم، لقوله صلى الله عليه وآله: "إِنَّ اللهَ قد أَجَارَ أُمَّتِي مِنْ أَنْ يَجْتَمِعَ على ضَلالةٍ" ^(١). قلت: ولذلك لما ثارت الفِتنُ بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه لم يكن هناك إجماع من الصَّحابة رضي الله عنهم على ملابستها أو اعتزالها، لكنَّ كلمتهم اجتمعت على معاوية رضي الله عنه.

(١) الألباني "الصَّحِيحة" (٣م/٣١٩ ص/١٣٣) وقال: بمجموع طرقه حسن.

لَمَا تَنَازَلَ الْحَسَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْخِلَافَةِ لَهُ تَحْقِيقًا لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ " ^(١)، وَسَمِّيَ ذَلِكَ الْعَامَ عَامَ الْجَمَاعَةِ، وَهَذَا يُؤَكِّدُ صِحَّةَ خِلَافَةِ مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَجَارَ أُمَّةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْاجْتِمَاعِ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَقَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَا رَيْبَ أَنَّهُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى حَقٍّ، فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ لَا يَنْتَهُونَ عَنِ ثُلْبِ مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى السَّاعَةِ، وَقَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ خَيْرُ النَّاسِ يَوْمَهَا وَرَبُّ النَّاسِ!؟

أدلة العدالة

وَمِنْ أَدَلَّةِ عَدَالَتِهِمْ مِنَ التَّنْزِيلِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُمْ مَعْفَرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ^(٢) [الحجرات] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْأَلْبَابُ﴾ ^(٣) [الزمر] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ...﴾ ^(٤) [الفتح] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَعْفَرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ^(٥) [الأنفال]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى...﴾ ^(٦) [التَّمَلُّكُ]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...﴾ ^(٧) [المائدة]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٨) [الأنفال] فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ مُتَكَاثِرَةٍ.

(١) البخاري " صحيح البخاري " (٢م/ج ٣/ص ١٧٠) كتاب الصلح .

ومن أدلة عدالتهم من السنة، قول النبي ﷺ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوكُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُوكُهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةَ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ" (١).

وصدق رسول الله ﷺ، فقد خَلَفَهُمْ خَلْفٌ لَا يُتَوَرَّعُونَ فِي كَلَامِهِمْ، وَتَجَرَّوْا عَلَى اللَّهِ فِي أَيْمَانِهِمْ.

ومن أدلة عدالتهم قوله ﷺ: "النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ، أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي، أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ" (٢).

والمعنى أن بقاء النجوم أمانٌ للسماء، فإذا النجوم انكدرت، جاء السماء ما تُوعَدُ فانفطرت وانشقت، وبقاء النبي ﷺ أمانٌ لأصحابه ﷺ، فلما ذهب ﷺ جاء أصحابه ﷺ ما يوعدون من الفتن، وبقاء الصحابة ﷺ كان أماناً للأمة، فلما ذهب الصحابة ﷺ جاء أمة النبي ﷺ ما يوعدون من اشتداد الفتن، واختلاف القلوب، وغير ذلك، وهذه كلها من علامات النبوة، لوقوع ما أنذر به ﷺ.

وقال رسول الله ﷺ: "يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَعْرُزُونَ فِتْنًا مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُونَ: فِيكُمْ مِنْ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَعْرُزُونَ فِتْنًا مِنَ النَّاسِ، فَيَقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مِنْ صَاحِبِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَعْرُزُونَ فِتْنًا"

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/ج ٣/ص ١٥١) كتاب الشهادات.

(٢) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٨م/ج ١٦/ص ٨٣) كتاب فضائل الصحابة.

من النَّاسِ، فَيَقَالُ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ " (١).

فهذه أدلة قاطعة على أفضلية الصحابة على كل من جاء من بعدهم، ثم
الذين رأوا الصحابة وهم التابعون لهم بإحسان، ثم أتباع التابعين. ويؤيد هذا
المعنى قول الله تعالى في التابعين : ﴿ وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴾ [الجمعة].

هذا وقد أفرد المحدثون كتاباً لفضائل الصحابة ﷺ، وأبواباً لفضائل
المهاجرين والأنصار وبعض أصحاب النبي ﷺ بما يغني عن إعادته.

ويكفي المهاجرين شرفاً أن الله تعالى سمّاهم الصادقين، فقال : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ
الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضلاًً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً
وَيَبْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر] (٨) وأنه أمر المؤمنين أن
يكونوا معهم ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ
﴾ [التوبة] (١١١).

ويكفي الأنصار شرفاً أن الله تعالى جعلهم المفلحين، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ
تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر] (٩).

(١) البخاري " صحيح البخاري " (٢م/ج٤/ص١٨٩) كتاب فضائل الصحابة .

الصَّحَابَةُ ﷺ شهداء الله تعالى

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قال: "مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَجِبَتْ. ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجِبَتْ. فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: مَا وَجِبَتْ؟ قَالَ: هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجِبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ" (١). وفي رواية، قال ﷺ: "شَهَادَةُ الْقَوْمِ الْمُؤْمِنُونَ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ" (٢).

وفي وَسَطِ سورة البقرة، في الآية الثالثة والأربعين بعد المائة أثنى الله تعالى على الصَّحَابَةِ بِأَن جَعَلَهُمْ أُمَّةً وَسَطًا خَيْرًا عُدُولًا فِي أَقْوَامِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ (١)... ﴿١٤٣﴾ [البقرة]، وبهذا استحقَّ الصَّحَابَةُ أَن يكونوا شهداء الله تعالى على النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة]... ﴿١٤٣﴾ [البقرة]. وفي سورة الْحَجِّ: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾... ﴿٧٨﴾ [الحج].

فَالصَّحَابَةُ ﷺ شهداء الله تعالى، فكيف يجوز لأحد أن يجرح شهود الله تعالى؟! فإن قال قائل: فقد ضيَّع الصَّحَابَةُ إيمانهم بعد النَّبِيِّ ﷺ، قلنا: أما تقرأ القرآن، أما تقرأ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة]. وإذا كان ﷺ بالنَّاسِ رُؤُوفًا رَحِيمًا، فكيف بالصَّحَابَةِ ﷺ.

(١) البخاري "صحيح البخاري" (م ١/ج ٢/ص ١٠٠) كتاب الجنائز.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (م ٢/ج ٣/ص ١٤٨) كتاب الشَّهَادَاتِ.

(٣) الوسط: العَدْلُ والخِيَارُ، ووسط كُلِّ شَيْءٍ خِيَارُهُ، ووسط العقد: أَنَفْسُهُ.

ما أمر الله تعالى به من جاء من بعد الصحابة رضي الله عنهم

أثنى الله تعالى على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في غير آية ثناء أوجب محبتهم ، فقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ... ﴾ ﴿٤﴾ [الفتح] ، وقال تعالى : ﴿ فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ... ﴾ ﴿١٧٤﴾ [آل عمران] ، وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِصُرُوفِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٢١﴾ [الأنفال] في آيات يطول ذكرها .

ونَدَبَ إلى أتباعهم بإحسان ، والدُّعاء لهم والاستغفار ، فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ... ﴾ ﴿١٠﴾ [الحشر] .

فكُلُّ مَنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِ الصَّحَابَةِ مِنَ التَّابِعِينَ مَأْمُورٌ بِالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَامَّةً ، فقولته تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ عَمَّ كُلَّ مَنْ جَاءَ مِنْ بَعْدِ الصَّحَابَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ، وقوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾ عَمَّ كُلَّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم .

ولذلك فإنَّ مِنْ أَمَارَاتِ التَّابِعِينَ لِلصَّحَابَةِ بِإِحْسَانِ أَتَمِّهِمْ يَسْتَغْفِرُونَ لِإِخْوَانِهِمُ السَّابِقِينَ بِالْإِيمَانِ ، وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ فِي قُلُوبِهِمْ غِلٌّ لَهُمْ ، عِرْفَانًا بِحَقِّهِمْ وَفَضْلِهِمْ ؛ فَقَدْ وَرِثُوا عَنْهُمْ مَا تَلَقَّوهُ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَوْلًا وَعَمَلًا ، وَاعْتِقَادًا ، وَمَنْهَجًا .

وَمِنْ أَمَارَاتِ مَنْ لَمْ يَتَّبِعْهُمْ بِإِحْسَانِ أَتَمِّهِمْ يَسُبُّونَ الصَّحَابَةَ الْكِرَامَ ، وَقَدْ

أَمُرُوا بِالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ، ذَلِكَ أَنَّ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضًا، وَمِنْ أَعْظَمِ حَبِثِ الْقُلُوبِ
 وَأَمْرَاضِهَا أَنْ تَجِدَ فِيهَا غَلًّا لِلَّذِينَ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...﴾ ﴿١٠٠﴾
 [التَّوْبَةُ]. رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عُرْوَةَ، قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ رضي الله عنها: " يَا ابْنَ أَخْتِي، أَمُرُوا
 أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَسَبُّهُمْ" (١).

وتعجب حين تعلم أن كثيراً من الناس يبحثون عن علاج لأمراض
 الأبدان، وهم في الحقيقة يحتاجون إلى علاج لأمراض القلوب، التي امتلأت غيظاً
 وحقدًا وضغناً وحسدًا وزيفاً ونفاقاً وعُجباً وفخراً وكبراً وهماً وحسرة...
 وأمراض القلوب أشدَّ خطراً من أمراض الأبدان؛ فأمراض الأبدان غاية
 أمرها أنّها قد تفضي بصاحبها إلى الموت، أمّا أمراض القلوب فقد تفضي إلى الشقاء
 في الدارين، لأنَّ معينها الشبهات والشهوات!

والقرآن الكريم فيه شفاء من أمراض القلوب التي في الصدور، قال تعالى:
 ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
 لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ [يونس].

فالقرآن الكريم فيه من الآيات البيّنات والبراهين القاطعات ما يجعل
 الناظر فيه يُجْرِجُ الْحَقَّ مِنَ خَاصِرَةِ الْبَاطِلِ، وقاصد الحق لا يعمى.
 والقرآن يعلم شفاء القلوب والأبدان بإذن الله تعالى وتقديره، كما قال تعالى
 : ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَدْرِكَهُ بِالْعُقُبِ وَأَذَانِهِمْ وَقُرْ

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٩م/ج١٨/ص١٥٨) كتاب التفسير .

وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَى... ﴿٤٤﴾ [فصّلت] ، وقال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ﴿٨٢﴾ [الإسراء] ، لكن ما كلُّ أحدٍ يوفق للاستشفاء به .

ومن النَّاس مَنْ يجعل القرآن آخر الأسباب ، وَحَقِيقٌ بكتاب الله تعالى الَّذِي عَلَّمْنَا بَعْضَ شَأْنِهِ أَنْ يُسْتَشْفَى بِهِ مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، وَأَنْ يُقَدَّمَ عَلَى كُلِّ دَوَاءٍ ، وَاللهُ أَعْلَمُ .
فِيَاكَ أَنْ تَكُونَ مَن يَخَالَفُ أَمْرَ اللهِ تَعَالَى ، فَتَقَعُ فِي أَعْرَاضِ الصَّحَابَةِ ﷺ ، وَتَقِيمُ الْأَحْقَادَ فِي الْقَلْبِ لَهُمْ ، فَالْإِسْلَامُ حَرَمٌ حَمَلَ الْأَحْقَادَ وَالْأَضْغَانَ ، وَكُنْ مِنَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ، مَن يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ سَبَقَهُمْ فِي الْإِيمَانِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّحَابَةَ أَسْلَمَ النَّاسُ قُلُوبًا وَأَنْقَاهُمْ سِيرَةً وَسَرِيرَةً ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ نَصَّ عَلَى طَهَارَةِ قُلُوبِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى... ﴾ ﴿٣﴾ [الحجرات] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ... ﴾ ﴿٢٢﴾ [المجادلة] .

وَاعْلَمْ أَنَّ اللهُ تَعَالَى رَضِيَ عَنِ الصَّحَابَةِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ وَلَمْ يَشْتَرِطْ ، لَكِنَّهُ اشْتَرَطَ عَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ أَنْ يَتَّبِعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْهُمُ الْمُؤْتَمِرُونَ وَالَّذِينَ تَبِعُوا مِنْهُمْ مِنْكُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْتَمِرُونَ... ﴾ ﴿١٠٠﴾ [التوبة] .

وَاعْلَمْ أَنَّنَا لَا نَأْخُذُ عَقِيدَتَنَا فِي الصَّحَابَةِ ﷺ مِنْ كِتَابِ التَّارِيخِ وَرَوَايَاتِ الْمُؤَرِّخِينَ ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُ عَقِيدَتَنَا فِيهِمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى ، الْقَائِلِ فِيهِمْ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ... ﴾

اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ... ﴿١٩﴾ [الفتح].

فلا نقبل روايات تطعن في سلامة قلوبهم، والله تعالى يقول: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي

قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ [الفتح].

ولا نقبل روايات تاريخية تشكك في تقواهم، وقد شهد الله تعالى لهم أنهم

أهل للتقوى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا... ﴿١٦﴾

[الفتح] ولذلك اختارهم الله تعالى لدينه وصحبه نبيه ﷺ لعلمه ﷻ بهم.

ولا نقبل روايات تقدح في إيمانهم، والله تعالى يقول: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ

فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [المجادلة].

ولا نقبل روايات تزعم أنهم ارتدوا بعد وفاته ﷺ وأنهم في النار، والله

يقول: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ

أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى... ﴿١٠﴾ [الحديد] فهم موعودون

بالجنة، فكيف وعدهم الله الحسنى لولا علمه سبحانه أنهم سيظلمون على الإيمان؟!

وكيف يدخلون النار، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا

الْحَسَنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ

أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا

يَوْمَكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [الأنبياء].

ولا نقبل روايات تشكك في فوزهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، والله تعالى يقول: ﴿قَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

ولا نقبل روايات تتهمهم بالكفر والفسوق والعصيان بعد الإيـان، والله تعالى يقول: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِيدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات].

ولا نقبل روايات تدعو إلى معاداتهم، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا وَدَّعَى اللَّهُ

رَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا... ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة] فهم يستحقون الموالاة.

فإن احتجوا بما شجر بين الصحابة قلنا: ما شجر بينهم لا ينقض عدالتهم، ولا يقدح في إيمانهم؛ لأن ثناء الله تعالى عليهم قد مضى وانقضى، فهو سبحانه أعلم بهم وبحالهم وبقائهم على الهدى والتقى، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا... ﴿٢﴾﴾ [المائدة].

وما شجر بين الصحابة بعد كمال الدين لا يُبدل كلمات الله تعالى، قال تعالى: ﴿لَا بُدَّيْلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ... ﴿٦٤﴾﴾ [يونس] وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۗ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ... ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام] وقال تعالى: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ۗ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ... ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف] فالدين بعد

أَنْ كَمَلْ لَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يَنْقُصُ وَلَا يُبَدَّلُ وَلَا يُحَرَّفُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٧) [يونس].

واعلم أنَّ لهم فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ أَعْدَارًا، حَسَبَكَ مِنْهَا سَلَامَةٌ قُلُوبِهِمْ، وَصَفَاءُ سِرِّيَّتِهِمْ، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٣٧) [الحجرات].

فَاعْزُرْ، وَتَبَيَّنْ، وَاحْفَظْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَأَتِ اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ، فَكَمْ مِنْ لَائِمٍ، وَهُوَ مُلِيمٌ، وَاللَّهُ الْقَائِلُ:

تَأَنَّ وَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمِكَ صَاحِبًا لَعَلَّ لَهُ عُدْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ
وَلَا تَسْمَعُ إِلَىٰ أَوْلِيكَ الَّذِينَ أَعْمَىٰ الْهَوَىٰ قُلُوبَهُمْ، فَاخْتَلَقُوا الرُّوَايَاتِ،
وَوَضَعُوا الْقِصَصَ وَالْحِكَايَاتِ؛ لِإِيغَارِ الصُّدُورِ، وَإِهَابِ الْمَشَاعِرِ، وَإِثَارَةِ الْأَحْقَادِ
عَلَىٰ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِّمِ الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٤٦) [الزمر].

واعلم أنَّ التَّقْصِ فِيمَنْ تَزَيَّوْا عَنْ خِدَاعِ بَزِيِّ الْعُلَمَاءِ، لَا فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ
الْأَجْلَاءِ، الْمُثَنَّى عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ. وَكَفَىٰ بَرَهَانًا عَلَىٰ
عَدَالَتِهِمْ مِنَ السُّنَّةِ قَوْلُهُ ﷺ فِي حُجَّةِ الْوَدَاعِ: " هَذَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْعَائِبِ " (١).
فَلَوْ كَانَ فِيهِمْ مَجْرُوحٌ وَاحِدٌ لَمَا أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ جَمِيعًا بِالْبَلَاغِ عَنْهُ، وَلِذَلِكَ

(١) البخاري "صحيح البخاري" (م/١/ج/١/ص ٢٤) كتاب العلم.

لا يجوز التوقف أو التردد في عدالة أحد منهم، فأمره ﷺ إياهم بالبلاغ عنه جملة واحدة دون استثناء لا شك فيه نص صريح على عدالتهم جميعاً.

وفي الحديث تصريح بوجود تبليغ العلم ونقله وهو من فرائض الكفاية، وهذا ما قام به أصحاب النبي ﷺ، فخير من بلغ بعد النبي ﷺ أصحابه ﷺ، فقد دعوا إلى ما دعا إليه ﷺ، فأدوا الأمانة، وبلغوا الرسالة، وهذا القرآن الذي بين أيدينا، إننا نقله إلينا أصحابه ﷺ، فاجهد في اتباع سبيلهم، ولا تكن مع الجاهلين.

وهذا الصحابي الجليل عائذ بن عمرو رضي عنه ينص على أن الصحابة رضي عنهم كلهم أجمعون صفة عدول، روى مسلم أن عائذ بن عمرو، دخل على عبيد الله بن زياد، فقال: "أي بني، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن سر الرعاء الحطمة، فإياك أن تكون منهم، فقال له: اجلس فإنما أنت من نخالة أصحاب محمد ﷺ، فقال: وهل كانت لهم نخالة؟ إننا كانت النخالة بعدهم، وفي غيرهم" (١).

فإن احتجوا على عدم عدالتهم جميعاً بقوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح]. وتمسكوا بأن (من) في قوله تعالى (منهم) تفيد التجزئة والتبعض، أي أن بعضهم وعد بالمغفرة والأجر العظيم، وليس كلهم. فهذا كلام من يجهل اللغة، فحرف الجر (من) يأتي على خمسة عشر وجهاً، أحدها بيان الجنس، فالحق أن (من) في الآية بيانية للتبيين لا للتبعض، فهي تبين أن جنس الصحابة موعود بالمغفرة والأجر العظيم.

وإن احتجوا بما رواه مسلم عن حذيفة، عن النبي ﷺ، قال: "في أصحابي

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٦م/١٢ ج/١٢ ص ٢١٥) كتاب الإمامة.

اثنَا عَشَرَ مُنَافِقًا، فِيهِمْ ثَمَانِيَّةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْحِيَاطِ" (١).
 فالعنى الَّذِينَ يُنْسَبُونَ إِلَى صَحْبَتِي، وَيَتَشَبَّهُونَ بِأَصْحَابِي، فَهُوَ عَلَى الْمَجَازِ،
 وَلِذَلِكَ احْتَرَزَ ﷺ، فَقَالَ: "فِي أَصْحَابِي" وَلَمْ يَقُلْ: (مِنْ أَصْحَابِي) أَي يَدْخُلُونَ فِي
 زَمْرَةِ الصَّحَابَةِ وَلَيْسُوا مِنْهُمْ، وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِنَا: إِبْلِيسُ كَانَ فِي الْمَلَائِكَةِ وَلَيْسَ
 مِنْهُمْ، وَهَؤُلَاءِ كَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ مُنَافِقًا فِي الصَّحَابَةِ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ: كَانُوا مِنْهُمْ.
 وَكَانَ حَذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانَ ؓ قَدْ خُصَّ بِمَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ، فَهُوَ
 صَاحِبُ السِّرِّ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ غَيْرُهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ رَفَعَ قَدْرَ الصَّحَابَةِ، فَجَعَلَ إِيْمَانَهُمْ مَعْيَارًا وَمُقْيَاسًا
 لِمَنْ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِمْ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدَوْا
 وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ...﴾ (١٧٧) [البقرة].

وَالْآيَةُ فِي مَعْنَاهَا أَقْوَالٌ أَحَدُهَا: فَإِنْ آمَنُوا إِيْمَانًا مِثْلَ إِيْمَانِكُمْ، فَقَدْ اهْتَدَوْا،
 فَبَقَدْرِ الْقُرْبِ مِنْ إِيْمَانِهِمْ ﷺ تَكُونُ الْهُدَايَةُ، وَهَكَذَا.

ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَخْبَرَ عَنِ إِيْمَانِهِمْ مَقْرُونًا بِإِيْمَانِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: ﴿ءَامَنَ
 الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ
 لَا يَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا عُقْرَانِكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ
 [البقرة] ﴿١٨٥﴾

وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْلَى شَأْنِهِمْ، فَأَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ بِخَفْضِ الْجَنَاحِ لَهُمْ، فَقَالَ لَهُ

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٩م/ج ١٧/ص ١٢٤) كتاب صفات المنافقين.

﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٦٥) ﴿ الشُّعْرَاءُ ﴾، وأمره بالدُّعاء لهم، فقال: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ... ﴾ (١٦٦) ﴿ التَّوْبَةُ ﴾، وأن يكون بهم حفيماً فيبدهم بالسَّلام، فقال: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِحَايَتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ... ﴾ (١٥٤) ﴿ الْأَنْعَامِ ﴾، وأن يصبر نفسه معهم، فقال: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ. وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ... ﴾ (١٦٨) ﴿ الْكَهْفِ ﴾. وأمره أن يعفو عنهم، وأن يستغفر لهم، وأن يشاورهم في الأمر، فقال له: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ... ﴾ (١٥٩) ﴿ آلِ عِمْرَانَ ﴾.

وقد علَّمنا الله تعالى العفو عنهم عمّا كان منهم، فقد عفا سبحانه عن الذين تولّوا منهم يوم أحد، فقال تعالى: ﴿ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١٥٢) ﴿ آلِ عِمْرَانَ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١٥٥) ﴿ آلِ عِمْرَانَ ﴾.

فاعف عن زلاتهم إن وجدت فهم بشر، واستغفر لهم، فجدد العفو من عفا الله تعالى عنه.

فإذا عرفت أن الآيات تكاثرت في بيان فضلهم فلا عذر لك عند الله تعالى إذا وقعت فيهم، أو في أحد منهم، ﴿ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ... ﴾ (١٧٥) ﴿ الْبَقَرَةِ ﴾.

واعلم أن الله تعالى لم يأمر بالتَّباع كتب التاريخ، وإنما قال لنبيه ﷺ: ﴿ أَنْبِغْ

مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ... ﴿١٦﴾ [الأنعام].

وأمره أن يقول: ﴿إِن آتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ

أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٥﴾ [الأنعام]، وأمرنا الله تعالى بما أمر به نبيه ﷺ، فقال:

﴿وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ... ﴿٥٥﴾ [الزمر].

ولذلك قال النبي ﷺ لأصحابه في حجة الوداع: "وقد تركت فيكم ما

لن تصلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله. وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت، فقال - بإصبعه السبابة يرفعها إلى

السماء، ويُنكثها إلى الناس - : اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مراتٍ ^(١).

قلت: وصدق الرسول ﷺ، فقد ضلَّ من بعده ﷺ من لم يعتصم بكتاب

الله تعالى، ومن لم يأتهم برسول الله ﷺ.

كذلك لم يأمر الله تعالى بالاكْتفاء بتقليد الآباء والإعراض عما أنزله، قال

تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ

آبَاءُؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ [البقرة]، وللآية نظائر ذمَّ الله

تعالى فيها تقليد من لا علم له ولا هدى، وذمَّ فيها من لا غرض له في التقى، قال

تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا

عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاءُؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ [المائدة]، وقال

تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ

(١) مسلم " صحيح مسلم بشرح النووي " (٤م/ج٨/ص ١٨٤) كتاب الحج .

كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٦﴾ [لقمان]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ ﴿١٧﴾ [الزَّخْرَف].

لذلك تجد في التنزيل مدح مَنْ لم يقلد مَنْ لا علم له، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿١٨﴾ [الزمر].

ولم يأمر الله تعالى بالاستمساك بالروايات الموضوعية، وإنما قال ﷺ لنبية ﷺ: ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿١٧﴾ [الزَّخْرَف]، والذي أوحى إليه فيه ثناء وإطراء على الصحابة الأجلاء. هذا هو الحق ﴿ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقَّ إِلَّا الضَّلَالُ... ﴾ ﴿٣٢﴾ [يونس].

واعلم أنه مع صحة هذه النصوص كلها، وقطعية ثبوتها ودالاتها لا اعتبار لخلاف مَنْ خالف أيًّا كان. ولا أدري كيف يضرب صفحاً عن هذه الأدلة مَنْ شم رائحة العلم! ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا... ﴾ ﴿١٠٤﴾ [الأنعام].

تعزيز النبي ﷺ من دعاة لا يهتدون بهداه ولا يستنون بسنته

أخبر الصادق الأمين ﷺ عن شرِّ سيأتي من بعده، ثم يعقبه خيرٌ لكن فيه دخنٌ، أي ليس خيراً خالصاً ولا نقيّاً، بل فيه كدر يشوب صفوه، ثم يكون من بعد هذا الخير شرٌّ خالص.

أخرج البخاري عن أبي إدريس الخولاني، أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول:
 " كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ
 يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ
 بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ،
 وَفِيهِ دَخْنٌ، قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ،
 قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ
 إِلَيْهَا قَدْ فُؤَهُ فِيهَا.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ،
 قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ
 يَكُنْ هُمْ جَمَاعَةً وَلَا إِمَامًا؟ قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصُ بِأَصْلِ
 شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ"^(١).

وفي رواية مسلم: " يَكُونُ بَعْدِي أُمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايِي، وَلَا يَسْتَتُونَ
 بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ... "^(٢).

ولعله ﷺ عنى بالشَّرِّ الأوَّلَ الفتن التي وقعت بعد استشهاد عثمان ؓ،
 وعنى بالخير التحكيم (الصلح) الذي جرى بين عليٍّ ومعاوية، أو عام الجماعة
 الذي تنازل فيه الحسن ؓ عن الخلافة لمعاوية ؓ، واجتمعت فيه كلمة المسلمين،
 لكن لم يكن الخير خالصاً يوماً لخلاف من خالف من الخوارج.

(١) البخاري "صحيح البخاري" (م٤/ج٨/ص٩٣) كتاب الفتن .

(٢) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (م٦/ج١٢/ص٢٣٨) كتاب الإمارة .

أما الشر الثاني، فقد صرَّح به ﷺ، وهو ظهورُ دُعاةٍ على أبواب جهنم، على اعتبار ما يكون ويؤول إليه حالهم، وكان هذا بعد معاوية رضي الله عنه، ولعلهم الخوارج، وبعض أمراء الطوائف والفرق، وأئمة الجور، وعلماء السوء في ذلك الزمان. وعلى هذا فكلُّ مَنْ دعا إلى ضلالة، أو دعا إلى غير سنة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين من بعده، أو هدى بغير هدى الله تعالى ورسوله ﷺ، فهو من الدعاة على أبواب جهنم.

وفهم من الحديث أنه إذا لم يكن للمسلمين جماعة تجمعهم ولا إمام يأمرهم، وكانوا فرقا مختلفة متفرقة لا ربح فيها، فإنه يجب اعتزال هذه الفرق، وقد قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾ (آل عمران).

ومن المعلوم أن النصوص الشرعية تأمر باتِّباع النبي ﷺ، والأخذ بسنته وعدم مخالفتها لما جاء من الوعيد الشديد في ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ عَذَابًا شَدِيدًا الْعِقَابِ﴾ (الأنفال) وتأمر باتِّباع سبيل المؤمنين (الصحابة رضي الله عنهم)، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء).

واعلم أن مَنْ لم يتبع سبيل المؤمنين أتبع غير سبيلهم، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور). واعلم أنه لا يقوم إيمان عبد يؤمن بالله إلا على شهادتين: شهادة التوحيد، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة الاتِّباع، وهي شهادة أن محمداً رسول الله.

وَكُلُّ مُتَّبِعٍ بَعْدَهُ ﷺ فَإِنَّمَا اتَّبَاعُهُ فِرْعٌ لَاتَّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَخَيْرٌ مُتَّبِعٍ وَمُتَّبِعٍ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ أَصْحَابُهُ ﷺ، فَاجْهَدْ فِي اتِّبَاعِ سَبِيلِهِمْ، وَاقْتِفَاءِ أَثَرِهِمْ، وَتَرْسُمِ خَطَاهُمْ.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْفِرْقَ الَّتِي ضَرَبَتْ خِيَامَهَا وَمَدَّتْ أَطْنَابَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ لَمْ تَكُنْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى اخْتِلَافِ أَسْمَائِهَا، فَقَدْ مَاتَ ﷺ وَالْأُمَّةُ جَمِيعٌ، كَذَلِكَ عَهْدَ الشَّيْخَيْنِ رضي الله عنهما، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...﴾ (٧٨) [الْحَجَّ].

فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ سَمَّى أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ وَفِي الْقُرْآنِ؛ لِمَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ سَيَتَّخِذُهُمْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهَمْ وَرَثَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْبَلَاغِ وَإِقَامَةِ الْحُجْجِ عَلَى النَّاسِ.

فَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ سَمَّاهُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ، وَارْتَضَى لَهُمْ هَذَا الْاسْمَ الْجَامِعَ الْمَانِعَ، فَلِمَاذَا نَتَسَمَّى بِكُلِّ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ؟! فَإِنْ قِيلَ: حَتَّى نَمِيزَ أَهْلَ الْحَقِّ. قُلْنَا: حَنَائِكُ، هَذَا مَقْصِدٌ نَبِيلٌ، لَكِنْ حَسْبُنَا مَا سَمَّانا اللَّهُ تَعَالَى. فَإِنْ قِيلَ: فَكَيْفَ نَعْرِفُ؟ قُلْنَا: نَعْرِفُ بِالْمُسْلِمِينَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ﷺ؛ فَمَفْهُومُ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ أَشْمَلُ جَمْعًا، وَأَجْمَعُ شَمْلًا.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِاتِّبَاعِ الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَلَمْ يَأْمُرْ بِاتِّبَاعِ السُّبُلِ وَالْفِرْقِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ...﴾ (١٥٣) [الْأَنْعَام].

وَلِذَلِكَ نَقْرَأُ فِي صَلَاتِنَا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ... ﴿٧﴾ [الفاتحة] وَالَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَدَّ ذِكْرَهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ ﴿٦١﴾ [النساء] .

أخرج أحمد عن ابن مسعود، قَالَ : " خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ... ﴾ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام] " (١) .

وقد حذر النبي ﷺ من شرِّ أئمة الضلال، فقال ﷺ : " إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَيْمَةَ الْمُضِلِّينَ " (٢) أَي الرَّاغِبِينَ الْمَمِيلِينَ عَنِ الْحَقِّ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِهِمْ .

هذا وقد قال الله تعالى في أئمة الضلال : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْفُرُونَ إِلَى الْفِتْنَةِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُصْرَبُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ [القصص] ، وقال في أئمة الهدى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ ﴿٧٣﴾ [الأنبياء] فحري بنا أن نفرق بينهم .

فالنَّجاة النَّجاة بِاتِّبَاعِ آثَارِ الرَّسُولِ ﷺ وَسُنَنِ السَّنَنِ ، وَالانْتِبَاهَ الْانْتِبَاهَ مِنْ اتِّبَاعِ السُّبُلِ ، وَحَذَارِكَ مِنْ أَصْحَابِ الرَّأْيِ وَالهُوَى ، الَّذِينَ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْثَةٌ عَنِ فَهْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، قَالَ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ ،

(١) أحمد "المسند" (ج ٤/ ص ١٥٥/ رقم ٤١٤٢) وإسناده صحيح .

(٢) أحمد "المسند" (ج ١٦/ ص ٢٩٣/ رقم ٢٢٢٩٣) وإسناده صحيح .

وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا، وَأَضَلُّوا"^(١).

وإننا نجد ذلك واقعاً في زماننا، لكن مع وجود مقابله، فالمراد استحكام الجهل في علم الكتاب والسنة، وذروس العلم، وذهاب العلماء.

وهذا الحديث الشريف قاله النبي ﷺ في حجة الوداع، وفيه ذم للذين يُفتنون برأيهم استكباراً وأنفة أن يقولوا لا نعلم، وذم من يبادر ويسارع إلى الفتوى بغير علم، وفيه الحث على طلب علم الكتاب والسنة وأخذه عن أهله، وفيه بيان فضل العلماء، وأن ذهابهم نذير شر، وفيه النهي عن اتخاذ الجهال رؤوساً وأئمة. وقد أخبر النبي ﷺ أن من أشرط الساعة رفع العلم، وكثرة الجهل، وذلك بقبض العلماء، وغلبة السفهاء، قال ﷺ: "إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرَ الْجُهْلُ..."^(٢).

وأخرج البخاري عن مرداس مرفوعاً، قال: قَالَ ﷺ: "يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحَفَالَةِ الشَّعِيرِ أَوْ التَّمْرِ لَا يُبَالِيهِمُ اللَّهُ بِأَلَّة"^(٣). أي في آخر الزمان يُقبض الصالحون أسلافاً، ويبقى الصالحون الأوَّل

(١) البخاري "صحيح البخاري" (١م/١ج/١ص/٣٤) كتاب العلم، وأخرجه في الاعتصام.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/٦ج/١٥٨) كتاب النكاح.

(٣) البخاري "صحيح البخاري" (٤م/٧ج/١٧٤) كتاب الرقاق. وأورده موقوفاً في المغازي (٣م/٥ج/٦٣) عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ مَرْدَاسًا الْأَسْلَمِيَّ، يَقُولُ: "يُقْبَضُ الصَّالِحُونَ الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحَفَالَةِ الشَّعِيرِ وَالشَّعِيرِ لَا يَعْبَأُ اللَّهُ بِهِمْ شَيْئًا".

فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، مَنَّمَن لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكُرُ مَنْكَرًا، لَا يَرْفَعُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ قَدْرًا، وَلَا يَقِيمُ لَهُمْ وَزْنَ، وَلَا يَعْأَبُهُمْ.

فَاتَّبِعِ الْهُدَى بِاِقْتِفَاءِ أَثَرِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَانْهَضْ بِحُبِّ الصَّالِحِينَ؛ خَشْيَةَ أَنْ تَكُونَ مَنَّمَن لَا يَبَالِيهِ اللَّهُ تَعَالَى بِأَلَّةً، وَلَا يَكْتُرُ بِهِ !

أَعْظَمُ الْكُذْبِ !

نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْكُذْبِ وَذَمَّ أَهْلَهُ، فَقَالَ ﷺ : ﴿ قُلْ الْخَرَصُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

[الذَّارِيَاتِ] ، وَقَالَ : ﴿ وَيَلُّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الْجَاثِيَةِ] ، وَقَالَ : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي

الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ... ﴿١٠٥﴾ ﴾ [النَّحْلِ] .

وَالْكَذِبَ أَنْوَاعٌ وَمَرَاتِبٌ وَدَرَجَاتٌ، أَعْظَمُهَا الْكَذِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ

الْكَذِبُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، ثُمَّ عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ بَدْءًا بِالْوَالِدِينَ.

وَمِنَ الْكُذْبِ الْعَظِيمِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الْقَوْلُ عَلَيْهِ سَبْحَانَهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، قَالَ

تَعَالَى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ

تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَنًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الْأَعْرَافِ] .

فَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمَحْرَمَاتِ، وَجَعَلَهَا أَرْبَعَ مَرَاتِبٍ، وَبَدَأَ

بِالْأَدْنَى ثُمَّ الْأَعْلَى فَالْأَعْلَى، وَجَعَلَ الْقَوْلَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فِي الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مِنْهَا،

وَهِيَ : الْفَوَاحِشُ، وَالْإِثْمُ وَالْبَغْيُ، وَالشُّرْكُ، ثُمَّ الْأَعْظَمُ تَحْرِيماً، وَهُوَ الْقَوْلُ عَلَيْهِ

- سَبْحَانَهُ - بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَيَعْمُ الْقَوْلُ فِي آيَاتِهِ، وَأَسَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَشَرَعِهِ، وَأَحْكَامِهِ.

كما عدَّ القول عليه - سبحانه - بغير علم من أتباع خُطواتِ الشَّيْطَانِ، وأنَّ الشَّيْطَانِ يأمر به، فقال ﷺ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٣٣) إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٤) [البقرة].

ولذلك نهى الله تعالى عن القول عليه بغير علم، فقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) [الإسراء]، فلا يحلُّ أن تقول سمعت ورأيت وعلمت، وأنت لم تسمع ولم تر ولم تعلم.

وقد جعل الله تعالى للكاذبين علامة يعرفون بها يوم القيامة، قال ﷺ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ...﴾ (٦٠) [الزمر].
أما الكذب على رسولِ الله ﷺ فليس ككذبٍ على أحد، فقد قال ﷺ: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"^(١).

وهذا الحديث متواتر لفظاً ومعنى، فقد جاء بهذا اللفظ عن بضعة وسبعين صحابياً، وفيهم العشرة المشهود لهم بالجنة، وجاء بالمعنى عن مائتين من الصحابة كما نقله النووي في المقدمة. أجازنا الله تعالى من ضلالات الهوى، وفتن المضلِّين، وأكاذيب المتقولِّين .

فكم هم الذين جمعوا بين الكذب على الله تعالى والكذب على رسوله ﷺ، واختلقوا الأباطيل والأضاليل، ووضعوا الحكايات والأخبار، وولَّدوا الرُّوَايات والآثار، وأذاعوها بعد تهذيبها وتشذيبها، وأورثوا ما ابتدعوا، فيا ويحهم حملوا إثمًا

(١) البخاريّ "صحيح البخاري" (م/١ ج/٢ ص ٨١) كتاب الجنائز.

﴿ أَظُنُّ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾
[الأنعام].

واعلم أن من يحدث عن رسول الله ﷺ بحديث يغلب على ظنه أنه كذب، فهو كمتعمد الكذب عليه ﷺ، فقد قال النبي ﷺ: " مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ " (١).

فإياك إيَّاك أن تكون سماعاً للكذب، أو راوياً أو خطيباً أو كاتباً أو ناقلاً أو محدثاً له. وأمسيك لسانك عما لا يحتاج إليه، وعما لا علم لك به، وثبتت من الأخبار والآثار، وكُن كالرياح التي تمرُّ على الطيب فتحمل طيباً. وإيَّاك كلما صاح في الجو ناعب، أو ناح شاغب أن تكون له تبعاً، فيضلك ويفتنك، وإيَّاك وإيَّاه، فمن كان الدنيء له دليلاً، فلا ريب أنه يسوقه إلى حتفه، ويصيِّره على نمطه، ويخرطه في سَفَطِهِ، والله القائل:

وَمَنْ يَكُنِ الْغَرَابُ لَهُ دَلِيلًا يَمُرُّ بِهِ عَلَى جَيْفِ الْكِلَابِ
فكم من "طبيب يداوي النَّاسَ وهو عليل" كما قال أبو العتاهية:
تَدُلُّ عَلَى التَّقْوَى وَأَنْتَ مُقَصِّرٌ أَيَا مَنْ يُدَاوِي النَّاسَ وَهُوَ سَقِيمٌ

إثم من دعا إلى ضلالة أو سن سنة سيئة

واحذر أن تدعو إلى ضلالةٍ من حيث تعلم أو لا تعلم، فما من أحدٍ دعا إلى ضلالة أو غيٍّ أو بدعة، أو أحدث في الدين أمراً ليس منه، إلا كان عليه مثل آثام تابعيه إلى يوم القيامة، سواء كان مبتدئاً لهذه الضلالة أو البدعة أو مسبقاً إليها،

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (١م/١ج/١ص ٦٢) المقدمة.

وسواء كانت هذه الضلالة علماً، أو عبادةً، أو اعتقاداً، أو خلقاً.

فلا تسنَّ شرّاً، فتحمل ذنوبك وذنوب مَنْ استنَّ بك إلى يوم القيامة، ولا ينقص ذلك من آثامهم ولا يخفف عمّن أطاعهم شيئاً، ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (التَّحَلُّ) [٢٥] وقوله تعالى : ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلِيَسْئَلْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَرُونَ﴾ (العنكبوت) [١٣].

ويشهد لذلك قول النَّبِيِّ ﷺ : " وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً"^(١)، وقوله ﷺ : " وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ"^(٢). فَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَمُوتُ وَلَا يَمُوتُ وَزْرُهُ !

واعلم أن مَنْ دعا إلى غير سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ أو هدى بغير هديه فكأنها يبارز النَّبِيَّ ﷺ بالعداوة، لأنَّه قطع عن النَّبِيِّ ﷺ وصولَ ثواب مَنْ استنَّ بسنَّته إليه، فاحذر أن تكون داعياً لضلالة، أو باعثاً لفتنة.

موعظة النبي ﷺ التي ذرّفت منها العيون ووجّلت منها القلوب !

أخرج أحمد ومن حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو، وَحُجْرِ بْنِ حُجْرٍ، قَالَا : " أَتَيْنَا الْعَرَبِيَّ بْنَ سَارِيَةَ، وَهُوَ يَمْنُ نَزَلَ فِيهِ : ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّ

(١) مسلم "صحيح مسلم شرح النووي" (٨م/ج١٦/ص٢٢٧) كتاب العلم .

(٢) مسلم "صحيح مسلم شرح النووي" (٨م/ص٢٢٧) كتاب العلم .

لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتُ لَا أَحَدًا مَا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ... ﴿١٣﴾ [التوبة] فَسَلَّمْنَا وَقُلْنَا :
 أَتَيْتَاكَ زَائِرِينَ، وَعَائِدِينَ، وَمُقْتَسِبِينَ. فَقَالَ عِرْبَابُصٌ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 الصُّبْحَ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بليغةً ذرقت منها العيونُ، ووجلت
 منها القلوبُ، فقال قائلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودِّعٌ، فَإِذَا تَعَهَّدُ إِلَيْنَا؟!
 فَقَالَ : أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ
 مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي، فَسِيرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ
 الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ فَتَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ
 الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ" (١).

هذه وصية جامعة مانعة، أوصى فيها النبي ﷺ بتقوى الله تعالى، وهي
 وصية الله للأولين والآخرين، وأوصى بالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لولاية الأمر حرصاً على
 جمع الكلمة، وَدَمَّ الاختلاف وأهله، وَحَدَّرَ مِنْ سلوك سبيلهم، وأرشد إلى المخرج
 عند الاختلاف والتنازع، وهو لزوم سنته ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين مِنْ بعده،
 وَقَرَنَ سُنَّتَهُمْ بِسُنَّتِهِ، وأشار ﷺ إلى أَنَّ سُنَّتَهُمْ تَرْجِعُ إِلَى سُنَّتِهِ وتنهل من معينها،
 فقد أفرد الضمير في قوله : "فَتَمَسَّكُوا بِهَا"، وبالغ في الحِصِّصِ عَلَى التَّمَسُّكِ بِهَا حَتَّى
 أَمَرَ بِالْعَضِّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، كناية عن شدة التَّمَسُّكِ بِهَا عَلَى فِهْمِ السَّلَفِ، وَحَدَّرَ
 ﷺ مِنْ مُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، وَمُضَلَّلَاتِ الْهَوَى.

والحديث من أعلام النبوة؛ فقد أخبر ﷺ بما يقع بعده في أمته، ووقع الأمر

(١) أحمد "المسند" (ج ١٣/ص ٢٨٠/رقم ١٧٠٨٠) وإسناده صحيح.

كما أخبر. ولذلك تجدد أبعد النَّاس عن الاختلاف أهل الحديث والسُّنَّة؛ لما أقاموا على هذا الأصل، وتجدد أكثر النَّاس اختلافاً وفُرقةً أبعدهم عن الكتاب والسُّنَّة وآثار سلف هذه الأمة، ولا عجب؛ فمن ردَّ الحقَّ تحبَّط في خطبِ مَرِيح، كما قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيحٍ﴾ [ق].

قلت: والعرباض بن سارية رضي الله عنه الذي حدَّث بهذا الحديث هو أحد أعْيَان أهل الصَّفَّة^(١)، وأحد البكائين، الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لِيْتَخِمَهُمْ قُلْتُ لَا أَحَدٌ مَّا أَحْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التَّوْبَةُ] ولو لم يكن له رضي الله عنه من فضل إلا نزول هذه الآية لكانت أدلَّ دليل على عَظِيم فَضْلِهِ وفضل الصَّحابة الذين نزلت فيهم الآية.

فكيف يجروا أحد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقدح بعد أن نزلت فيهم الآيات بالتَّقْرِيط والمدح؟!

(١) هم فقراء المهاجرين ممن لم يكن له منزل يسكنه، فكانوا يأوون إلى موضع مُظَلَّل في مسجد المدينة يسكنونه، والصَّفَّة: الظَّلَّة.

القسم السابع الاختلاف

فقه الخلاف في حياة الصحابة ﷺ

أكثر ما يوهن العزم، ويضعف القوم، ويمكّن من الرّقاب الخصم،
الخلاف غير السائغ، لما يترتب عليه من أمور وشُرور. ومع أنّ الإسلام أَدعى
الأديان للوحدة، إلّا أنّ أهله الأشدّ اختلافاً وتفرّقاً، كما قال القائل :

بَحِثْتُ عَنِ الْأَدْيَانِ فِي الْأَرْضِ كُلِّهَا وَجَبْتُ بِلَادَ اللَّهِ غَرِباً وَمَشْرِقاً
فَلَمْ أَرَ كَالِإِسْلَامِ أَدْعَى لِأَلْفَةٍ وَلَا مِثْلَ أَهْلِيهِ أَشَدَّ تَفَرُّقاً

وما أوقع كثيراً من المسلمين بهذا الواقع الأليم إلّا جهلهم العظيم بفقهه
الكتاب والسنة، فقد نظرت في الداء العيأ الذي أوهن الأمة لأصِفَ الدَّواء
وأحسِمَ البلاء، فوجدت أكثر النَّاسِ يقدِّمون القول والعمل على العلم، وهذا
يجعل بينهم عقبات وأيّ عقبات؛ فحيث كانت الأقوال والأفعال عن غير علم كان
البلاء حاضراً.

ولا ريب أنّ العلم قبل القول والعمل، كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ

إِلَّا اللَّهُ... ﴿١١﴾ [محمد] فبدأ بالعلم، فاعلم .

وإنّك ترى انشغال أكثر النَّاسِ بالأعمال المفضولة عن الفاضلة، وبالأقوال
المرجوحة عن الرّاجحة، وبالفضائل عن المسائل، وبالجدل عن مغيّبات العِلل،
ومدار ذلك على ملابسة القول والعمل قبل العلم، وهذا من جهل فقه الأولويات.
ولذلك تجد كثيراً من النَّاسِ لا يدري كيف يختار خير الخيرين، ولا كيف

يدفع شرَّ الشرِّين، ولا يميز بين الفرض والنَّدب، والأصل والفرع، ولا يدري الآثار الموقوفة من المرفوعة، ولا يفرِّق بين الغثِّ والسَّمين واليسار واليمين.

ولا يمكن للمسلم أن يتخطَّى مجاهل هذه المسائل إلَّا بفقهِ أحكام الشريعة العمليَّة من أدلَّتْها التَّفصيليَّة المتلقَّاة عن خير البريَّة ﷺ، كالواجب، والمندوب، والمباح، والمحظور، والمكروه، والصحيح، والباطل... أي أن يتفقه في الدين.

والفقه أنواع: فقه الكتاب، وفقه السنَّة، وفقه مراتب الأعمال وتفاضلها، والفقه المذهبي، وفقه اللغة، وفقه السنن الكونيَّة، وفقه الواقع، وفقه الخلاف.

ورأس هذه الأنواع وذروة سنامها فقه الكتاب والسنَّة؛ لأنَّ الفقه في كثير من المسائل يكون واجباً عينياً، أمَّا الأنواع الأخرى فمعرفتها واجب كفائي.

وقد بيَّن النبيُّ ﷺ فَضْلَ التَّفَقُّهِ وَأَمْرٍ بِهِ وَحِثَّ عَلَيْهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، فقال ﷺ: "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"^(١)، وقال ﷺ: "فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَتَّهُوا"^(٢).

وإلى ذلك دعا الله تعالى أصحاب النبيِّ ﷺ، فقال ﷺ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَفْقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة].

وصرَّ الجهل بمسائل الفقه أشدَّ من صرَّ الجهل بغيرها، ويزاد فيه إذا لم يرجع إلى أهل العلم، وقصة صاحب الشَّجَّة معلومة، روى أحمد عن ابن عبَّاسٍ

(١) البخاري "صحيح البخاري" (١م/١ج/١ ص ٢٥) كتاب العلم.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٢ج/٤ ص ١٢٠) كتاب أحاديث الأنبياء.

يُجْبِرُ : أَنْ رَجُلًا أَصَابَهُ جُرْحٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَصَابَهُ احْتِلَامٌ، فَأَمَرَ بِالْأَغْتِسَالِ، فَمَاتَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: " قَتَلُوهُ فَتَلَّهِمُ اللَّهُ، أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءَ الْعِيِّ السُّؤَالُ "(١). فجعل الجهل مَرَضاً وشفاءه سؤال أهل الذكر.

وأنواع الفقه الأخرى لا تقل أهمية عن فقه الكتاب والسنة، ومن ضرورياتها فقه الخلاف؛ نظراً لحاجة الأمة إليه خاصة في هذا الزمان.

ومن نظر في حياة الصحابة أعلام الدين وقدوة المتأخرين بعد الصادق الأمين ﷺ، وجد أنه وقع بينهم خلاف في مسائل الاجتهاد، إلا أن أحداً منهم لم يشنع على الآخر، وإنما كانوا الأكثر إعداراً وقبولاً للحق، وآية ذلك استدراك عائشة على الصحابة ﷺ، وإقرارهم لها في مسائل ومخالفتهم لها في مسائل أخرى.

وكم اختلافات وقعت بين الصحابة ﷺ في عهد النبي ﷺ إلا أنها لم تفرق بينهم، منها ما حدث يوم الأحزاب لمن صلى العصر في وقتها، ولمن أحرها إلى أن وصل بني قريظة، قال ﷺ: " لا يُصَلِّينَ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قَرْيَظَةَ. فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى تَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي؛ لَمْ يَرِدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنْفَ وَاحِدًا مِنْهُمْ "(٢).

فقد أخذ بعضهم بظاهر كلامه ﷺ وأخر الصلاة حتى يأتي بني قريظة، وبعضهم فهم أنه ﷺ أراد منهم الجد والاجتهاد، فبادر إلى الصلاة في وقتها، لقوله

تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء].

(١) أحمد "المستد" (ج ٣/ص ٣٢٨/رقم ٣٠٥٧) وإسناده صحيح .

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٣م/ج ٥/ص ٥٠) كتاب المغازي .

ولم يُعْتَفَ ﷺ وَاحِدًا مِنْهُمْ دَلَالَةً عَلَى أَنَّ الْاِخْتِلَافَ فِي الْاجْتِهَادِ مُعْتَبَرٌ.

أدب الخلاف بين الصحابة

رغم ما وقع بين الصحابة من خلاف في الأحكام إلا أن ذلك لم يؤثر في سلامة قلوبهم، فهذا ابن عباس يختلف مع شيخه زيد بن ثابت في مسألة: هل الجد يجب الإخوة؟

وكان زيد بن ثابت (كاتب الوحي وأحد الراسخين في العلم) يرى توريث الإخوة مع الجد، أما ابن عباس (حبر الأمة وتُرْجَمَانِ الْقُرْآنِ) فقد جعل الجد يجب الإخوة واستدلّ بالقياس، قال: "لَيَتَّقِ اللَّهُ زَيْدًا؛ أَيْجَعَلُ وَلَدَ الْوَالِدِ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، وَلَا يَجَعَلُ أَبَا الْأَبِ بِمَنْزِلَةِ الْأَبِ؟"^(١).

فأنكر عليه أنه يجعل ابن الابن ابناً، ولا يجعل أب الأب أباً، ومقتضى كلامه أن ابن الابن طالما أنه يجب الإخوة، فكذلك ينبغي للجد أن يجب الإخوة. ومع هذا صحَّ أن زيد بن ثابت ذهب ليركّب، فأخذ ابن عباس بركاب زيد، فقال له: "تَنَحَّ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنَّا هَكَذَا نَفْعَلُ بِكَبْرَائِنَا وَعُلَمَائِنَا"^(٢).

فانظر كيف كان الصحابة يجتهدون ويختلفون في مسائل عظيمة، ولا

(١) ذكره ابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (ج ٨/ص ٩٦٨/رقم ١٨٤٥) دون سند.

(٢) الحاكم "المستدرک" (٣م/ص ٤٢٣) كتاب معرفة الصحابة، وقال الحاكم: صحیح الإسناد علی شرط مسلم، ولم يُجْرَجْهُ، وسكت عنه الذهبي. وصححه الحافظ في "الإصابة" (٢م/ج ٣/ص ٢٣/رقم ٢٨٧٤) من طريق يعقوب بن سفيان، عن الشعبي.

تختلف قلوبهم ولا تضيق صدورهم ! فما بال أقوام تختلف قلوبهم قبل أن يختلفوا، ويختلفون على ماذا؟! لا يختلفون على معالي الأمور، وإنَّما على سَفْسَفِهَا، ولا تتصافح قلوبهم مهما طال الزَّمان وكرَّ الحديدان، ولا يدرون أنَّ وراء هذه الدَّار داراً، قال الله تعالى فيها: ﴿الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر].

كراهة الصَّحابة ﷺ للخلاف

مما ورد في كراهة الصَّحابة ﷺ للخلاف ورجوعهم عنه حتَّى في مسائل الاجتهاد؛ حرصاً على وحدة الكلمة، ما أخرجه البخاريّ عن عليّ ﷺ، قال: "أَفْضُوا كَمَا كُنْتُمْ تَقْضُونَ، فَإِنِّي أَكْرَهُ الْإِخْتِلَافَ حَتَّى يَكُونَ لِلنَّاسِ جَمَاعَةٌ، أَوْ أَمُوتَ كَمَا مَاتَ أَصْحَابِي" (١).

هذا وقد ظلَّ الخلافُ بين الصَّحابة ﷺ لا يراد به غير الحقِّ، حتَّى جاء من بعدهم خلف اشتغلوا بخلافهم لمآرب أخرى، ولم تنفعهم تبصرة ولا ذكرى .

فقه الخلاف في النوازل

تسمح لنا النَّوازلُ في الاختلاف بشرط أن تكونَ مِنَ المسائل التي يسوغُ النَّظر فيها ويتسع الاجتهادُ معها، ولا يجوز أن تفتحَ هذه النَّوازلُ بابَ الشَّقَاقِ والمنايذَةِ بين المسلمين .

وفي صحيح البخاريّ قصَّةٌ تبيِّنُ فقه الخلاف في النَّوازل كيف كان أيام

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٤ج/٢٠٨ص) كتاب فضائل الصَّحابة .

الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم، فقد التقى ثلاثة مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أحدهم كان يدعو للخليفة عليّ رضي الله عنه وينصره، وهو عمّار رضي الله عنه، والآخران كانا قد اعتزلا الفتن، وهما: أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، وأبو مسعود البدريّ (عقبة بن عمرو الأنصاريّ)، وكان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قد أُرْسِلَ عمّار بن ياسر إلى أَهْلِ الْكُوفَةِ يَسْتَنْفِرُهُمْ للخروج معه إلى البصرة، وملاقة أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لتأمين عودتها إلى المدينة.

فلَمَّا اجتمعوا عابا عليه إسرعه في الوقوف مع عليّ رضي الله عنه وملابسة الفتن، وعاب عليها إبطاءهما واعتزالهما، ثمّ قام أبو مسعود وكان موسراً وأمر غلامه أن يأتي بحتلّين، فأعطى إحداهما أبا موسى، والأخرى عمّاراً!

فانظر إلى هذا الخلاف، انظر كيف يختلفون وَيَتَهَادُونَ! يختلفون في النوازل ومع هذا يتهادون، ويعرفون للأخوة حرمتها ومعناها، يختلفون ولا يورث الخلاف بينهم العداوة والبغضاء والفرقة.

وهذا هو واجب المسلمين اليوم عند الاختلاف، عليهم أن يتعلّموا أدب الاختلاف، وفقه الاختلاف في النوازل، وكيف كان الاختلاف في الاجتهاد والانتصار للرأي لا يؤثر في سلامة القلوب واتلافها، ولا يشغلهم عن ما يجب عليهم شرعاً، مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ وَالتَّوَاصِي بِهِ وَالصَّبْرَ عَلَيْهِ، وبذل النَّصِيحَةِ، وَحَسَنِ الظَّنِّ، وَالرَّفْقِ وَلِينِ الْجَنَاحِ، وَعَدَمِ الْقَطِيعَةِ وَالتَّنَازُعِ.

روى البخاري عن عمرو، قال: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ يَقُولُ: "دَخَلَ أَبُو مُوسَى وَأَبُو مَسْعُودٍ عَلَى عَمَّارٍ حَيْثُ بَعَثَهُ عَلِيٌّ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ يَسْتَنْفِرُهُمْ، فَقَالَ: مَا رَأَيْتَكَ أَتَيْتَ أَمْرًا أَكْرَهَ عِنْدَنَا مِنْ إِسْرَاعِكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ مُنْذُ أَسْلَمْتَ، فَقَالَ عَمَّارٌ: مَا رَأَيْتُ

مِنْكُمْ مُنْذُ أَسْلَمْتُمْ أَمْرًا أَكْرَهَ عِنْدِي مِنْ إِبْطَائِكُمْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ، وَكَسَاهُمَا حُلَّةً حُلَّةً،
ثُمَّ رَاحُوا إِلَى الْمَسْجِدِ"^(١).

إنَّ فقه النُّوْزَلِ المعاصرة أحوج ما نكون إليه اليوم، ومع هذا تناساه كثير من النَّاسِ! فما أشدَّ حاجتنا إلى فقهاء مجتهدين! يفهمون النُّوْزَلِ أصولها وفروعها، ظاهرها وباطنها، جليِّها وخفيِّها، ويفقهون الواقع، والواجب فيه، ويقدرّون المصالح والمفاسد في الحال والمآل، ويستنبطون الأحكام من الكتاب والسُّنَّة، ومن قياس هذه النُّوْزَلِ على ما يباثلها، ليدلُّوا العباد إلى طريق الرِّشَادِ، ومقاصد السِّدَادِ.

أنواع الاختلاف

الاختلاف في الأصل نوعان: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد. واختلاف التنوع محمود، كالاختلاف في وجوه القراءات والتفسير الذي ليس عليه إجماع وغير ذلك من الخلاف المعبر الذي ينبنى على الدليل، وهو ما وقع به بعض الصحابة رضي الله عنهم، كما في القراءات التي اختلفوا فيها حتى زجرهم النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ خِلَافَهَا؛ فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكِرَاهِيَّةَ، وَقَالَ: كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ، وَلَا تَخْتَلِفُوا؛ فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اِخْتَلَفُوا، فَهَلَكُوا"^(٢).

فمن قوله صلى الله عليه وسلم: "كِلاكما مُحْسِنٌ" يفهم أن اختلاف التنوع معتبر، ومن تنمّة

(١) البخاري "صحيح البخاري" (م/٤/ج/٨/ص ٩٨) كتاب الفتن .

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (م/٢/ج/٤/ص ١٥١) كتاب الأنبياء .

قوله ﷺ يفهم أن الاختلاف أياً كان يُدْمُ إذا صحَّه بغيي، لأنه يفضي إلى الهلاك.

وكاختلافهم في قطع الأشجار، فقد قطع قوم وترك آخرون، قال تعالى :

﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ... ﴾ [الحشر].

ومنه اختلاف أنظار الفقهاء فيما اجتهدوا فيه من فروع الأحكام، وفضائل

السُّنن، ومسائل الفقه المعتمدة، وفي هذا الخلاف قال رشيد رضا : " نتعاون فيما

اتفقنا عليه، ويعذرُ بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه " .

فالاختلاف في الاجتهاد معتبر، ولذلك قال ﷺ : " إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ

فَاجْتَهَدُ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدُ ثُمَّ أَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ " (١).

وما شجر بين الصحابة ؓ بعد استشهاد عثمان ؓ من هذا النوع، فقد

اجتهدوا وسعهم، وسعوا بين أجر وأجرين، فَمَنْ أَصَابَ مِنْهُمْ فَلَهُ أَجْرَانِ : أجر

باجتهاده، وأجر بإصابته، وَمَنْ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ عَلَىٰ جِهده في الاجتهاد، وحسن نيته.

ويدلُّك على أنه اختلاف تنوع أنك تجد أصحاب النبي ﷺ اختلفوا ولم

يتفرَّقوا، ولم يصيروا شيعاً، ولم يكن بينهم عداوة ولا قطيعة، ولم يكن قتالهم يوم

الجمل مقصوداً، وإنما كان قدراً مقدوراً .

أمَّا اختلاف التَّضاد، فهو اختلاف حقيقي مَدْمُوم لا يأتي بخير، وهو

اختلاف في الأصول والاعتقاد والتأويل ومسائل الإجماع، وغالباً ما يؤول إلى

الخصومة والعداوة والافتراق، ويؤدِّي إلى التناحر والشقاق.

(١) البخاري " صحيح البخاري " (م/٤/ج٨/ص١٥٧) كتاب الاعتصام.

وقد أمضى الله تعالى علينا الاختلاف قدراً، فقال ﷺ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ^(١)...﴾ [هود].

والاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ أخرج الله ﷻ به أهل الرِّحْمَةِ من الاختلاف وَمَدَحَهُمْ، ومقتضى مَدَحِهِمْ ذَمُّ أهل الاختلاف. لكنَّ هذا الاختلاف اختلافٌ كونيٌّ وليس اختلافاً شرعياً، فنحن مأمورون بدفعه شرعاً.

النهي عن الاختلاف والأمر بالاجتماع أصلاً عظيمان في القرآن

ذَمَّ اللهُ تعالى الاختلاف في كتابه، ونهى عن التَّفَرُّقِ، وتهدَّد وتوعَّد مَنْ فَارَقَ جماعة المسلمين، وقصَّ علينا خبر أقوام تَفَرَّقُوا واختلَفُوا لِنَعْتَبِرَ وَنَنْزِجَ عَنْ مِثْلِ سَبِيلِهِمْ، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ... ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم]، وقال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون].

(١) قوله تعالى: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ يذكُر بقول النبي ﷺ: "كُلُّ مِيسِرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ" البخاري "صحيح البخاري" (م/٤/ج/٨/ص ٢١٥) كتاب التوحيد.

كما أخبرنا الله تعالى عمَّن قبلنا أنَّ اختلافهم وسبب هلاكهم لم يكن من قِلَّةِ علم، ولكن بَعَى بعضهم على بعض، قال تعالى: ﴿وَأَيِّنُّهُمْ يَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ...﴾ (٧) [الجنائفة].

أي أنَّ الاختلاف والتفرُّق مصدره سوء النية وفساد الطَّويَّة ورداءة السَّجِيَّة في كثير من الأمر، ولا عجب؛ فالإنسان ظلوم جهول، وكم من نفوس ابتليت بالحسد والبغي والفساد والعلوِّ في الأرض... فهل نرث أخلاق أقوام بقيت قصصهم شاهدة عليهم؟! ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ (٣٦) [النَّازعات].

وقد نبه النبي ﷺ على ما يخاف على أمته من موافقة الأمم قبلها فيما اختلفوا فيه، حتَّى لا نخوض كالَّذي خاضوا، فنهلك كما هلكوا، روى أحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه، قال:

" لَقَدْ جَلَسْتُ أَنَا وَأَخِي مَجْلِسًا مَا أَحْبُّ أَنْ لِي بِهِ حُمْرُ النَّعَمِ، أَقْبَلْتُ أَنَا وَأَخِي، وَإِذَا مَشِيخَةٌ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جُلُوسٌ عِنْدَ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهِ، فَكِرْهَنَا أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ، فَجَلَسْنَا حَجْرَةَ (نَاحِيَةَ)، إِذْ ذَكَرُوا آيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَتَمَارَوْا فِيهَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُغْضَبًا قَدْ احْمَرَّ وَجْهُهُ يَرْمِيهِمْ بِالزُّرَابِ، وَيَقُولُ: مَهَلًا يَا قَوْمِ، هَذَا أَهْلَكَتِ الْأُمَّمُ مِنْ قَبْلِكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ وَضَرْبِهِمُ الْكُتُبَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكْذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَأَعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ" (١).

(١) أحمد "المسند" (ج ٦/ص ٢٥٢/رقم ٦٧٠٢) وإسناده صحيح.

فالنَّبِيُّ ﷺ نهي أمته عن الاختلاف، لأنَّ مَنْ قبلنا هلك بأشبه هذا :
 ضربوا كتاب الله بعضه ببعض. وفي مثل هذا جاء قوله ﷺ : " قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى
 الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِرِّي
 اخْتِلَافًا كَثِيرًا " (١).

وفي قوله ﷺ كناية عن تمام بيانه، حيث لم يترك حجة بعده يستطيع أحد أن
 يأتي بها أو برهان، وفيه تحذير من الاختلاف.

ولا يخفى خطر الاختلاف والشقاق، فهو يوهن الأمة، ويذهب بهيبتها،
 ويزري بها عند أعدائها. وانظر كيف جعل الله تعالى التنازع بين المسلمين من أهم
 أسباب فشلهم، فقال: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنْفُسَكُمْ فَيُضَاعَفَ لَكُمْ الْعَذَابُ﴾ [الأنفال].

دلالة عطف النهي على الأمر

والنهي عن التفرق في الإسلام، يوجب الاجتماع والوئام؛ لأن مقتضى
 النهي عن الخلاف والافتراق الأمر بالوفاق والاتفاق، ولذلك تجد في القرآن
 الكريم الأمر بالاعتصام والنهي عن التشقق والخصام، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا
 بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾ [آل عمران].

وجاء الخطاب بعطف النهي (ولا تفرقوا) على الأمر (واعتصموا)
 والغرض توكيد الأمر بالنهي، فالأمة منهية عن التفرق مهما كان قليلاً، لأن ذلك
 يوهنها ويعصف بها.

(١) أحمد "المسند" (ج ١٣/ ص ٢٧٨/ رقم ١٧٠٧٧) وإسناده صحيح.

وأسلوب الخطاب هذا معلوم، ومنه قوله ﷺ: "يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَسَكَّنُوا وَلَا تُنْفِرُوا"^(١) فقد عطف النهي عن التعسير على الأمر بالتيسير، وعطف النهي عن التنفير على الأمر بالتسكين، للإشعار بأن الأمة منهية عن أدنى تعسير وأقل تنفير.

هذا وقد أمرنا عند التنازع بالرجوع إلى الكتاب والسنة، ولم نأمر بالافتراق والشغب والتشغب وتمييح الشر، قال تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾ [النساء].

إخبار النبي ﷺ عن افتراق أمته والتنصيص على وحدتها

أخبر النبي ﷺ أن أمة الإجابة سيصيها ما أصاب الأمم السابقة من التفرق بعد الاجتماع، قال النبي ﷺ: "افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"^(٢).

وهذا لا يؤثر في وحدة المسلمين، فإنما ذكر النبي ﷺ ذلك ليحذر من الافتراق، لما يترتب عليه من الفساد والضعف والهوان، وضياح أخوة الإيمان، ونقض عرى الإسلام.

كما بين الله تعالى في كتابه أن عامة المفترقين المخالفين هلكت بعد أن تبين لهم الهدى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ

(١) البخاري "صحيح البخاري" (م ٤/ج ٧/ص ١٠١) كتاب الأدب.

(٢) أحمد "المسند" (ج ٨/ص ٣٠١/رقم ٨٣٧٧) وإسناده صحيح.

سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَصُورِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ [النساء] ، قَالَ
 تَعَالَى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ [الأنفال] .

هذا وقد جاء التنصيص على وحدة الأمة في الكتاب والسنة ، قال تعالى :
 ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿١٣﴾ [الأنبياء] ،
 وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ [المؤمنون] .
 وقال النبي ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ
 الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ ، مَنْ سَرَتْهُ
 حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ »^(١) .

وقال النبي ﷺ : « إِنْ اللَّهُ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا ، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ، فَيَرْضَى لَكُمْ
 : أَنْ تَعْبُدُوهُ ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَيَكْرَهُ
 لَكُمْ : قَيْلٌ وَقَالَ ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ »^(٢) .

والأمر بالوحدة والاعتصام بحبل الله لم يُنسخ ، بل هو تكليف قائم إلى
 قيام الساعة ، ومصير الوحدة معلق بأعناقنا جميعاً ، فعلى الناس القيام بواجبات
 الوحدة .

(١) الترمذي "سنن الترمذي" (ج٤/ص٤٦٥) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ .

(٢) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٦م/ج١٢/ص١١) كتاب الحدود .

التعصب إلى الفرق يزيد من الفرقة

لا ريب أن كثرة الفرق والجماعات والتعصب لها يزيد من فرقة المسلمين ويعمل على تمزيق الصف، وضعف الأمة وهوانها، ويجعل أمرها إلى بوار. فإذا قيل : لكن الجماعات كانت في عهد النبي ﷺ فلها أصل في الإسلام، فهناك المهاجرون، والأنصار، والأشعريون، وأهل الصفة، وأهل بدر، وأصحاب الشجرة (أهل بيعة الرضوان)، وأصحاب الحديبية، والطلقاء، والعتقاء؟!!

قلنا : فإذا كانت الجماعات في زماننا على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ، فنعماً هي. ونحن لا نجعل أن في تاريخنا التعدد والتنوع فهناك : الشافعية، والحنابلة، والمالكية، والحنفية، ولا نجعل أن الله تعالى سمى من أصحاب النبي ﷺ المهاجرين والأنصار والأعراب... لحكم، منها: تشريفهم، والثناء عليهم، وبيان فضلهم، وغرر خصائصهم، وطيب مغارسهم، ومكارم أخلاقهم، وكرم نجارهم، والدعوة إلى الاقتداء بهم، وغير ذلك، فهي تسميات مشروعة، ولكن إذا تعصب لها تصبح مردودة .

أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال : " كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ (ضربه بيده) رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ : يَا لَأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ : يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ : مَا بَأْسَ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟! قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ : دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مُتَنَبِّئَةٌ"^(١). ونحن نقول لمن يتعصب لجماعته ما قاله ﷺ : " دَعُوهَا؛

(١) البخاري " صحيح البخاري " (٣م/ج ٥/ص ٦٥) كتاب التفسير .

فَاتَّهَا مُتَّبِعَةً".

والصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وإن اختلفت تسمياتهم لم يكونوا فرقاً وجماعات، وإنما كانوا أُمَّةً واحدة، وكانوا خير أُمَّةٍ وأكرمها على الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾ (١١٠) [آل عمران] وعقيدتهم واحدة، وقلوبهم على قلب رجلٍ واحدٍ، لا شحنةً بينهم ولا بغضاء، اجتمعت قلوبهم وإن تفرقت ديارهم، فهم من أهل الرَّحْمَةِ الَّذِينَ اسْتَشْنَى اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِفينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ...﴾ (١١٩) [هود].

وقد سَمَّاهُم اللهُ تَعَالَى جَمِيعاً الْمُسْلِمِينَ: ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ...﴾ (٧٨) [الحج]، وَسَمَّاهُمُ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ (١٠) [الحجرات]، فَانظُرْ كَيْفَ جَمَعَهُمُ بِالْإِسْلَامِ وَأَخْوَةَ الْإِيمَانِ .

وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٢) [فصلت] فلا أحد أحسن قولاً وعملاً ودرجة عند الله ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً، وقال إنه مسلمٌ من المسلمين، لا من جماعة كذا وكذا. والولاء والبراء لا يعني أن نوالي جماعة وتبرأ من الجماعات الأخرى، بل الولاء أن نوالي الله تعالى، ورسوله ﷺ، والذين آمنوا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ (٥٥) [المائدة] . وعن عمرو بن العاص، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ جَهَاراً غَيْرَ سِرٍّ يَقُولُ: "أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي، يَعْنِي فَلَانًا، لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا

وَلِيَّيَ اللَّهُ وَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ" (١).

والبراء يكون من الكافرين، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَسْقُوا مِنْهُمْ نُفْسَةً...﴾ (٢٨) [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿يَتَّيَّبُ الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣٢) [التوبة].

وكتاب الله تعالى فيه النهي عن التحزب في الدين إلى فرق مختلفة المشارب والموارد، قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ...﴾ (١٥١) [الأنعام].

وقسم الله تعالى الناس إلى حزبين حصراً: حزب الله، وحزب الشيطان. أمّا حزب الله فهم الذين يوالون الله تعالى ورسوله ﷺ والذين آمنوا، ولذلك امتدحهم الله تعالى وأكد نصرهم في الدنيا، فقال ﷺ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٥٦) [المائدة]، كما أكد فلاحهم في الآخرة، فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢٢) [المجادلة].

أمّا حزب الشيطان، فهم الذين اجتمعوا على معصية الله تعالى من أهل الأهواء والآراء وأصحاب الملل والنحل، ولذلك ذمهم الله تعالى وأكد خسارتهم

(١) متفق عليه: البخاري "صحيح البخاري" (٤م/٧ج/٧٣ ص) كتاب الأدب. ومسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٢م/٢ج/٣ ص ٨٧) كتاب الإيذان، واللفظ لمسلم.

في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿١٩﴾ [المجادلة].

فكيف تتحزب أحزاباً مختلفة المشارب والموارد ونذهب شذراً مذبذباً، وحزب الله تعالى واحد؟!

وإنما نقول هذا - وهو أمر معلوم - من باب التذكير استجابة لقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ [الذاريات] فالؤمن إذا ذكّر تذكّر، وإذا رغب رغب، فاتبع أحسن ما أنزل الله، وأبشر بخير: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ... ﴿١٨﴾ [الزمر].

وإياك أن تكون من أهل الاختلاف، ودعاة الفرقة، ممن اتبعوا السبل، وكذروا صفو الأخوة الإيمانية. واتبع سبيل الرسول الكريم ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...﴾ ﴿١٠٨﴾ [يوسف] فهو خير سلف لنا، وفي الصحيحين عن عائشة أنه ﷺ قال لابنته فاطمة رضي الله عنها لما رأى أجله قد اقترب: "فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، فَإِنِّي نَعِمَ السَّلْفُ أَنَا لَكَ" ^(١).

واعلم أن سبيل الرسول هو سبيل المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ. جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿١١٥﴾ [النساء].

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٤م/ج٧/ص١٤٢) كتاب الاستئذان، ومسلم "صحيح مسلم شرح النووي" (٨م/ج١٦/ص٦) كتاب فضائل الصحابة.

ما ينبغي أن يكون عليه المسلم عند الاختلاف

المسلم وليُّ المسلم، ناصرٌ له في الحقِّ ولو بالدُّعاء، لا يخذله ولا يظلمه مهما شَجَرَ بينهما، أخرج ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن شعبة، عن يحيى بن الحصين، قال: سمعت طارقاً، قال: "كان بين سعد رضي الله عنه وخالد رضي الله عنه كلام، فذهَبَ رجل يَعمُرُ في خالد عند سعد، فقال سعد رضي الله عنه: مه ^(١)، إنَّ ما بيننا لم يبلُغ دِيننا" ^(٢).

فانظر كيف يذُبُّ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن خالد بن الوليد رضي الله عنه مع أنَّه كان بينهما خلاف؛ فقد تربَّى في مدرسة الرَّحمة المهداة والنَّعمة المسداة، في مدرسة النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، القائل: "مَنْ ذَبَّ عَنْ حَمِّ أَخِيهِ بِالْغَيْبَةِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ" ^(٣) وقرأ فيها قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ...﴾ (١٢) [الحجرات].

فالصَّحابة رضي الله عنهم كانوا يتعايشون بالدين، ولذلك تراهم لم يُتَّفِقُوا عمرهم بتصنيف الكتب وتُدبِّجها وتُحِيرها؛ وإنَّما جعلوا الكتاب والسُّنة واقعا في حياتهم، وتمثلوها خُلُقاً يمشون فيه بين النَّاس؛ اقتداء بالنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله؛ فما اندرست آثارهم، وما انقطعت أخبارهم، وما كَفَّت الألسن عن الدُّعاء والاستِغفار لهم.

أتى سعدُ بن هِشام رضي الله عنه عائِشةَ، وسألها، وقال لها: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرِينِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؟ فقالت: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ؛ أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَوْلَ اللَّهِ تعالى:"

(١) مه: اسمٌ فِعْلٍ أمرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى السُّكُونِ، وَمَعْنَاهُ: اكْتَفَى عَنْ هَذَا.

(٢) ابن أبي الدنيا "الصمت" (ص ١٣٧).

(٣) أحمد "المسند" (ج ١٨ / ص ٦٠١ / رقم ٢٧٤٨١) وإسناده حسن.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم]؟ " (١). وعلى هذه الأخلاق كانت خلائق الصحابة ﷺ .

هذا وينبغي للمسلم عند الخلاف أن يذلل لأخيه المسلم ويرحمه، فقد مدح الله تعالى الذل في موضعين، الأول: أن يذلل المسلم لوالديه: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ... ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء] والثاني: أن يذلل لأخيه: ﴿ أَذَلَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ عَلَى الْكٰفِرِينَ ... ﴿٥٤﴾ ﴾ [المائدة]، ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكٰفِرِينَ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ... ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح].

فحري بالمسلم أن يذرا بالحسنة السيئة، وأن يدفع بالتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿ وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ... ﴿٢١﴾ ﴾ [الرعد]، ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فصلت]، ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المؤمنون]، وأن يكظم غيظه ويعفو؛ فإن ذلك من عمل المحسنين، قال تعالى: ﴿ وَالكَٰظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران].

وقد ندب الله تعالى إلى العفو ويين فضله، فقال تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ... ﴿٤٠﴾ ﴾ [الشورى]، وهذا نبي الله يوسف عليه السلام بعد أن لقي من

(١) أحمد "المسند" (ج ١٧ / ص ٣٧٩ / رقم ٢٤٤٨٢) وإسناده صحيح .

إخوته ما لقي، ﴿ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومٌ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ ﴾ [يوسف].

وقد جرت سنة الله تعالى أن يُبْتَلَى الخيار بالشَّرار، والأبرار بالفَجَّار،
والعلماء بالجهلاء، فلا تَسْتَحْفِنَنَّكَ جهالة الجهلاء، فإذا نَالَ منك أخوك فلا تُجِبْهُ؛
فالتَّيْبِيُّ مُلْجَمٌ.

الحاجة إلى فقه الخلاف

أوصى النَّبِيُّ ﷺ وصيةً غالية عند الخلاف - وكلُّ وصاياهِ ﷺ غَوَالٍ - فقال
ﷺ: " اقرءوا القرآنَ ما اتَّكَلَفْت عليه قلوبُكم، فَإِذَا اختلفتم؛ فقوموا عنه " (١).
هذا الحديث عظيم الشأن، نهى فيه النَّبِيُّ ﷺ عن الاختلاف في القرآن إذا
كان لا يسوغ فيه الاجتهاد، أو تنشأ عنه فتنة أو فرقة أو عداوة أو شجار . وعلة
النَّهْي أن قراءة القرآن فضيلة، ووحدة المسلمين فريضة، فلا يجوز تقديم الفضيلة
على الفريضة.

والعبرة - كما هو معلوم - بعموم اللفظ لا بخصوص السَّبب، فليس المراد
في الحديث مناسبته، وإنما عموم الخلاف المذموم يجب تقديم وحدة الصَّف عليه.
ومن هنا نفهم لماذا حسم النَّبِيُّ ﷺ دواعي الاختلاف وطوى بِسَاطِهِ،
وأمر بالقيام. فما أشدَّ حاجتنا إلى تعليم فقه الخلاف في جامعاتنا، ونشر هذه الآداب
النَّبَوِيَّة في مدارسنا، وتمثلها واقعاً في حياتنا !

(١) البخاري " صحيح البخاري " (٣م/٦ج/١١٥) كتاب فضائل القرآن .

الشفاء من كل خلاف مشكل وداء معضل

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا أَصَابَتْ بِهِ الْأُمَّةُ فِي يَوْمِنَا هَذَا الْجَهْلُ، فَمَا أَوْقَعَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فِي الْاِخْتِلَافِ وَالشُّقَاقِ إِلَّا فَرَطُ الْجَهْلِ وَنَقْصَانُ الْعَقْلِ، وَمَا جَعَلَهُمْ يَتَّخِذُونَ رُؤُوسًا جَهَالًا إِلَّا ضِيَاعُ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

فَإِذَا تَطَلَّمَ النَّاسُ وَاتَّبَعُوا السَّبِيلَ، وَكَانَتْ الْفِتْنُ، وَاخْتَلَفَتْ الْغَايَاتُ، وَتَعَدَّدَتْ الرَّيَايَاتُ، فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ الْقَوْمُ بِهِ قَبْلَكَ : كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَسُنَّةُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، فَهَذَا الشَّفَاءُ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ مُعْضِلٍ، وَرُزْءٍ لَبْسٍ مُشْكِلٍ : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (٤٣) ﴿ [العنكبوت].

وَفِي التَّنْزِيلِ نَصٌّ قَاطِعٌ فِي أَنْ جَمِيعَ مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَكْمَهُ مُرَدُّوًّا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ الْحَاكِمُ فِيهِ وَحْدَهُ، قَالَ ﷺ : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ... ﴾ (١٠) ﴿ [الشورى].

وَلَا يَجُوزُ تَحْكِيمُ الْأَفْهَامِ وَالْأُذْهَانَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ... ﴾ (٣) ﴿ [الأعراف]، فَاللَّهُ تَعَالَى أَمْرٌ بِاتِّبَاعِ مَا أُنزِلَ، وَنَهَى عَنِ اتِّبَاعِ مَا عَارَضَهُ مِنْ تَقْلِيدِ الْأَبَاءِ، وَتَقْدِيمِ الْأَهْوَاءِ، وَحَكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ الْجُهْلَاءِ. كَمَا أَمَرَ نَبِيَّهُ بِالْحُكْمِ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنزِلَ، وَنَهَاةً عَنِ اتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ... ﴾ (٤٩) ﴿ [المائدة]. وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ : " تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا : كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ " (١).

(١) رواه مالك بلاغاً في "الموطأ" (ص ٣٥٥ / حديث ١٦٢٨) كتاب القدر، والحاكم موصولاً في "المستدرک" (ج ١ / ص ٩٣) كتاب العلم، وحسنه الألباني في السلسلة والمشكاة .

فالخلاف يُرْفَعُ بِالرَّجُوعِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وبفهم سلف هذه الأمة،
والعلماء المخلصين، الَّذِينَ لَا يَجْلُو مِنْهُمْ زَمَانٌ، وَالَّذِينَ أَحَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فِي
كِتَابِهِ الْمَكْنُونَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ...﴾ (٨٢) [النساء] وقوله:
﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) [النحل].

وقد رأينا كيف أَنَّ معاوية ؓ دعا علياً ؓ إلى كتاب الله يوم صفين، وَأَنَّ
علياً ؓ لم يتوقف، وَأَنَّهَا رَأَى أَنَّهُ الْأَوَّلَى بِذَلِكَ، أَخْرَجَ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ أَنَّ
عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ:

"أَرْسِلْ إِلَى عَلِيٍّ بِمُصْحَفٍ، وَادْعُهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَأْبَى عَلَيْكَ، فَجَاءَ
بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ
يُنْتَوْنَ إِلَيْكَ كِتَابَ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فِرْقًا مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٢٣) [آل عمران].
فَقَالَ عَلِيٌّ: نَعَمْ أَنَا أَوَّلَى بِذَلِكَ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ" (١).

وَمِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَرْفَعُ بِهَا الْخِلَافَ التَّحْكِيمَ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُتَدَبَّرَ رَجُلَانِ
مَرْضِيَّانِ فِيحْكُمَانِ فِيمَا شَجَرَ بِنِزَالِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَوْمَ صَفِّينَ حَكَّمُوا صَحَابِيَّيْنِ
جَلِيلَيْنِ، وَهُمَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ؓ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ؓ.

وَمِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَحْسُمُ بِهَا الْخِلَافَ الْمَصَالِحَةَ وَالتَّنَازُلَ، فَقَدْ صَالَحَ الْحَسَنُ
عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ؓ لِمَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَنَازَلَ لَهُ عَنِ الْخِلَافَةِ، قَطْعًا لِدَابِرِ الْخِلَافِ،
وَحَقْنًا لِلدَّمَاءِ، وَتَحْقِيقًا لِرِجَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: "إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ

(١) أحمد "المسند" (١٢م/٣٩٩ص/رقم ١٥٩١٧).

الله أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (١). فإذا كان قد تنازل ﷺ عن الخلافة، أفلا يتنازل أحدنا لأخيه عمًّا دونها مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا؟!

ومن الأمور الَّتِي تُذْهِبُ الْخِلَافَ الْمُنَازَرَةَ، فقد رأينا كيف أرسل عليٌّ ﷺ ابنَ عَبَّاسٍ ﷺ إلى الْخَوَارِجِ لِمُنَازَرَتِهِمْ، فخرج إليهم وأتاهم، وهم مجتمعون في دارهم قائلون، فسألهم عمًّا نَقَمُوهُ عَلَى ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَهْرِهِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؟ وناظرهم وَحَاجَّهِمْ؛ فَحَجَّجَهُمْ، وَرَجَعَ مِنْهُمْ أَلْفَانِ.

وهذه المناظرة ينبغي أن تكون بين العلماء من الفريقين، وحينها يجب أن يسكت مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ، وَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ: "لَوْ سَكَتَ مَنْ لَا يَعْلَمُ لَسَقَطَ الْاِخْتِلَافُ". أَمَّا إِذَا تَكَلَّمَ الرَّؤْيِيَّةُ، فسيطول كلامه وَيَقْلُ نِظَامَهُ، فَيَأْتِي آخِرُ كَلَامِهِ عَلَى أَوَّلِهِ، وَيُوسِعُ شُقَّةَ الْاِخْتِلَافِ.

وَمَا يُعَالِجُ بِهِ الْخِلَافَ الْقَوْلَ الْحَسَنَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا...﴾ (البقرة)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (٥٣) ﴿[الإسراء].

وانظر كيف ضرب الله تعالى مثلاً للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة الَّتِي تُوْتِي أَكْلَهَا، فَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ لَهَا ثَمَرُهَا وَأَثْرُهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿١٤﴾ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا...﴾ (١٥) ﴿[إبراهيم].

(١) البخاري " صحيح البخاري " (٢م/ج٣/ص١٧٠) كتاب الصلح.

والكلمة الطيبة لها فضلها في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ
الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ...﴾ (١٠) [فاطر]، وقال ﷺ: "الكلمة الطيبة
صدقة" (١).

وقد طُبِعَ النَّاسُ عَلَى الاستئناس بالكلمة الطيبة، فمن أراد الإصلاح فعليه
أن يأتي النَّاسَ بِالْعِلْمِ وَالْأَخْلَاقِ مَعًا، وَيَسْعَهُمْ بِحُسْنِ خَلْقِهِ، وَيُوَاسِيَهُمْ بِسَطْرِ
وَجْهِهِ.

"اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ،
عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا
اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (٢).

(١) أحمد "المستد" (ج٨/ص١٧٧/رقم ٨٠٩٦) وإسناده صحيح .

(٢) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (م٣/ج٦/ص٥٦) كتاب صلاة المسافرين .

القسم الثامن الفتن

معنى الفتنة

أصل الفتنة الابتلاء، مأخوذ من فتنَ الفضة والذهب إذا بهما بالنار ليميز الرديء من الجيّد. والفتنُ: الإحراق، ومن هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذاريات]، ثم استعملت في كلِّ ابتلاء كما قال تعالى في أصحاب الأعدود: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَنَوُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَمَا كُنَّا بِمُؤْمِنِينَ وَلَا بَارِعِينَ ﴿١٠﴾﴾ [البروج].

وهناك نصوص على ألوان وصنوف من الفتن، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَاؤُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ... ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال]، وقال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً... ﴿٤٠﴾﴾ [الفرقان]. وهناك فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره التي تكفر إثمها الصلاة والصدقة... وسيأتي الحديث عنها، والبحث في هذا يتسع.

وعامة الفتن مردّها إلى نوعين: فتنة الشهوات، وفتنة الشبهات، وقد جمعها قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ

اعملهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ﴿١٦﴾ [التوبة].

فجمع بين الاستمتاع بالخلق وهو نصيبهم وحظهم من الدنيا وشهواتها، وبين الخوض في الشبهات داء أهل الأهواء.

والفتنة : خاصة، وعامة. أمّا الخاصة فهي البلاء الذي ينزل بالمسلم، أمّا العامة فهي البلاء الذي ينزل بالمسلمين وبعملهم، وينكل بهم، ويستأصل شأفتهم، ويقطع دابرهم.

المعاني التي يحتملها لفظ الفتنة في القرآن الكريم

من الفقه في الدين معرفة الوجوه والنظائر، فالكلمة في القرآن الكريم قد تنصرف إلى وجوه شتى، فكلمة الفتنة تأتي على وجوه، نذكر منها أنها تأتي بمعنى الشرك: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ...﴾ ﴿١١٧﴾ [البقرة]، والإضلال: ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ...﴾ ﴿٧﴾ [آل عمران]، والقتل: ﴿إِنْ حَفَمْتَ أَنْ يَفْنِيَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ ﴿١٠١﴾ [النساء]، والصدّ والصرف: ﴿وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْنِيوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ﴿٤٩﴾ [المائدة] والضلالة: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ...﴾ ﴿٤١﴾ [المائدة] والاعتذار والمعدرة: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٣﴾ [الأنعام]، والقضاء: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ...﴾ ﴿١٥٥﴾ [الأعراف]، والإثم: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا...﴾ ﴿٤٩﴾ [التوبة]، والمرض: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٣٦﴾ [التوبة]، والعبرة: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِقَوْمٍ﴾

الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ [يونس]، والعقوبة: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ...﴾ ﴿٦٣﴾ [النور]، والابتلاء والاختبار: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ ﴿٢﴾ [العنكبوت]، والعذاب: ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَمَا ذَابَ اللَّهُ...﴾ ﴿١٠﴾ [العنكبوت]، والإحراق: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ [الذاريات]، والجنون: ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾ ﴿٦﴾ [القلم].

ظهور الفتن بموت الخليفة عمر ؓ

أخبر الصادق الأمين ؓ أن عمر ؓ كان باباً حائلاً بين الفتن والإسلام، وأنه إذا مات دخلت الفتن، وهذا ما كان، أخرج الشيخان عن شقيق، عن حذيفة، يقول: "بينا نحن جلوس عند عمر، إذ قال: أيكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتن؟ قال: فتنه الرجل في أهله وماله وولده وجاره، تكفرها الصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال: ليس عن هذا أسألك، ولكن التي تموج كموج البحر، قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال عمر: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: بل يكسر، قال عمر: إذا لا يعلق أبداً، قلت: أجل. قلنا لحذيفة: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم، كما أعلم أن دون غد ليلة، وذلك أني حدثته حديثاً ليس بالأعاليط. فهبنا أن نسأله: من الباب؟ فأمرنا مسروراً فأسأله، فقال: من الباب؟ قال: عمر" (١).

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٤م/ج٨/ص٩٦) كتاب الفتن. ومسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٩م/ج١٨/ص١٦) كتاب الفتن.

فتنة الرجل عن دينه

ذَمَّ اللهُ تَعَالَى مَنْ يُوقِعُ الْفِتْنَةَ، وَجَعَلَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ عَنِ دِينِهِ وَالْإِعْتِدَاءَ عَلَى عَقِيدَتِهِ أَشَدَّ وَأَعْظَمَ مِنَ الْإِعْتِدَاءِ عَلَى نَفْسِهِ وَقَتْلِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ...﴾ [البقرة] ﴿١١١﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ...﴾ [البقرة] ﴿١١٧﴾. فَاحْذَرِ أَنْ تُفْتَنَ أَوْ تُفْتِنَ أَحَدًا عَنِ دِينِهِ، فَالْمُصِيبَةُ فِي الدِّينِ مِنَ الْأَعْظَمِ الْمِصَائِبِ، وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ دَعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: "لَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا"^(١).

وَفِتْنَةُ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ فِي دِينِهِ سَنَةٌ مَطْرَدَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَمُرُّوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [٢] ﴿٢﴾. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت] ﴿٣﴾.

فَقَدْ جَرَتْ سَنَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى وَاقْتَضَتْ حِكْمَتَهُ ابْتِلَاءَ أَوْلِيَائِهِ بِأَعْدَائِهِ، وَلِذَلِكَ أَنْكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ...﴾ [العنكبوت] ﴿١٠﴾.

التحذير من الفتن

تَظَاهَرَتْ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى التَّحْذِيرِ مِنَ الْفِتَنِ عَمُومًا، وَالْحَثِّ عَلَى تَجَنُّبِهَا وَاعْتِزَالِهَا وَالْهَرَبِ وَالنَّجَاةِ مِنْهَا، وَعَدَمِ مَلَابَسَتِهَا أَوْ الْخَوْصِ فِيهَا، وَأَنَّ شَرَّهَا يَكُونُ حَسَبَ الدُّخُولِ فِيهَا، فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً...﴾ [الأنفال] ﴿٢٥﴾، وَمَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ

(١) الترمذي "سنن الترمذي" (ج ٥/ص ٥٢٨/رقم ٣٥٠٢) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

النَّبِيِّ ﷺ، قال : " تَكُونُ فِتْنَةُ النَّائِمِ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، وَالْيَقْظَانُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَمَنْ وَجَدَ مَلَجًا أَوْ مَعَاذًا فَلْيَسْتَعِذْ " (١).

وما رواه مسلم عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ، قال : " إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ، أَلَا تُمْ تَكُونُ فِتْنَةٌ : الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا، أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ. قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ، وَلَا غَنَمٌ، وَلَا أَرْضٌ ؟ قَالَ : يَعُودُ إِلَى سَيِّفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ، ثُمَّ لَيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ ! قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ حَتَّى يُنْطَلَقَ بِي إِلَى أَحَدِ الصَّفِيْنِ، أَوْ إِحْدَى الْفِتْنَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ فَيَقْتُلُنِي ؟ قَالَ : يَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ " (٢).

وروى أحمد عن أبي ذرٍّ ؓ أن النبي ﷺ قال عن قتال الفتنة : " يَا أَبَا ذَرٍّ، أَرَأَيْتَ إِنْ النَّاسُ قُتِلُوا حَتَّى يَغْرُقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ مِنَ الدِّمَاءِ كَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : تَدْخُلُ بَيْتَكَ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِ أَنَا دُخِلَ عَلَيَّ ؟ قَالَ : تَأْتِي مَنْ أَنْتَ مِنْهُ (٣)، قَالَ : قُلْتُ : وَأَحْمِلُ السَّلَاحَ ؟ ! قَالَ : إِذَا شَارَكَتَ (أَي بِالْإِثْمِ) ، قَالَ : قُلْتُ : كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِنْ خِفْتَ أَنْ يَنْهَرَكَ

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٩م/١٨ج/٨ص) كتاب الفتن .

(٢) المرجع السابق .

(٣) أي الزم أهلك ، وقيل من بايعته .

شُعَاعِ السَّيْفِ، فَأَلْقِ طَائِفَةً مِنْ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ، يَبُوءُ بِإِثْمِكَ وَإِثْمِهِ" (١).

البيان بأن على الإنسان عند الفتن العمياء أن يكسر سيفه ويكون مقتولاً لا قاتلاً
روى أحمد عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَأَكْسِرُوا قِسِيكُمْ وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَأَضْرِبُوا بِسُيُوفِكُمُ الْحِجَارَةَ، فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ بَيْتُهُ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنِي آدَمَ" (٢) (٣).

وروى أحمد عن محمد بن مسلمة رضي الله عنه أن النبي ﷺ دفع إليه سيفاً، وقال: "قَاتِلْ بِهِ مَا قُوتِلَ الْعَدُوُّ، فَإِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَأَعْمَدْ بِهِ إِلَى صَخْرَةٍ فَاضْرِبْ بِهَا، ثُمَّ الزَّمْ بَيْتَكَ حَتَّى تَأْتِيكَ مَيِّتَةٌ قَاضِيَةٌ، أَوْ يَدٌ حَاطِيَةٌ" (٤).
ولعل الفتنة التي أمر النبي ﷺ باعتزالها، وحض على ألا يلجها أحد، وأن يكسر الإنسان فيها سيفه ويلزم بيته، ويكون مقتولاً لا قاتلاً، تلك الفتنة العامة العمياء الصماء البكماء التي لا يُعرف فيها المحقُّ من المَبْطَل، أمَّا مَنْ عَرَفَ المحقَّ وكان معه ينصره فقد أصاب، ومَنْ كان مع الباغي فهو مخطئ، كما قال تعالى:

(١) أحمد "المسند" (ج ١٥ / ص ٥٢٨ / رقم ٢١٣٣٧) وإسناده صحيح .

(٢) يريد ﷺ قوله تعالى: ﴿لِيَنْبَسُطَ إِلَيْكَ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٨) [المائدة] .

(٣) أحمد "المسند" (ج ١٥ / ص ١٨ / رقم ١٩٦١٨) وإسناده صحيح .

(٤) أحمد "المسند" (ج ١٤ / ص ٢٥ / رقم ١٧٩٠٢) وإسناده حسن .

﴿ فَتَنَلُوا آلِيَّ تَبَعِي ... ﴾ [الحجرات]. وتتأول الأحاديث على غير ذلك، فقد اختلف العلماء في قتال الفتنة، فالمسألة لا تخلو من خلاف وتفصيل وتأصيل.

واعلم أن الإصلاح بين الطائفتين المؤمنتين مقدّم على قتال الباغي منهما، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصِلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقِنِلُوا آلِيَّ تَبَعِي حَتَّىٰ تَفِءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَاصِلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات].

وَمَنْ نَظَرَ نَظْرَ مُحْكَمِ الْعَقْلِ الْحَصِيفِ إِلَى الْآيَتِينَ، عَرَفَ مِنَ الْحَقَائِقِ وَالذَّقَائِقِ مَا يَشوق وَيزهو على الجمان ويفوق، فقد بين الله تعالى في الآيتين عظيم شأن الإصلاح بين الطائفتين المؤمنتين، فأمر به ثلاث مرّات مبالغة في التأكيد عليه، وسمّى الطائفتين مؤمنين مع الاقتتال، ولم ينف عنها صفة الإيثار.

الدعاة إلى الفتن هم الدعاة إلى النار

حذر النبي ﷺ من فتنة عمياء صماء كقطع الليل المظلم، يعمر فيها الإنسان عن رؤية الحق، ويصم عن سماعه، وفيها من الظلمات ما يلبس الحق بالباطل، وعلى تلك الفتنة جماعة قائمة بأمرها يدعون الناس إلى الهلكة.

فمن حديث حذيفة ؓ " قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبْعَدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرًّا؟ قَالَ: يَا حَذِيفَةَ، تَعَلَّمَ كِتَابَ اللَّهِ وَاتَّبَعَ مَا فِيهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبْعَدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرًّا؟ قَالَ: فِتْنَةُ عَمِيَاءَ صَمَاءَ، عَلَيْهَا دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَنْ

مُحَوَّتَ يَا حُدَيْفَةُ، وَأَنْتَ عَاضٌ عَلَى جِذْلِ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَتَّبِعَ أَحَدًا مِنْهُمْ" (١).

الفتن لا تزال إلى يوم القيامة

ليس غريباً أن تتأزر نصوص الكتاب والسنة على الأمر بالإصلاح بين المؤمنين، لأن الفتن لا تزال في أمته ﷺ ما بقيت الدنيا، وبأسهم بينهم واقع إلى قيام الساعة، وهلاكهم بعضهم ببعض، وهذا من أعظم ما يتهددهم؛ لأن النبي ﷺ مُنِعَ أَنْ لَا يَجْعَلَ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ، فقد سأل الله تعالى ثلاثاً، فأعطاه ثنتين ومنعه واحدة. قال ﷺ: "سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً: سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ فَمَنْعَنِيهَا" (٢).

وروى البخاري عن جابر رضي الله عنه، قَالَ: "لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ، قَالَ: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قَالَ: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» أَوْ يَلِيْسُكُمْ شَيْعًا وَيَذِيْقُ بَعْضُكُمْ بِأَسْ بَعْضٍ... ﴿٦٥﴾ [الأنعام]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذَا أَهْوَنُ، أَوْ هَذَا أَيْسَرُ" (٣).

وروى أحمد عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: "وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي، لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" (٤).

(١) أحمد "المسند" (ج ١٦ / ص ٥٧٨ / رقم ٢٣١٧٥) وإسناده صحيح.

(٢) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٩م / ج ١٨ / ص ١٤) كتاب الفتن.

(٣) البخاري "صحيح البخاري" (٣م / ج ٥ / ص ١٩٣) كتاب التفسير.

(٤) أحمد "المسند" (ج ١٦ / ص ٣٠٩ / رقم ٢٢٣٥١) وإسناده صحيح على شرط مسلم.

وقد وضع السيف فيهم بقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، فلم يزل حتى يومنا هذا، وسيظل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم، فالأمر واقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم، فقد عمّت الفتن وعمّت، والحال يشهد لذلك.

تغيبط أهل القبور وتمني الموت عند نزول الفتن خشية ذهاب الدين

عقد البخاري في كتاب الفتن باباً بعنوان: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُغْبَطَ أَهْلُ الْقُبُورِ) وذكر فيه حديثاً عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، قَالَ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ"^(١).

وقد يقول قائل: كيف يسوغ له أن يتمنى الموت الذي هو أعظم المصائب عند ظهور الفتن، مع أنه يكرهه أنه أن يتمنى الموت لضرر نزل به، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، إِذَا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزِدَّادُ، وَإِذَا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتَبُ"^(٢).

والجواب، جاء النهي عن تمني الموت إذا نزل به ضرر في أمور دينه ومعاشه، أما إذا خشي على دينه، وكان الموت أهون عليه من ذهاب الدين، فلا كراهة في ذلك، والله أعلم. وأخرج الحاكم من حديث عبد الله بن الصامت رضي الله عنه أن أبا ذر رضي الله عنه، قال له: "وَيُوشِكُ يَا ابْنَ أَخِي أَنْ عِشْتَ إِلَى قَرِيبٍ، أَنْ يَمُرَّ بِالْجُنَّازَةِ فِي السُّوقِ فَيَرْفَعُ الرَّجُلُ رَأْسَهُ، فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي عَلَى أَعْوَادِهَا"^(٣).

(١) البخاري "صحيح البخاري" (م/٤/ج/٨/ص ٩٤) كتاب الفتن.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (م/٤/ج/٨/ص ١٣٠) كتاب التمني.

(٣) الحاكم "المستدرک" (ج/٤/ص ٤٤٧) كتاب الفتن، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

من أسباب الاختلاف وظهور الفتن

واعلم أنّ وراء اعتلال القلوب واختلافها ووقوعها في مضلّات الفتن أسباب، منها: شياطين الإنس والجنّ .

فإيقاع العداوة بين النَّاسِ مِصِيدَةٌ وَجِبَالَةٌ مِنْ حِبَائِلِ الشَّيْطَانِ، قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ ... ﴾ (١١) [المائدة]، وقال

تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ (٥٣) [الإسراء].

وجاء التعبير بالفعل المضارع: (يوقع) والفعل المضارع (ينزع) لإفادة التجدد، فهو ما يزال يفسد ويهيج ويحرّس بين النَّاسِ ويجدّد في حيله ولا يتوقّف.

ولذلك قال النَّبِيُّ ﷺ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ

العَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ"^(١) أي بحملهم على العداوة والفتن، ولذلك فمن عادي مُسْلِمًا، فإنّها استرلّه الشَّيْطَانُ .

والشَّيْطَانُ هُوَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَدَاةَ، فَهُوَ عَدُوٌّ لَنَا كَمَا أَخْبَرَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ

الشَّيْطَانَ لَكَرُّ عَدُوٍّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ... ﴾ (٦) [فاطر]. ولا يدّخر الشَّيْطَانُ وُسْعًا فِي

فِتْنَةِ بَنِي آدَمَ، وَلَا يَضُنُّ بِإِصْلَاهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَبْنِيْءُ آدَمَ لَا يَفِيئَتَكُمْ

الشَّيْطَانُ ... ﴾ (١٧) [الأعراف]، ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا

﴿ [النساء]، ﴿ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ (١٥) [القصص].

وقد حدّرنا الله تعالى من إبليس الذي يسعى غاية جهده في صدّ النَّاسِ عَنْ

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٩م/ج ١٧/ص ١٥٦) كتاب صفة القيامة .

الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، فقال مخبراً عنه : ﴿ قَالَ فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شُكْرِينَ ﴿١٧﴾ [الأعراف].

وقوله : (لَأَقْعُدَنَّ) تضمين، لأنه حصل معنى في هذا الفعل من غير ذكر له، وإنما تضمَّنه؛ فالفعل (لَأَقْعُدَنَّ) يتضمَّن معنى لَأَلْزَمَنَّ، والمعنى: لَأَلْزَمَنَّ صراطك المستقيم لا أبرحه، والقيود يكون طارئاً متجدداً، والضرورة يفيد الدوام والثبات والاستمرار، وهذا المعنى أفاده التضمين، الذي هو ضرب من الإيجاز البليغ في البيان، وفنّ من فنونه.

فإبليس قاعد على الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ملازم له مواظب عليه مواظبة لا يفتر عنها، فلا يدعُ جهداً في إطفاء وإغواء بني آدم، وقد ذكر الله تعالى في غير موضع أن إبليس أخبر بذلك، كقوله : ﴿ قَالَ فِعْرَازِكَ لَأَعْوِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَلَصِينَ ﴿٨٣﴾ [ص] وقوله : ﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ [النساء] وقوله : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ [الإسراء].

وأخبر النبي ﷺ محذراً إيانا أن إبليس له سرايا، وأن مركزه البحر، ومنه يبعث سراياه في جوانب الأرض لفتنة الناس، فقال ﷺ : " إِنْ عَرَّشَ إِبْلِيسَ عَلَى الْبَحْرِ، فَيَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَيَفْتِنُونَ النَّاسَ، فَأَعْظَمُهُمْ عِنْدَهُ أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً " (١).

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٩م/ج ١٧/ص ١٥٦) كتاب صفة القيامة .

وإبليس وجنوده لهم حيل في التلبيس على النَّاسِ وإضلالهم، قال تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ
يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ... ﴾ (١١) [النور]، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا
كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ (٦٢) [يس].

وأعلمنا النبي ﷺ أن مع كلِّ إنسان شيطاناً (وهو القرين) لنحذر من فتنته
ووسوسته، فقد قال ﷺ يوماً لعائشة رضي عنها : " مَا لِكَ يَا عَائِشَةُ، أَغْرَتِ ؟ فَقُلْتُ :
وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِنِّي عَلَى مِثْلِكَ، فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَقَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ ؟ قَالَتْ
: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ ؟! قَالَ : نَعَمْ . قُلْتُ : وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ .
قُلْتُ : وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟! قَالَ : نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ " (١).

والحاصل التحذير من فتن إبليس ومكائد الشيطان ورد في الكتاب والسنة
في غير موضع، فلا يستخفَّنكم الشيطان: ﴿ وَلَا يَغْرَبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُوبُ ﴾ [فاطر].
وقد أمر الله تعالى بالتعوُّذ من الشيطان عند قراءة القرآن ، فقال تعالى :
﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (١٨) [النحل] فإذا كان الله
تعالى قد أمر بالتعوُّذ من شرِّ الشيطان عند قراءة القرآن، فكيف في غيره ؟!

وقد ورد الأمر بالاستعاذة من الشيطان في غير هذا الموضع، قال تعالى :
﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ... ﴾ (٢٠) [الأعراف]، وقال
تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٩م/ج ١٧/ص ١٥٨) كتاب صفة القيامة .

شَرَّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنْ
الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾ [النَّاس].

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ ﴿٦﴾ يدلُّك على تنوع الشَّيْطَانِ،
فالشَّيْطَانُ نوعان: نوعٌ يَرَاك وهو شَيْطَانُ الْجَنِّ، ونوع تراه وهو شَيْطَانُ الْإِنْسِ.
ولعلَّ شَيْطَانَ الْإِنْسِ أَشَدُّ خَطَرًا على بني آدم؛ لأنَّ شَيْطَانَ الْجَنِّ إذا ذَكَرَتِ اللهُ تَعَالَى
وَلَّى وَخَسَّ، بخلاف شَيْطَانِ الْإِنْسِ.

وقد جمع الله تعالى بينهما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا
شَيْطَانِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ...﴾ ﴿٣٣﴾ [الأنعام].

وأرشد الله تعالى إلى دفع أذى وشَرٍّ وسوسة شَيْطَانِ الْجَنِّ بالاستعاذة بالله
تعالى منه، وأرشدنا إلى دفع أذى شَيْطَانِ الْإِنْسِ بِالصَّفْحِ وَالْإِعْرَاضِ عنه، والدَّفْعِ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

وَاعْلَمَ أَنَّ الْمُعْرِضَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى يَقِيضُ لَهُ شَيْطَانًا يَضِلُّهُ عَنِ الصِّرَاطِ
السَّوِيِّ، وَيُخِيلُ لَهُ أَنَّهُ عَلَى الْهُدَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ الذِّكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ،
شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ ﴿٣٦﴾ وَاتَّهَمَ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾
[الزَّخْرَف] والبحث في هذا يتسع ويطول .

وَمِنْ أَسْبَابِ الْوَقُوعِ فِي الْفِتَنِ: كَيْدُ الْكَائِدِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
وَالزَّائِغِينَ . فَكَمْ هُمُ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ السَّبِيلِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا:
﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا

عَوَجًا... ﴿٢٠﴾ [إبراهيم]. وكم هم الذين يسعون لإفساد الصّف من المنافقين :
﴿يَبْعُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ...﴾ ﴿٤٧﴾ [التوبة]. وكم هم الذين
يبغون لنا الغوائل من أهل الزيغ : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ
الْفِتْنَةِ...﴾ ﴿٧﴾ [آل عمران]، والداهية الشّعاء، والغارة الشّعواء، أنه لا يخلو
منهم زمان ولا مكان ولا عصر ولا مضر.

ومن أسباب الفتنة : عدم موالاتة المؤمنين بعضهم بعضاً . قال تعالى :
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ
كَبِيرٌ﴾ ﴿٧٣﴾ [الأنفال]. فالله تعالى يخبرنا بأن الكفار بعضهم أولياء بعض، وأنه
إذا لم يوال بعضنا بعضاً كما يفعل هؤلاء، تقع فتنة وفساد كبير؛ لوجود الموالاتة
والوحدة والقوة بينهم، ووجود المعاداة والتفرق والضعف بيننا.

ولذلك امتدح الله تعالى الصحابة على موالاتهم بعضهم بعضاً، فقال تعالى
: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ
ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾ ﴿٧٣﴾ [الأنفال].

وأوجب الله تعالى على المؤمنين والمؤمنات أن يوالوا بعضهم بعضاً، فقال :
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾ ﴿٧١﴾ [التوبة].

وقد دعا النبي ﷺ إلى الوحدة والتعاون بين المؤمنين في غير حديث، فقال
ﷺ: " إِنْ الْمُؤْمِنِ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَسَبَّكَ ﷺ أَصَابِعَهُ " (١).

(١) البخاري " صحيح البخاري " (١م / ١ج / ١ص ١٢٣) كتاب الصلاة .

ومن أسباب غيظ القلوب واختلافها، ووقوع الفتن : التَّشَدُّدُ والتَّنَطُّعُ والغلو في الدين . والتَّشَدُّدُ في الدين مخالف لما أمر الله تعالى به من رَفْعِ الْحَرَجِ واليسر والتخفيف، قال ﷺ: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ... ﴾ (٧٨) ﴿ [الحج]، ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ... ﴾ (١٨٥) ﴿ [البقرة]، ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ... ﴾ (٢٨) ﴿ [النساء]، ﴿ وَلَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... ﴾ (٢٢) ﴿ [المؤمنون]، ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (٧) ﴿ [الطلاق] .

كما أن التَّشَدُّدَ مخالف لأمر النَّبِيِّ ﷺ بالتيسير وترك التَّنْفِيرِ، قال ﷺ: "يُسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا"^(١). فالدين يسر، قال ﷺ: "إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ هَذَا الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ؛ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّبْحَةِ"^(٢)، وقال النَّبِيُّ ﷺ: "أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْخِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ"^(٣).

والتَّنَطُّعُ في الدين هلكته، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: "هَلَكَ الْمُتَّنَطِّعُونَ"^(٤) قالها

(١) البخاري "صحيح البخاري" (م/١ ج/١ ص ٢٥) كتاب العلم .

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (م/١ ج/١ ص ١٥) كتاب الإيمان .

(٣) ذكره البخاري معلقاً في كتاب الإيمان في "الصحيح" (م/١ ج/١ ص ١٥) ووصله في كتاب "الأدب المفرد" (ص ١٣٨/رقم ٢٨٧) ووصله أحمد في "المسند" (ج ٢/ص ٥٢٢/رقم ٢١٠٧) بإسناد حسن .

(٤) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (م/٨ ج/١٦ ص ٢٢٠) كتاب العلم .

ثلاثاً . أي الغالون في التَّأويل، المتعمِّقون في أقوالهم وأفعالهم .

والغُلُوُّ في الدِّين ، والتَّشَدُّدُ فيه غير الحقِّ نهى الله تعالى عنه ، بقوله ﷺ:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ... ﴾ [٧٧] [المائدة] ونهى

عنه النبي ﷺ ، وبيَّن أن عاقبته الهلكة، فقال ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوُّ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ

قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ"^(١) . ويقابل الغلُوَّ في الدِّين التَّفْرِيطَ به، ودين الله بين الجافي

المقصر عن الحدِّ، والغالي المجاوز الحدَّ .

ومن أسباب الاختلاف والفتن : أخذ العلم عن غير أهله . قال ﷺ: " إِنْ

اللَّهِ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمْوَهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتِزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ

بِعِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ"^(٢)

والأحاديث والشواهد كثيرة، والعلماء غرباء لكثرة الجهلاء .

ومن الأسباب : القول بالرأي، وأتباع الهوى . خلا عمرُ بن الخطاب ﷺ

ذات يوم فجعل يحدث نفسه، فأرسل إلى ابن عباس، فقال : " كيف تختلف هذه

الأمَّة، فكتابها واحد، ونبيها واحد، وقبلتها واحدة؟! قال ابنُ عباس :

يا أميرَ المؤمنين، إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْنَا الْقُرْآنَ، فَقَرَأْنَاهُ، وَعَلِمْنَا فِيْمَ نَزَّلَ، وَأَنَّهُ

يَكُونُ بَعْدَنَا أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يَعْرِفُونَ فِيْمَ نَزَلَ؛ فَيَكُونُ كُلُّ قَوْمٍ فِيهِ رَأْيٌ،

فَإِذَا كَانَ لِقَوْمٍ فِيهِ رَأْيٌ اخْتَلَفُوا، فَإِذَا اخْتَلَفُوا اقْتَلَبُوا. فَرَبَّرَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَنْتَهَرَهُ"^(٣)،

(١) أحمد "المسند" (ج٣/ ص٣٨٧/ رقم٣٢٤٨) وإسناده صحيح .

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (م٤/ ج٨/ ص١٤٨) كتاب الاعتصام .

(٣) لعله نهره استعظماً لا إنكاراً، فعمر ﷺ يعرف أن ما قاله الحق .

فَأَنْصَرَفَ ابْنُ عَبَّاسٍ، ثُمَّ دَعَاهُ بَعْدَ، فَعَرَفَ الَّذِي قَالَ، ثُمَّ قَالَ: إِيَّاهُ أُعِيدُ^(١).
 وَاَعْلَمَ أَنَّ مَنْ قَدَّمَ رَأْيَهُ عَلَى مَا جَاءَهُ مِنَ الْهُدَى، فَإِنَّمَا يَتَّبِعِ الْهُوَى، وَلَا يَتَّبِعِ
 الْوَحْيَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ
 الْهُدَى﴾ ﴿٣٢﴾ [النجم].

وَاتَّبَعَ الْهُوَى ضَلَالًا، فَقَدْ شَهِدَ اللَّهُ تَعَالَى لِمَنْ طَلَبَ الْهُدَايَةَ بِغَيْرِ الْكِتَابِ
 وَالسُّنَّةِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ بِالضَّلَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ
 عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
 تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ [الجاثية].

وَأَنَّ مَنْ لَا يَجِيبُ الرَّسُولَ ﷺ فَإِنَّمَا يَجِيبُ هَوَاهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ غَايَةُ الضَّلَالِ
 وَالظُّلْمِ وَالْخُسْرَانِ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَأَعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ
 مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ...﴾ ﴿٥٠﴾ [القصص].

وَمِنَ الْأَسْبَابِ: رَفَعَ الْعِلْمَ وَانْتَشَرَ الْجَهْلُ. فَلَا شَكَّ أَنَّ مَنْ قَلَّ عِلْمُهُ قَلَّ
 إِعْذَارُهُ لِلنَّاسِ، وَمَنْ كَثُرَ جَهْلُهُ كَثُرَ لَغَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ لَغَطُهُ كَثُرَ غَلَطُهُ، وَلِذَلِكَ ذَمَّ
 اللَّهُ تَعَالَى الْجَهْلَ وَأَهْلَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ
 يَجْهَلُونَ﴾ ﴿٣١﴾ [الأَنْعَامِ]، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [الْقَمَانِ]،
 ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [الرُّومِ].

وَشَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَهَالَ بِالْأَنْعَامِ (الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالغَنَمِ) وَلَمْ يَقْتَصِرْ، بَلْ

(١) البيهقي "الجامع لشعب الإيمان" (ج ٤ / ص ٣٨٠ / رقم ٢٠٨٦) وقال المحقق: رجاله ثقات.

وجعلهم أضل سبيلاً من الأنعام، فقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ
أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ [الفرقان].

قلت: ولو نظرت إلى الأنعام لوجدت فيها من الوداعة والود والدفء
والمنافع والجمال ما لا تجده عند كثير من الجهال، الذين امتلأت قلوبهم غيظاً
وحسداً وحقداً، وهذا بلاء لا يرفع إلا بالهداية والعلم.

كما أخبر الله تعالى أن شرّ الدواب عنده الجهال، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ
الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ [الأنفال].

وأخبر أن كثيراً من الإنس والجن يدخلون جهنم بسبب جهلهم وغفلتهم
وإعراضهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ
أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٦﴾ [الأعراف].

وخطب الله تعالى نبيه ﷺ معرضاً بالجاهلين، فقال تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ [الأنعام] والخطاب وإن كان للنبي ﷺ عينه، إلا أن المراد به
غيره؛ فالله تعالى قد أعاده، وحاشا للنبي ﷺ أن يكون منهم. ووعظ الله تعالى
نوحاً عليه السلام، فقال: ﴿إِنِّي أَعْظَمُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤١﴾ [هود]، وقال
موسى عليه السلام: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ [البقرة].

وأمر الله تعالى نبيه ﷺ بالإعراض عن الجاهلين، فقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿٣١﴾ [الأعراف]. وامتدح عباده بالإعراض

عن الجاهلين ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا
وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنَعِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [٥٥] [القصص]، وقال تعالى :
﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [١٣] [الفرقان].

وكفى ذمًا بالجهل وتقييحه أن كلب الصيد الجاهل لا يحلُّ أكل صيده، فقد
اشترط الفقهاء لحلَّ الصيد أن يكون الكلبُ مُعلِّمًا لا جاهلاً، لقوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ
لَكُمْ الطَّيْبُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ
عَلَيْكُمْ... ﴾ [٤] [المائدة].

وقد أخبر النبي ﷺ أن من أشرط السَّاعة أن يرفع العلم (العلم بالكتاب
والسُّنة)، ويثبت الجهل، ويكثر القتل، قال النبي ﷺ "إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ أَيَّامًا
يُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ، وَيَنْزَلُ فِيهَا الْجَهْلُ، وَيَكْتُمُ فِيهَا الْهَرَجُ، وَالْهَرَجُ الْقَتْلُ" (١).
وقال النبي ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ
يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيْمَ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيْمَ قُتِلَ، فِقَبِيلٌ : كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ ؟ قال:
الْهَرَجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ" (٢) والبحث في هذا يتسع.

وخلاصة القول الجهال أموات غير أحياء، لا يهتدون بنصح، ولا ينتفعون
بذكرى، ولم يكن على الأنبياء والرُّسل أثقل منهم، فهم أعداء الحق، وأعداء
أنفسهم، وقد أحسن القائل :

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٤م/٨ج/٨٩) كتاب الفتن .

(٢) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٩م/١٨ج/٣٥) كتاب الفتن .

لَنْ يَسْمَعَ الْأَحْمَقُ مِنْ وَاِعْظِ فِي رَفْعِهِ الصَّوْتِ وَفِي هَمْسِهِ
لَنْ تَبْلُغَ الْأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ مَا يَبْلُغُ الْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ
وشرَّ الجهال لا ينقضي أبد الآباد، والبليّة لا يخلو زمان منهم، وإذا حدثت
الفتنة وكانوا فيها، فإنَّ أعقل العقلاء من العلماء الأجلاء لا يستطيع تسكينها.
"اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزَلَ أَوْ نُضِلَّ، أَوْ نُظْلِمَ أَوْ نُظْلَمَ، أَوْ نَجْهَلَ أَوْ
يُجْهَلَ عَلَيْنَا" (١).

المنجى من الفتن والمخرج من المحن

أرشدنا الله تعالى في كتابه إلى ما يعصمنا من الفتن، وأوّل العواصم
الاعتصام بالله وبكتابه، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ
فَسَيْدِجْلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مَنَّهُ وَفَضْلِ وَبَهْدِهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (١٧٥) ﴿[النساء]،
وقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٧٨) ﴿[الحج].
والاعتصام بالكتاب يحتاج إلى أن نتدبّر آي القرآن، ففيه نبأ ما كان قبلنا
وحكم ما بيننا، وأن ننظر سنة النبي ﷺ وما فيها من بيان، فما علّمناه نعمل به، وما
جهلناه نردّه إلى العلماء الموثوق بدينهم، فليس بعد الإيوان أحسن من الفهم عن الله
ورسوله، ولذلك قال تعالى: ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) ﴿[النحل].

(١) أحمد "المسند" (ج ١٨/ ص ٢٧٨/ رقم ٢٦٤٩٥) وقال المحقق: إسناده صحيح. وأخرجه
الترمذي في "السنن" (٥/ ص ٤٩٠/ رقم ٣٤٢٧) كتاب الدعوات، وقال: حسن صحيح.

والاحتكام إلى الكتاب والسنة يجمي المجتمع عند الاختلاف؛ فهو يحكم الأهواء، ويجمع الكلمة، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ... ﴾ [١٠] ﴿ [الشورى] ، وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ... ﴾ [النساء] والردُّ إلى الله تعالى ردُّ إلى كتابه، والردُّ إلى الرسول ﷺ هو سؤاله في حياته، والنظر في سنته بعد وفاته.

والرجوع إلى الكتاب والسنة ليس نافلة، وإنما هو حدُّ الإيهان، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [٦٥] ﴿ [النساء]. وقد أخبر الله تعالى أنه ليس وراء حكمه إلا حكم الجاهلية، قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [٥٠] ﴿ [المائدة].

واعلم أن الأمور التي تختلف فيها الأمة إذا لم تردَّ إلى الله والرسول لا يعرف فيها الحق، ولا يتبين فيها السبيل، ورحم الله تعالى الإمام مالك حيث يقول: " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

ومن أهم أسباب النجاة من الفتن: لزوم العلماء ورثة الأنبياء، فهم في النوازل أئمة الهدى، وعند الاختلاف مصايح الدجى؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [٤٣] ﴿ [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿ وَتَوَرَّدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ... ﴾ [٨٣] ﴿ [النساء].

فاسمع واعقل عن العلماء الخُلَماء، فتنجو حين لا ينجيك إنسان، ولا تكن

مع هؤلاء الذين فارقوا العقل وعارضوا النقل، وقال الله تعالى حاكياً عنهم :
﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [الملك]، ولذلك نفى
الله تعالى عن قوم عادِ الأسماعِ والأبصارِ والعقولِ لما لم ينتفعوا بها، قال تعالى :
﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ
مِّنْ شَيْءٍ... ﴾ [الأحقاف].

ومن أسباب النجاة: الاستعانة بالصبر والصلاة، قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة]. فالصبر
يحمل على كظم الغيظ، والعفو عن الناس، والإحسان إليهم، والصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر.

وما استُدْفِعَ شَرٌّ، ولا استُجْلِبَ خَيْرٌ، بمثل الصبر والصلاة؛ فالصلاة صلة
بالله تعالى، والصَّابِرُونَ وجبت لهم معية الله تعالى، فظفروا بها بخير الدنيا وخير
الآخرة، وفي التنزيل، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً
أَتَصْبِرُونَ ﴾... [الفرقان]. ولا يخفى خروج الاستفهام إلى معنى الأمر،
أي اصبروا.

ومن أسباب النجاة: الدعاء والاستغفار والتوبة، قال تعالى : ﴿ فَكُلًّا إِذْ
جَاءَهُمْ بِأَسْنَانًا فَضَرَعُوا ﴾... [الأنعام].

فهذا نبيُّ الله يونس عليه السلام لما التقمه الحوت، ووقع في محنة يا لها ما أَصْرَهَا،
دعا الله تعالى بدعاء فكفاه بأسها ووقاه شرها، قال تعالى : ﴿ وَذَا التَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ

مُعْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فِكَادَى فِي الظُّلْمَتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ
 إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَجْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ
 نُشِخِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ [الأنبياء]. وحتى لا يتوهم متوهم أن هذا الدعاء خاص
 بنبي الله يونس عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُشِخِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].
 وهذا نبي الله تعالى أيوب عليه السلام يدعو الله فيكشف الله تعالى ما به من ضرر،
 قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٢﴾﴾
 فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ... ﴿٨٤﴾ [الأنبياء].

ومن أسباب النجاة: التَّعَوُّذُ مِنَ الفتن. فقد أرشد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته إلى ما
 يعصمهم من الفتن، قال صلى الله عليه وآله وسلم: "تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ" ^(١).
 ولذلك كان عمر رضي الله عنه، يقول: "رَضِينَا بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا،
 نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُوءِ الفِتَنِ" ^(٢). وكان عمَّار رضي الله عنه يقول: "أعوذُ بالله من الفتن" ^(٣).
 والتَّعَوُّذُ مِنَ الفتن مشروع ومطلوب ولو تيقن المرء أنه على الحق المبين؛
 لأنَّ الفتن قد تفضي إلى أمور يتبرأ منها.

أمَّا حديث "اسألوا الله الفتنة؛ فإنَّ فيها حصادَ المنافقين" فلا يصح، فقد
 أخرجه أبو نعيم وفي سنده ضعيف ومجهول من حديث علي رضي الله عنه بلفظ: "لا

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٩م/ج ١٧/ص ٢٠٢) كتاب الجنة .

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٤م/ج ٨/ص ٩٤) كتاب الفتن .

(٣) البخاري "صحيح البخاري" (١م/ج ١/ص ١١٥) كتاب الصلاة .

تكرهوا الفتنَةَ في آخر الزمان؛ فَإِنَّهَا تَبِيرُ (تهلك) المنافقين" (١).

ومن أسباب النِّجاة: إخلاص العمل لله تعالى، والنُّصح لمن وُلِّاه الله تعالى أمرنا، ولزوم جماعة المسلمين، فهذه خِصَالُ ثلاث تنفي الغلَّ عن قَلْبِ المسلم، قال النَّبِيُّ ﷺ: "ثَلَاثُ خِصَالٍ لَا يَغْلُ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ أَبَدًا: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وِلَاةِ الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ" (٢).

أي أن لزوم جماعة المسلمين سبب في أن تشمله دعوة الإسلام وتكفنه، وتحيط به إحاطة السُّور، فالجماعة رحمة كما قال النَّبِيُّ ﷺ: "وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ" (٣). وقال النَّبِيُّ ﷺ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ" (٤)، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَيِّمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" (٥).

ومن أسباب النِّجاة: أن نتعاون على البرِّ والتَّقوى، وألا نتعاون على الإثمِّ والعدوان؛ امثالاً لأمر الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ

(١) قال ابن الدَّبَّيع: "أخرجه أبو نعيم، وفي سنده ضعيف ومجهول "تميز الطَّيِّب من الخبيث" (ص ٢٢١/رقم ١٦١). وقال الحافظ: "أخرجه أبو نعيم وفي سنده ضعيف ومجهول "فتح الباري" (ج ١٣/ص ٣٦). وقال الألباني: منكر "الضعيفة" (ج ١٢/ص ٧٣٧/رقم ٥٨٣٥).

(٢) أحمد "المسند" (ج ١٦/ص ٣٢/رقم ٢١٤٨٢) وإسناده صحيح.

(٣) أحمد "المسند" (ج ١٤/ص ١٧٦/رقم ١٨٣٦٢) وإسناده صحيح.

(٤) حديث "الدِّينُ المعاملة" دائر على ألسنة العامة، وليس بحديث، فليس له ذكر حتَّى في كتب الأحاديث الموضوعية. قال الألباني في مقدِّمة الضَّعِيفَةِ: ولا أصل لذلك، ولا في الأحاديث الموضوعية "الضعيفة" (ج ٥/ص ١١).

(٥) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (م ١/ج ٢/ص ٣٧) كتاب الإيمان.

وَالْعُدُونَ... ﴿٢﴾ [المائدة].

ولذلك ذهب جمهور الفقهاء إلى حرمة بيع السلاح زمن الفتنة للبغاة وأهل الفتنة، لما في ذلك من تعاون على الإثم والعدوان، ومفاسد لازمة ومتعدية ومجردة ومزيدة، جزيًا على قاعدة الأمور بمقاصدها، والحكم للغالب، وذرة المفاسد مُقدِّم على جلب المصالح، لاسيما إذا كانت المصالح خاصة والمفاسد عامة مطلقة.

فالمسلم عليه أن يكون مع الخيار لا مع الشرار الذين لا يُرجى خيرهم ولا يُؤمن شرهم، قال ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَخِيَارُكُمْ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ تَعَالَى. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرَارِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَشَرَارُكُمْ الْمَفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحْبِبِّ، الْمَشَاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْبَاغُونَ، الْبُرَاءُ الْعَنَتُ" (١).

وهذا عثمان ؓ لما نزل به ما نزل، دخل عليه عبيد الله بن عدي، وهو محصور، فقال: "إِنَّكَ إِمَامٌ عَامَّةٌ وَنَزَلَ بِكَ مَا تَرَى، وَيُصَلِّي لَنَا إِمَامٌ فِتْنَةٌ وَنَتَحَرَّجُ؟" فقال: الصَّلَاةُ أَحْسَنُ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ، فَإِذَا أَحْسَنَ النَّاسُ، فَأَحْسِنَ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاؤُوا، فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ" (٢).

وفي هذا الأثر التحذير من الفتنة، والحض على شهود الجماعة خاصة في زمن الفتنة؛ حرصاً على جمع الكلمة ووحدة الصف، فصلاة الجماعة ضاعف الله تعالى أجرها لأتباعها من مظاهر وحدة المسلمين. وقول عثمان ؓ سنة متبعة ماضية؛ لحض النبي ﷺ على أتباع سنته، وسنة الخلفاء الراشدين من بعده.

(١) أحمد "المسند" (ج ١٨/ص ٥٩٩/رقم ٢٧٤٧٤) وإسناده حسن.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (م ١/ج ١/ص ١٧١) كتاب الأذان.

فَتَمَثَّلَ أَخْلَاقَ أَيْرِ النَّاسِ قُلُوبًا وَأَلْيَنَهُمْ جَانِبًا، وَتَعَلَّمَ كَيْفَ تُعَامَلُ غَيْرِكَ،
 وَكَيْفَ تَسْعَى فِي رِكَابِ الْحَقِّ ذَهْرَكَ، وَاجْعَلْ قَوْلَ عِثَانَ ﷺ شِعَارًا لَكَ: " فَإِذَا
 أَحْسَنَ النَّاسُ، فَأَحْسِنْ مَعَهُمْ، وَإِذَا أَسَاؤُوا، فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ ". وَكُنْ مَرْحُومًا لَا
 مَحْرُومًا، وَأَوْسَعِ النَّاسَ حِلْمًا إِذَا أَوْسَعُوكَ جَهْلًا، اللَّهُ دُرُّكَ يَا عِثَانُ مَا أَحْلَمَكَ !
 وَصَدَقَ الْقَائِلُ:

وَالنَّاسُ صِنْفَانِ: مَوْتَى فِي حَيَاتِهِمْ وَأَخْرُونَ بِبَطْنِ الْأَرْضِ أَحْيَاءُ
 وَمِنْ أَسْبَابِ النَّجَاةِ: الْقَوْلُ الْحَسَنُ، فَالْقَوْلُ الْحَسَنُ يَسُدُّ مَدْخَلَ الشَّيْطَانِ
 وَيُبْطِلُ مَكَائِدَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ
 بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الإسراء].

فَالْمُسْلِمُ يَتَّقِي أَطْيَبَ الْكَلَامِ وَأَحْسَنَهُ، وَيَتَخَيَّرُ أَجْمَلَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَصِفِي لَهُ
 وَدَّ أَخِيهِ؛ حَتَّى لَا يَدْعُ لِلشَّيْطَانِ سَبِيلًا، وَلِذَلِكَ أَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ:
 ﴿ وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهَدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحج].

وَقَدْ ثَبَّتَ اللَّهُ تَعَالَى الصَّحَابَةَ ﷺ عَلَى الْقَوْلِ الطَّيِّبِ حَتَّى فِي الْخِصُومَةِ مَعَ
 أَعْدَائِهِمْ، فَقَدْ تَعَلَّمُوا فِي مَدْرَسَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَوْمَ بَدْرٍ، لَمَّا أَخَذَ أَبُو سَفْيَانَ يَرْتَجِزُ: إِنَّ
 لَنَا الْعُرَى وَلَا عُرَى لَكُمْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " أَلَا تُحِبُّونَا لَهُ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا
 نَقُولُ؟ قَالَ: قُولُوا: اللَّهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ" (١).

وَانظُرْ مَا عَلَّقَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى التَّقْوَى وَالْقَوْلِ السَّدِيدِ مِنْ صَلَاحِ الْعَمَلِ

(١) البخاري " صحيح البخاري " (٢م/٤ج/٤ص) كتاب الجهاد.

وغفران الذنوب، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾
يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ... ﴿٧١﴾ [الأحزاب].

ومن أسباب النجاة: الفرار إلى الله، قال تعالى: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ... ﴿٥٠﴾﴾
[الذاريات]، فالسعيد مَنْ قَرَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالشَّقِي مَنْ قَرَّ مِنَ اللَّهِ إِلَى سِوَاهُ.
وَمَنْ يَعْصِمُنَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﷻ إِنْ أَرَادَ بِنَا صَرًَّا أَوْ نَفْعًا، وَأَيْنَ الْمَفْرِّ مِنْ حَكْمِهِ
وَقُدْرِهِ وَلَا مَلْجَأَ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا
أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِذُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَتَّبِعُوا غَايَاتَهُمْ﴾ [الأحزاب]،
﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا... ﴿١١﴾﴾
[الفتح].

ومن أسباب النجاة: الفرار من الفتن، فهذا نبي الله تعالى يوسف عليه السلام لما
دعته امرأة العزيز فَرَّ مِنْ هَذِهِ الْفِتْنَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ... ﴿٥٥﴾﴾
[يوسف].

وَالْفِرَارُ مِنَ الْفِتَنِ مِنَ الدِّينِ، فَقَدْ عَقَدَ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ مِنْ
صَحِيحِهِ بَابًا، قَالَ: (مِنَ الدِّينِ الْفِرَارُ مِنَ الْفِتَنِ) وَذَكَرَ فِيهِ حَدِيثًا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ
الْحُدْرِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ
يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ؛ يَفْرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ" ^(١).

وَلَمَّا اسْتَشْهَدَ الْخَلِيفَةُ عَثْمَانُ رضي الله عنه، نَزَلَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ سَلْمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه

(١) البخاري "صحيح البخاري" (١م/١ج/١ ص ١٠) كتاب الإيمان .

البادية فراراً بدينه مِنَ الفتن؛ لما ورد من الإذن في اعتزلها، أخرج البخاري عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: " يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ، ارْتَدَدْتُ عَلَى عَقِيْبِكَ، تَعَرَّبْتُ ^(١)؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَذِنَ لِي فِي الْبَدْوِ " ^(٢).

قلت: ولو أن كلَّ إنسان فرَّ مِنَ الفتن، أو لزم بيته، ما كانت فتنة، فإذا وجدت النَّاسَ مختلفين، ورأيتهم يتقاذفون بأرواحهم نحو الفتن ولا جماعة لهم ولا إمام، فاعتزلهم، والزم بيتك حتى تنجلي الفتنة، ويطلع قمرها، فتمشي مبصراً، فذلك أسلم لدينك ودنياك، أخرج أحمد عن عبد الله بن عمرو، قَالَ:

" بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ ذَكَرُوا الْفِتْنَةَ - أَوْ ذَكَرَتْ عِنْدَهُ - قَالَ: إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ، وَكَانُوا هَكَذَا - وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - قَالَ: فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ؟! قَالَ: الزَّمْ بَيْتَكَ، وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ ^(٣)، وَدَعْ عَنكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ " ^(٤).

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ الْفِتَنِ وَالْبَلَابِ وَالْمَحَنِ، " وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ " ^(٥).

(١) التَّعَرَّبَ: الإقامة في البادية، والسكنى مع الأعراب.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (م٤/ج٨/ص٩٤) كتاب الفتن.

(٣) أي الزم ما يخصك من إعالة أهلك والقيام بمصالحهم، ولا تتعرض لأمر العامة.

(٤) أحمد "المسند" (ج٦/ص٤٣٣/رقم٦٩٨٧) وإسناده صحيح.

(٥) البخاري "صحيح البخاري" (م٤/ج٧/ص١٥٩) كتاب الدعوات.

ومن أسباب النجاة : تقوى الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ [٢] [الطلاق]، ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [٤] [الطلاق]، ﴿ إِنْ تَقَوْا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ... ﴾ [١٩] [الأنفال]، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ءَامِنُوا بِرِسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ... ﴾ [٢٨] [الحديد].

ومن تقوى القلوب الثَّبت من الأخبار والتَّحَقُّق مِنَ الآثَار، وقد سبقت أدلته، فأغنى عن إعادته. فإذا ثار الشر بين النَّاس، ورأيت النَّاس يتهافتون عليه، ويقعون في الهلكة، فلا تكن إمعة تميل حيث الرِّيح تميل، وكن ورعاً تقيّاً مناعاً للشرِّ، داعياً إلى الخير، فرّاجاً للعسر، جلاباً لليسر، لئن العريكة مع أهل الإيَّان.

ومن أسباب النجاة : التَّوَكُّل على الله ﷻ، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [٢] [الطلاق]، فانظر كيف جعل الله تعالى جزاء التَّوَكُّل عليه واللَّجْوَء إليه بأن يكون الله حَسْبَهُ وكافيهِ، وكفى بالله حسيباً! لكن لكلِّ شيء وقت لا يتعدَّاه، فلا تستبطئ فرج الله. ولو عَلِمَ النَّاسُ منزلة التَّوَكُّل على الله تعالى ما تَوَكَّل عبد على سواه، فطوبى لعبد سمع ووعى وتوَكَّل في كلِّ على المولى.

والقرآن الكريم مشحون بالآيات التي تدعو إلى التَّوَكُّل على الله تعالى في المَلِّمَاتِ والمُهْمَّاتِ والبلاءِ والألْوَءِ، قال تعالى لنبية ﷺ: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [١٥٦] [آل عمران]، ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ [٢١] [الحج].

[التَمَلُّمُ]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (٨١) [النساء]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦١) [الأَنْفَالُ]، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ (٥٨) [الفرقان].

وأثنى الله تعالى على الصحابة رضي الله عنهم، فقال: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٤١) [النحل]، وامتدح المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) [الأَنْفَالُ]. وقد أحسن القائل:

الله حَسْبُكَ مِمَّا عُدْتَ مِنْهُ بِهِ وَأَيُّنَ أَمْنَعُ مِمَّنْ حَسَبَهُ اللهُ

ومن أسباب النجاة: الثقة بالله تعالى. قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ (٥٨) [النجم]. وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم درساً في حُسن الظنِّ بالله تعالى لما قال لصاحبه أبي بكر رضي الله عنه: "ما ظنُّكَ يا أبا بكرٍ بِأَنْتَينِ اللهُ تَالِثُهُمَا"^(١) أي بالنصرة والتأييد. ولما قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله أتينا، قال ما حكاه الله تعالى عنه:

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...﴾ (٤٠) [التوبة]. ولما قال أصحاب موسى عليه السلام:

إِنَّا لَمَدْرُكُونَ، قال: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (٦٢) [الشعراء].

ومن أسباب النجاة: العودة إلى صادق الأخوة الإيمانية، ومن لوازمها أن يوالي بعضنا بعضاً، فإذا رأيت أخوة بلا إيمان فاعلم أنها مصلحة، وإذا رأيت إيماناً

(١) البخاريّ "صحيح البخاري" (٢م/٤ج/١٩٠ ص) كتاب المناقب.

بلا أخوة فاعلم أنه إيمانٌ ناقص.

ومن لوازمها ألا يشوبها شيء من الحقد والضغن والكرامية والتحاسد والتدابير لأنفها الأسباب وأهونها، فما أقبح القلب العليل، والفكر الكليل! وما أجمل سلامة الصدر، والودّ القويم! وكفى ناهياً وواعظاً قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٩) [الشعراء].

وقد جمع الصحابة رضي الله عنهم بين الصُّحبة والأخوة، ولم يبق لنا إلا الأخوة، فلنكن إخواناً، وأي خير فيمن لا أخوة له؟! قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾ (١٠) [الحجرات]، وقال صلى الله عليه وسلم: "وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا"^(١).
واعلم أن عباد الله متى كانوا إخواناً، جمع الله تعالى بينهم، وألف بين قلوبهم، ومتى لم يكونوا كذلك، فرّق الشيطان شملهم، وألقى العداوة بينهم.

من معالم الهدى في الفتن

من معالم الهدى في الفتن اجتنابها والابتعاد عنها، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن السعي في الفتن، فقال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنَّبَ الْفِتْنَ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهَا"^(٢) (٣).

(١) البخاريّ "صحيح البخاري" (م٤/ج٧/ص٨٨) كتاب الأدب.

(٢) كلمة للتلهّف، وقد توّضع موضّع الإعجاب بالشيء: "لسان العرب" (ج١/ص٢٥٦).

(٣) ابن أبي داود "سنن أبي داود" (ج٥/ص٢٠/رقم٤٢٦٢) كتاب الفتن، وإسناده صحيح وصحّحه الألباني في "الصّحيحة" (م٢/ص٧٠٣/رقم٩٧٥) المكتب الإسلامي، وصحّحه في "مشكاة المصابيح" (ج٣/ص١١/رقم٥٤٠٥).

ويلاحظ التوكيد اللفظي، وفائدته تقرير المؤكّد وتمكينه في النفس مبالغة في تأكيد الابتعاد عن الفتنة. وحرّي بمن ابتلي بها أن يصبر على الأذى، فإن صبر فطوبى له، فليس أطيب حينها من الصبر وسعة الصدر!

ويلاحظ في الفتن انشغال النَّاس بها، وترك العبادة، فمن معالم الهدى حينئذ الانقطاع إلى عبادة الله، ولذلك قال ﷺ: "الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ" (١).
وسبب فضل العبادة في الهرج وكثرة الثَّواب أن أكثر النَّاس ينشغلون عنها ويغفلون ويذهلون. فمن فرَّ بدينه واعتصم بالله تعالى، ولزم أمراً قد أغفله النَّاس، فأجره كأجر المهاجر إلى النَّبِيِّ ﷺ، وفيه فضيلة ظاهرة للمهاجرين، وما فازوا به من الأجر العظيم.

وقد جاء فضل الهجرة صريحاً في الكتاب والسُّنة، فمما جاء في التَّنزيل، قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِعًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء].

ومما جاء في السُّنة ما أخرجه مسلم عن ابنِ شَاسَةَ الْمَهْرِيِّ من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما جاء يبائع النَّبِيَّ ﷺ وأراد أن يشترط أن يُغفرَ له، فقال له النَّبِيُّ ﷺ:

"أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا،

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٩م/١٨ج/١٨ص/٨٨) كتاب الفتن.

وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِيكُمْ مَا كَانَ قَبْلَهُ"^(١). فهذه الأعمال الثلاثة تُسْقِطُ الذُّنُوبَ الَّتِي تَقَدَّمَتْهَا
وَتَجِبُهَا كُلُّهَا.

ومن معالم الهدى أن يجتنب المسلم العجلة والخفَّة والإسراع إلى الفتن،
وَيَلْزِمُ التَّوَدَّةَ وَالتَّائِيَّ وَالرَّفْقَ وَالسَّكِينَةَ وَالأَنَاءَ، فالعجول زاده الخطأ، فَقَلَّ مَنْ
عَجَلَ فِي أَمْرٍ إِلَّا أخطأ قصد السَّبِيلِ.

أخرج البخاري في الأدب المفرد وصيَّة للخليفة عليٍّ عليه السلام بإسناد صحيح
عن حكيم، قال سمعت عليًّا عليه السلام، يقول: " لا تَكُونُوا عَجَلًا"^(٢)، مَذَابِيعِ^(٣)
بُذْرًا^(٤)، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ بِلَاءٌ مُبْرَحًا مُكَلِّحًا^(٥)، وَأُمُورًا مَتَاهِلَةً رُدْحًا"^(٦).

بدأ عليٌّ عليه السلام وصيَّته بالتَّهْيِ عن العجلة في ملابسة الفتن، لأنَّ الفتنَةَ مَنْ
تَشَوَّفَ وَتَطَلَّعَ إِلَيْهَا تَدْعُوهُ إِلَى الْوُقُوعِ فِيهَا، وَتَصِيْبُهُ بِشُرُورِهَا، قَالَ عليه السلام: " سَتَكُونُ
فِتْنٌ: الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ
مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُدْ بِهِ"^(٧).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إنها ستكون هنأت وأمور مشبهات،

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (١م/١ج/٢ص/١٣٨) كتاب الإيمان.

(٢) من العجلة.

(٣) جمع مذابح، وهو من أذاع الشيء.

(٤) لا يكتم سرًّا.

(٥) يجعل الناس كالحين عابسين.

(٦) البخاري "الأدب المفرد" (ص١٥٥/رقم٣٢٧) كتاب حسن الخلق، باب العيَّاب.

(٧) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٤ج/١٧٧) كتاب المناقب.

فعليك بالتَّوَدُّةِ؛ فتكون تابعاً في الخير، خير من أن تكون رأساً في الشَّرِّ" (١).

ومن معالم الهدى والعصمة أن يمسك المرء لسانه سبباً في زمن الفتن؛ فالفتنة مَبْدَاها باللسان، ووقع اللسان فيها أشدُّ من السنان، وقد سأل عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، وقال له يا رَسُولَ اللَّهِ، ما النَّجَاةُ؟ قال: "أَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسْعَكَ بَيْتُكَ، وَأَبِكْ عَلَى خَطِيئَتِكَ" (٢).

وعن عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه، قال: "والله الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ شَيْءٌ أَحْوَجُ إِلَى طُولِ سَجْنٍ مِنْ لِسَانٍ" (٣).

ومن معالم الهدى معرفة سبيل المجرمين من سبيل المؤمنين خوفاً من الوقوع في سبيلهم، وقد فصل الله تعالى في كتابه السَّيْلِينَ؛ ليستبين العبد الخير مِنَ الشَّرِّ، والضَّلَالِ مِنَ الْهُدَى، والمعروف من المنكر، والسُّنَّةَ مِنَ الْبِدْعَةِ، والحلال مِنَ الْحَرَامِ، والجاهلية من الإسلام، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَيَّاتِ وَلِنَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام] ، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى...﴾ [النساء] .

وليس لأحد حجة، فقد هدى الله الإنسان النجدين، ويُنَّ له سبيل الخير والشَّرِّ، وطريق السَّعَادَةِ والشَّقَاءِ فِي الدَّارَيْنِ، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [١٠]

(١) ابن أبي شيبة "مصنف ابن أبي شيبة" (ج٨/ص ٦٠٤) كتاب الفتن .

(٢) أحمد "المسند" (ج١٦/ص ٢٤٤/رقم ٢٢١٣٦) وإسناده حسن .

(٣) أبو نعيم "حلية الأولياء" (م١/ص ١٣١) رواه الطبراني موقوفاً بإسناد صحيح .

[البلد]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ ﴿٢﴾ .
[الإنسان] .

ومن معالم الهدى أن تأتي إلى الناس الذي تُحِبُّ أن يُؤْتُوهُ إِيَّاكَ، وأن تدع الناس مما كَرِهْتَ لِنَفْسِكَ، ففي حديث الفتنة التي يرقق بعضها بعضاً، قال النَّبِيُّ ﷺ: " وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوْهَامِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنَكِّرُوهَا، وَتُجَيِّئُ فِتْنَةً فَيَرْقُقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتُجَيِّئُ الْفِتْنَةَ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتُجَيِّئُ الْفِتْنَةَ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْحَرَ عَنِ النَّارِ، وَيَدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ" (١) .

وقفات وبعثات الفتنة

قال حذيفة بن اليمان ؓ: "إِنَّ لِلْفِتْنَةِ وَقَفَاتٍ وَبَعَثَاتٍ" (٢)، فإن استطعت أن تموتَ في وقفاتها فافعلْ" (٣) .

مثل الفتنة

كان يقال: مثل الفتنة كمثل الدرهم الزئيف يأخذه الأعمى ويراه البصير .
وضربوا مثلاً للفتنة بثلاثة نفر اضطحبوا في سفرٍ، فساروا ليلاً فاجتمعوا إلى مفريقٍ ثلاثة، فقال أحدهم: يَمَنَّةٌ فَأَخَذَ يَمَنَّةً فَضَلَّ الطَّرِيقَ، وَقَالَ الْآخَرُ: يَسْرَةٌ فَأَخَذَ يَسْرَةً

(١) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٦م/ج ١٢/ص ٢٣٣) كتاب الإمارة.

(٢) وقفاتها إغمام السيف، وبعثاتها سلّه وإشهاره .

(٣) ابن أبي شيبه "مصنّف ابن أبي شيبه" (ج ٨/ص ٥٩٣)، وابن حمّاد "الفتن" (ج ١/ص ٧٥).

فَضَّلَ الطَّرِيقَ، وَقَالَ الثَّالِثُ : أَلَزِمَ مَكَانِي حَتَّى أُصْبِحَ فَأَخَذَ الطَّرِيقَ فَأَصْبَحَ فَأَخَذَ الطَّرِيقَ.

من شهد الفتنة كارها ومن غاب عنها فرضيها

بكرهية القلب للمنكر تَبْرَأُ ذِمَّةُ الْعَبْدِ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الْإِنْكَارَ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَهِدَهَا فَكْرِهَهَا، كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيهَا، كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا " (١).

الله الله في الدماء!

كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي آدَمَ، فَقَالَ ﷺ : ﴿ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ... ﴾ (٧٠) ﴿ [الإسراء] وزاده تكريماً بتقواه، فقال : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ... ﴾ (١٣) ﴿ [الحجرات].

وَلِذَلِكَ عَظَّمَ اللَّهُ تَعَالَى قَتْلَ الْمُؤْمِنِ، فَقَالَ : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (١٣) [النساء]. وقال ﷺ : " لَرَوَالِ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ " (٢).

(١) أبو داود "سنن أبي داود" (ج٤/ص١٢٤/رقم٤٣٤٥) وحسنه الألباني في المشكاة (ج٣/ص١٤٢٢/رقم٥١٤١).

(٢) الترمذي "سنن الترمذي" (ج٤/ص١٦) أبواب الديات، رواه مرفوعاً وموقوفاً ورجح الموقوف. وصححه الألباني في "غاية المرام" (ص٢٥٣/رقم٤٣٩).

فَمِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي يَصْعَبُ الْمَخْرَجُ مِنْهَا أَنْ تَصِيبَ دَمًا حَرَامًا بِغَيْرِ حَلِّهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: " لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا" (١).

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي الدَّمَاءِ، فَإِنَّمَا أَوَّلُ مَا يُقْضَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِعَظَمِ أَمْرِهَا، وَشِنَاعَةِ شَرِّهَا، قَالَ ﷺ: " أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدَّمَاءِ" (٢). وَمَنْ امْتَحَنَ بِإِهْرَاقِ مِلءٍ مُجْجَمٍ مِنْ دَمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَسِعِرَفَ شِنَاعَةَ ذَلِكَ ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ (١) [الطَّارِقِ].

فَلِيَحْذَرَ مَنْ يَقْتَرِفُ بِجَهْلِهِ إِثْمًا مَبِينًا وَظُلْمًا عَظِيمًا، وَيَذْهَلُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً...﴾ (١٤) [النِّسَاءِ]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...﴾ (٣٢) [الْمَائِدَةِ].

أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ

أَفْلَحَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ مَنْ كَفَّ فِكَّهُ وَكَفَّيَهُ فِي الْفِتْنَةِ، رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: " وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ أَمْرِ قَدْ اقْتَرَبَ، أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ" (٣) أَي فِي الْفِتْنَةِ.

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٤م/٨ج/٣٥) كتاب الذبائح.

(٢) مسلم "صحيح مسلم بشرح النووي" (٦م/١١ج/١٦٧) كتاب القسامة.

(٣) أحمد "المسند" (٩ج/٩ص/٢٨٣ رقم/٩٦٥٢) وإسناده على شرط الشيخين، وصححه

الألباني في "المشكاة" (٣ج/١١ص/٥٤٠٤) وقال رواه: أبو داود وإسناده صحيح.

الغاية

مِنْ أَحَبِّ الْخُطَى إِلَى اللَّهِ تَعَالَى خُطَى تَسْعَى فِي رَأْبِ الصَّدْعِ، وَإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَلَمْ الشَّعْثَ، وَجَمَعَ الشَّمْلَ.

إِنَّ الْإِصْلَاحَ مِنْ عَمَلِ الْمُرْسَلِينَ، قَالَ شُعَيْبٌ رضي الله عنه: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (٨٨) ﴿هُود﴾، وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴿الْأَعْرَافِ﴾. وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه: أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَلَوْا حَتَّى تَرَامُوا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: "أَذْهَبُوا بِنَا نُصَلِّحْ بَيْنَهُمْ" (١).

وَلَا يَتَصَدَّرُ لِإِصْلَاحِ الْحَالِ وَالْمَالِ إِلَّا الَّذِينَ وَقَّهَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَصَفَتْ قُلُوبُهُمْ. وَالآيَاتُ الْكَرِيمَةُ وَالْأَحَادِيثُ الشَّرِيفَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِصْلَاحَ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ مِنَ الْخِلَافِ، وَفِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه مَا يَشْهَدُ لَذَلِكَ، قَالَ ﷺ: "إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (٢).

وَإِذَا ذُكِرَ الْإِصْلَاحُ ذُكِرَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها زَوْجَ سَيِّدِ الْمَصْلِحِينَ وَإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ رضي الله عنه، فَهِيَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَدَبَ إِلَى الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَقَالَ: ﴿أَنْ تَبْرُوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ...﴾ (٣٢٤) ﴿الْبَقَرَةَ﴾، وَيَبَيِّنُ ثَوَابَهُ، فَقَالَ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ

(١) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٣/ج ١٦٦) كتاب الصلح.

(٢) البخاري "صحيح البخاري" (٤م/٨/ج ٩٩) كتاب الفتن.

أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٣﴾ [النساء].

وانظر كيف قرَنَ الله بين التَّقوى والإصلاح، فقال: ﴿فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف]، وقرَنَ بين الإيثار والإصلاح،
فقال: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنعام] فلا يقوم
به إلا مؤمن تقيّ .

وما زال هناك مَنْ يكذب المصلح ، ويصدق المفسد، وقد قال النبي ﷺ :
" لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ ، فَيَنْمِي خَيْرًا ، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا " (١) .

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران].

اللَّهُمَّ اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيامنا يوم لقائك، اللهم تَوَفَّنَا
مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ.

اللَّهُمَّ احشُرْنَا مع زمرة نبيِّنا وتحت لواء حبيِّنا ﷺ، واجعل عملنا هذا
ذخيرة نجدها: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا... ﴿٣٠﴾﴾

[آل عمران]، وآخر دعوانا ﴿أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس].



(١) البخاري "صحيح البخاري" (٢م/٣ج/١٦٦) كتاب الصلح.

المصادر والمراجع

- ١- آداب الرّفاف : محمّد ناصر الدّين الألباني. دار عمر بن الخطّاب، ط٣.
- ٢- أثر علل الحديث في اختلاف الفقهاء : ماهر ياسين. دار عمّار، عمّان، ط٢، ١٤٣٠هـ.
- ٣- أحكام القرآن : ابن العربي، تحقيق علي البجاوي. دار إحياء الكتب العربيّة، ١٣٧٧هـ.
- ٤- إحياء علوم الدّين : أبو حامد، محمّد الغزالي. دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- ٥- أخوة الإسلام فوق مستوى الخلافات : محمّد الحكمي. مكتبة الإرشاد، اليمن، ومكتبة جدة، السعودية، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- ٦- إرواء الغليل : الألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٧- أسباب النزول : النّيسابوري. دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ٨- استشهاد عثمان ووقعة الجمل : د. خالد الغيث. دار الإبيان، إسكندريّة، ط٢.
- ٩- أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني، تحقيق د. محمّد الاسكندراني. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ١٠- أصحاب الرّسول ﷺ : محمود المصري. مكتبة الصّفا، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ١١- إغاثة اللّهمان من مصائد الشّيطان : ابن قيم الجوزيّة، تحقيق محمّد الفقي. دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- ١٢- اقتضاء الصّراط المستقيم : ابن تيمية. دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- ١٣- الإتقان في علوم القرآن : السيوطي. دار الكتب العلميّة بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- ١٤- الإجابة لإيراد ما استدرسته عائشة على الصّحابة : بدر الدّين الزّركشي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ١٥- الأدب المفرد : البخاري، تحقيق علي عبد الباسط. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

- ١٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب : ابن عبد البر، تحقيق علي البجاوي، مكتبة نهضة مصر.
- ١٧- الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني. دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٨- الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل : بهجت عبد الواحد . دار الكتب العلمية ، بيروت، ودار الفكر، عمّان، ط ٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- ١٩- الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة : محمّد الجياني ، تحقيق د. محمّد حسن. دار الجليل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- ٢٠- الإمام عليّ رابع الخلفاء الراشدين : محمّد رضا، تحقيق د. أحمد عوض. المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- ٢١- الأنصار في العصر الراشدي : د. حامد الخليفة. مكتبة الصحابة، الشارقة، ومكتبة التابعين، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ٢٢- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: ابن كثير، شرح أحمد شاكر، تحقيق محمّد صبحي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ٢٣- البحر المحيط : أبو حيّان التّوحيديّ . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ٢٤- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد : ابن عجيبة الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ٢٥- البداية والنهاية : ابن كثير. مكتبة المعارف، بيروت، ط ٢، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- ٢٦- البرهان في توجيه متشابه القرآن : محمود بن حمزة الكرماني ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا. دار الكتب العلمية، لبنان ، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٢٧- البعث والنشور : البيهقي، تحقيق عامر أحمد . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٢٨- البيان والتبيين : عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق فوزي عطوي. الشركة اللبنانيّة للكتاب، بيروت، ١٩٦٨م.

- ٢٩- التّاريخ الأوسط والصّغفاء الصّغير: البخاري، ضبط د. يحيى مراد. دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- ٣٠- التّربية عند الإمام الشّاطبي: د. يوسف القرضاوي. مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ.
- ٣١- التّطبيق الصّرفي: د. عبده الرّاجحي. دار التّنهضة العربيّة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ٣٢- التّعليقات الحسان على صحيح ابن حَبّان: الألباني، دار باوزير، جدة، ط١، ١٤٢٤هـ.
- ٣٣- إلهام العوام عن علم الكلام: محمّد الغزالي، تحقيق محمّد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
- ٣٤- الجامع لشعب الإيمان: البيهقي، تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد. الدّار السّلفيّة، الهند، إصدار وزارة الأوقاف، قطر، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ٣٥- الجرح والتّعديل: عبد الرّحمن بن أبي حاتم الرّازي، تحقيق مصطفى عبد القادر. دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- ٣٦- الجواب الكافي فيمن سُئل عن الدّواء الكافي: ابن قيم الجوزيّة، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكّة المكرّمة، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ٣٧- الحاوي في الفتاوي: جلال الدّين السيوطي. دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- ٣٨- الحجّة على تارك المَحجّة: إسماعيل محمّد الأصبهاني، تحقيق محمّد المدخلي. دار التّراية، الرّياض، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- ٣٩- الخلفاء الرّاشدون: د. أمين القضاة. دار الفرقان، عمّان، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ٤٠- الدّرر اللوامع على همع الهوامع: أحمد بن الأمين السّنقيطي. دار المعرفة، بيروت.
- ٤١- الدّولة الأمويّة المقتري عليها: د. حمدي شاهين. دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠١م.
- ٤٢- الرّحيق المختوم: المباركفوري. مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ.

- ٤٣- الرّدّ على من أخلد إلى الأرض: السيوطي، تحقيق خليل الميس. دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
- ٤٤- الرّصف لما روي عن النبيّ ﷺ من الوصف: ابن العاقولي، محمّد الواسطي، تحقيق محمّد الشّافعي. دار الكتب العلميّة، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ٤٥- الرّقة والبكاء: ابن أبي الدنيا، تحقيق محمّد خير. دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-.
- ٤٦- الرّوح: ابن القيم الجوزيّة، تحقيق د. السيّد الجميلي. دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط٧، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ٤٧- السّراج المنير: محمود صالح البغدادي. دار عمّار، عمّان، ط١، ١٤٣٠هـ.
- ٤٨- السّمط الثّمين: محبّ الدّين الطّبري، مكتبة الكلّيّات الأزهرية، القاهرة.
- ٤٩- السّنة: لأبي بكر الخلال، تحقيق د. عطية الزّهراني، دار الرّاية، الرّياض، ط١، ١٤١٠هـ.
- ٥٠- السنن الكبرى: البيهقي. دائرة المعارف، حيدر أباد، الهند، ١٣٥٤هـ.
- ٥١- السنن الكبرى: السّائي، تحقيق حسن شلبي، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- ٥٢- السيّدة عائشة أمّ المؤمنين: عمرو الشّاعر. مكتبة النّافذة، الجيزة، ط١، ٢٠١٠م.
- ٥٣- السيّدة عائشة وتوثيقها للسّنة: جيهان رفعت. مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ.
- ٥٤- السيّدة عائشة: عبد الحميد طهماز. دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- ٥٥- السّيف المسلول على من سبّ الرّسول: تقي الدّين علي السّبكيّ، تحقيق إياد الغوج. دار الفتح، الأردن، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- ٥٦- الشّفا: القاضي عياض، تحقيق نوّاف الجّراح. دار صادر بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ٥٧- الصّارم المسلول على شاتم الرّسول ﷺ: ابن تيمية، خرّج أحاديثه أحمد شعبان. مكتبة الصّفا، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

- ٥٨- الصّحوة الإسلاميّة بين الجحود والتّطرف : د. يوسف القرضاوي . مؤسّسة الرّسالة، ط٦، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- ٥٩- الصّحيح المسند من فضائل الصّحابة: مصطفى العدوي. دار ابن عبّان، الخبر، ط٢، ١٤١٩هـ
- ٦٠- الصّديقة بنت الصّديق : عبّاس محمود العقّاد. دار المعارف ، مصر.
- ٦١- الصّمت وحفظ اللّسان : ابن أبي الدّنيا ، تحقيق د. محمّد عاشور. دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٦٢- الصّواعق المحرقة: الهيتمي، تحقيق عبد الوهّاب عبد اللّطيف، مكتبة القاهرة، ط٢، ١٣٨٥هـ.
- ٦٣- الطّبقات الكبرى: ابن سعد. دار بيروت، ودار صادر، بيروت، ١٣٧٧هـ.
- ٦٤- العقائد الإسلاميّة : السيّد سابق. دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٦٥- العواصم من القواصم : ابن العربي، تحقيق محبّ الدّين الخطيب. المكتبة العصريّة، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- ٦٦- الفتاوى الكبرى : ابن تيمية، تحقيق محمّد عبد القادر، ومصطفى عبد القادر. دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- ٦٧- الفتن : نعيم بن حمّاد، تحقيق سمير الزّهيري . مكتبة التوحيد، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ.
- ٦٨- الفتنة بين الصّحابة : محمّد حسان. مكتبة فيّاض، المنصورة، ط١، ١٤٢٨هـ.
- ٦٩- الفِصل في الملل والأهواء والنّحل : ابن حزم الأندلسي، وضع حواشيه أحمد شمس الدّين. دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ٧٠- الفقه على المذاهب الأربعة : عبد الرحمن الجزيري، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٠هـ.
- ٧١- الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن : ابن قيم الجوزيّة. دار ومكتبة الهلال، بيروت.
- ٧٢- الكامل في ضعفاء الرّجال : عبد الله بن عدي الجرجاني، تحقيق د. سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

- ٧٣- الكشف المبين : أحمد بن محمد الثعلبي . دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ٧٤- الكفاية في علم الرواية: الخطيب البغداديّ، أحمد بن عليّ. المكتبة العلميّة، المدينة.
- ٧٥- المبشرات بانتصار الإسلام: د. يوسف القرضاوي . مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٠هـ .
- ٧٦- المدخل إلى توثيق السنّة: د. رفعت فوزي . مؤسّسة الخانجي، مصر، ط١، ١٣٩٨هـ.
- ٧٧- المستدرك على الصّحّيحين: الحاكم . مكتبة ومطابع النّصر الحديثة، الرياض.
- ٧٨- المستقبل لهذا الدّين : سيّد قطب. دار الشّروق، ط٦، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٧٩- المسند : أحمد بن حنبل، شرحه أحمد شاكر وحزمة الزّين. دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ٨٠- المصنّف: الصّنعاني، تحقيق الأعظمي. المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٣٩٢هـ.
- ٨١- المطالب العالمة بزوائد المسانيد الثّمانيّة : ابن حجر العسقلانيّ، تحقيق عبد القادر عبد الكريم. دار العاصمة، ودار الغيث، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ٨٢- المعجم الأوسط: الطّبراني، تحقيق محمد حسن الشّافعي. دار الفكر، عبّان، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ٨٣- المعجم الكبير: الطّبراني، تحقيق حمدي السّلفي. مطبعة الوطن العربي، ط١، ١٤٠٠هـ.
- ٨٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن : محمّد فواد. دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ٨٥- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربيّة، دار عمران، مصر، ط٣.
- ٨٦- المغني في الصّغفاء: الذّهبي، تحقيق حازم القاضي. دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- ٨٧- الملامح الجغرافيّة لدروب الحجيج : سيّد عبد المجيد بكر . تهامة، جدّة، ط١، ١٤٠١هـ.
- ٨٨- المنار المنيف في الصّحيح والصّحيح : ابن قيّم الجوزيّة، تحقيق أحمد عبد الشّافي. دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٨٩- المنجد في اللّغة والأعلام: دار المشرق، بيروت، ط٢٨، ١٩٨٦م.

- ٩٠- الموضوعات : ابن الجوزي، عبد الرحمن محمد. المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط ١، ١٣٨٦ هـ.
- ٩١- الموطأ : مالك بن أنس. جمعية مكة الإسلامي، القاهرة، ١٤٢١ هـ.
- ٩٢- النسخ والنسخ : ابن العربي المالكي . دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧ هـ- ٢٠٠٦ م.
- ٩٣- النحو وكتب التفسير : د. إبراهيم عبد الله. المنشأة العامة، طرابلس، ط ٢، ١٩٨٤ م.
- ٩٤- النكت على العمدة : الزركشي. مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٣ هـ.
- ٩٥- بحر العلوم : السمرقندي، د. محمود مطر جي. دار الفكر، بيروت.
- ٩٦- بدائع الفوائد : ابن قيم الجوزية. مكتبة نزار مصطفى، مكة المكرمة، ط ١٩٩٨ هـ- ٢، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م.
- ٩٧- برد الأكباد عند فقد الأولاد : ابن ناصر الدين الدمشقي، ضبط مشهور حسن. دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م.
- ٩٨- بستان الواعظين ورياض السامعين : ابن الجوزي، تقديم د. السيد الجميلي. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م.
- ٩٩- تاريخ ابن خلدون : ابن خلدون. مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩١ هـ.
- ١٠٠- تاريخ الإسلام : د. حسن إبراهيم. دار الفكر، ط ١٣، ١٤١١ هـ- ١٩٩١ م.
- ١٠١- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : الذهبي، تحقيق د. عمر عبد السلام. دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٤١١ هـ- ١٩٩١ م.
- ١٠٢- تاريخ الأمم والملوك : محمد بن جرير الطبري، مكتبة أرومية.
- ١٠٣- تاريخ الخلفاء : السيوطي. دار القلم، بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦ م.
- ١٠٤- تاريخ اليعقوبي : اليعقوبي. مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٣ هـ.
- ١٠٥- تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي. دار الكتب العربي، بيروت.

- ١٠٦- تاريخ خليفة بن خياط: خليفة بن خياط العصفري. مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار القلم، دمشق، ط٢، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
- ١٠٧- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، تحقيق عمر العمروي. دار الفكر، ط١، ١٤١٨هـ.
- ١٠٨- تاريخ واسط: أسلم بن سهل، تحقيق كوركيس عواد. عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- ١٠٩- تاريخنا المفترى عليه: القرضاوي. دار الشروق، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦م.
- ١١٠- تأويل مختلف الحديث: ابن قتيبة، تحقيق رضی فرج الهمامي، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ.
- ١١١- تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، تحقيق السيد أحمد. المكتبة العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٠١هـ.
- ١١٢- تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة: د. محمد أمزون. دار طيبة ومكتبة الكوثر، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- ١١٣- تذهيب تهذيب الكمال: اللذهبي. دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ١١٤- تفسير الطبري: الطبري، تهذيب د. صلاح الخالدي. دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٨هـ.
- ١١٥- تقريب التهذيب: ابن حجر، تحقيق محمد عوامة. دار الرشيد، سوريا، ط٤، ١٤١٢هـ.
- ١١٦- تلبیس إبليس: ابن الجوزي. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٤، ١٤١٧هـ.
- ١١٧- تليح فهوم الأثر: ابن الجوزي. شركة دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ١١٨- تمييز الطيب من الخبيث: عبد الرحمن بن الديق. دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- ١١٩- تهذيب الأسماء واللغات: النّوي، تحقيق علي محمد. دار النّوائس، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.
- ١٢٠- تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية: أ.د عبد الله الجبرين. دون دار نشر، ط١، ١٤٢٥هـ.
- ١٢١- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبد الله، تحقيق زهير الشاويش. المكتب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
- ١٢٢- جامع الدروس العربية: مصطفى الغلاييني. المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ.

- ١٢٣- جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي، تحقيق د. محمد الأحمدي. دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- ١٢٤- جامع بيان العلم وفضله: محمد بن عبد البر، حققه أبو الأشبال الزهيري. دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ١٢٥- جلاء الإفهام: ابن قيم الجوزية، تحقيق الأرئووط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٩هـ.
- ١٢٦- جواهر الأدب: الهاشمي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- ١٢٧- حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين: مجموعة من العلماء. وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ١٢٨- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أحمد بن عبد الله الأصفهاني، تحقيق سعيد سعد الدين. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- ١٢٩- حياة محمد ﷺ: محمد حسين هيكل، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط١٣.
- ١٣٠- دراسات في عهد النبوة والخلافة: د. عبد الرحمن شجاع. دار الفكر، اليمن، ط١، ١٤١٩هـ.
- ١٣١- دلائل النبوة: البيهقي، تحقيق عبد المعطي قلجعي. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ١٣٢- ديوان أبي الطيب المتنبي: شرح عبد الرحمن البرقوقي، تحقيق عمر الطباع. دار الأرقم، بيروت
- ١٣٣- ديوان الإمام الشافعي: شرح د. عمر الطباع. دار الأرقم، بيروت.
- ١٣٤- ديوان الباكتين: شرح د. يوسف عيد. دار الجليل، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ١٣٥- ديوان أمير المؤمنين علي ﷺ: شرح د. عمر الطباع. دار الأرقم، بيروت.
- ١٣٦- ديوان حسان بن ثابت ﷺ: تحقيق عبد الله سنده. دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ١٣٧- ديوان مجد الإسلام: أحمد محرم. مكتبة الفلاح، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

- ١٣٨- رفع الملام عن الأئمة الأعلام : ابن تيمية. دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- ١٣٩- روائع البيان : محمد علي الصّابوني. مكتبة الغزالي، دمشق، ط٣، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- ١٤٠- زاد المسير في علم التّفسير : ابن الجوزي . دار الفكر، بيروت لبنان ، ط١، ١٤٠٧هـ.
- ١٤١- زاد المعاد : ابن قيم الجوزيّة، تحقيق شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- ١٤٢- زهر الآداب وثمر الألباب: القيرواني، تحقيق د. زكي مبارك. دار الجيل، بيروت، ط٤.
- ١٤٣- سلسلة الأحاديث الصّحيحة : الألباني. المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٥هـ. والدار السلفيّة، الكويت، ط١، ٣٣٩١هـ. ومكتبة المعارف، الرّياض، ط١، ١٤١٦هـ.
- ١٤٤- سلسلة الأحاديث الصّعبة والموضوعة: الألباني. مكتبة المعارف، الرّياض، ط١، ١٤٢١هـ.
- ١٤٥- سنن ابن ماجة : ابن ماجة، تحقيق د. بشّار عواد. دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- ١٤٦- سنن أبي داود : أبو داود ، تحقيق محمّد عوّامة . دار القبله، مكّة، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- ١٤٧- سنن الترمذي : الترمذي، تحقيق : أحمد شاكر. مطبعة مصطفى الباي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ.
- ١٤٨- سنن النسائي : شرح جلال الدّين السيوطي . المكتبة العلميّة، بيروت.
- ١٤٩- سير أعلام النّبلاء: الدّهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرّسالة بيروت.
- ١٥٠- سير النّبلاء: الحافظ الدّهبي، تحقيق سعيد الأفغاني ، دار الفكر، بيروت ، ط٢، ١٣٩٠هـ.
- ١٥١- سيرة السيّدة عائشة أمّ المؤمنين ﷺ: سليمان النّدي. دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ.
- ١٥٢- سيرة أمير المؤمنين عليّ ﷺ: د. علي الصّلاحي، دار الكتاب الثّقافي، الأردن .
- ١٥٣- شذرات الدّهب: ابن العماد، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط. دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ.
- ١٥٤- شرح ابن عقيل على الفيّة ابن مالك: ابن عقيل. دار الفكر، بيروت، ١٤١١هـ.

- ١٥٥- شرح العقيدة الطحاوية : ابن أبي العزّ الحنفي، خرّج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، ط ٥، ١٣٩٩هـ.
- ١٥٦- شرح المعلقات العشر: أحمد الشنقيطي. دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
- ١٥٧- شرح ديوان كعب بن زهير رضي الله عنه: أبو سعيد السكري. الدار القومية، القاهرة.
- ١٥٨- شرح رياض الصّالحين: محمد بن صالح العثيمين. دار الوطن، ط ١، ١٤١٦هـ.
- ١٥٩- شرح نهج البلاغة: عبد الحميد بن أبي الحديد. دار مكتبة الحياة، بيروت.
- ١٦٠- شفاء العليل: ابن القيم الجوزية. دار المعرفة، بيروت.
- ١٦١- شهيد الدار عثمان بن عفّان رضي الله عنه: أحمد محمود. دار عمّار، عمّان، ط ١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ١٦٢- صحيح ابن حبان: محمد بن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- ١٦٣- صحيح الأدب المفرد: البخاري، تحقيق الألباني، دار الصديق، ط ٤، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ١٦٤- صحيح البخاري: محمد بن إسحاق البخاري. دار الفكر، ١٤٠١هـ.
- ١٦٥- صحيح الجامع الصغير وزياداته: محمد ناصر الدين، المكتب الإسلامي.
- ١٦٦- صحيح السيرة النبوية: الألباني. المكتبة الإسلامية، عمّان، ط ١، ١٤٢١هـ.
- ١٦٧- صحيح سنن ابن ماجة: الألباني. مكتب التربية، ط ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
- ١٦٨- صحيح سنن الترمذي: الألباني. مكتبة التربية، الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- ١٦٩- صحيح سنن النسائي: الألباني. مكتبة التربية، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- ١٧٠- صحيح مسلم بشرح النووي: يحيى بن شرف. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- ١٧١- صفوة التّفاسير: الصّابوني. دار القرآن الكريم، بيروت، ط ٤، ١٤٠٢هـ.

- ١٧٢- صور من حياة الصحابة: د. عبد الرحمن. دار النفائس، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ١٧٣- صيد الخاطر: ابن الجوزي. المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط٤، ١٤١٦هـ.
- ١٧٤- ضعيف سنن الترمذي: ضعف أحاديثه الألباني، المكتب الإسلامي، ١٤١١هـ.
- ١٧٥- ضوابط التكفير: عبد الله القرني. مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ١٧٦- طهارة بيت النبوة: خالد الشايع. دار الجلالين، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
- ١٧٧- عائشة رضي الله عنها معلمة الرجال والأجيال: محمد علي قطب. مكتبة القرآن، القاهرة.
- ١٧٨- عائشة رضي الله عنها والسياسة: سعيد الأفغاني. دار الفكر، بيروت.
- ١٧٩- علم أصول الفقه: عبد الوهاب خلاف. دار القلم، الكويت.
- ١٨٠- عمرو بن العاص رضي الله عنه: عباس محمود العقاد. شركة نهضة مصر، ط٢، ٢٠٠٥م.
- ١٨١- عمرو بن العاص رضي الله عنه: بسام العسلي. دار النفائس، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ.
- ١٨٢- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام: الألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.
- ١٨٣- فتاوى الشيخ كشك: عبد الحميد كشك. دار المختار الإسلامي، القاهرة.
- ١٨٤- فتاوى علماء البلد الحرام: د. خالد الجريسي. مؤسسة الجريسي، الرياض، ط٣، ١٤٢٧هـ.
- ١٨٥- فتح الباري: ابن حجر. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- ١٨٦- فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني. دار الخير، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ١٨٧- فتنه مقتل عثمان رضي الله عنه: د. محمد الغبان. مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- ١٨٨- فصل الخطاب في مواقف الأصحاب: محمد الغرسي. دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ١٨٩- فضائل مكة: عاتق البلادي. دار مكة، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

- ١٩٠- فقه السنّة: السيّد سابق. دار الكتاب العربي، بيروت، ط٨، ١٤٠٧هـ.
- ١٩١- فقه السيرة النبويّة: د. محمّد سعيد البوطي. دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢٦، ١٤٢٧هـ.
- ١٩٢- فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن: ابن الجوزي، تحقيق رشيد العبيدي. مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ١٩٣- في رحاب التّفسير: عبد الحميد كشك. المكتب المصري الحديث، القاهرة.
- ١٩٤- قصّة أعظم زوجة: أحمد باويلان. دار الحضارة، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ١٩٥- كتاب أزواج النبي ﷺ: محمّد الدمشقي. دار ابن كثير، دمشق، ط٦، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
- ١٩٦- كتاب الأذكياء: ابن الجوزي، مؤسّسة الكتب الثقافيّة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- ١٩٧- كتاب الأربعين في مناقب أمّهات المؤمنين رحمة الله عليهم أجمعين: ابن عساكر، تحقيق: محمّد مطيع، غزوة بدير. دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.
- ١٩٨- كتاب التّاريخ الكبير: البخاري. دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- ١٩٩- كتاب الثّقات: ابن حبان، دائرة المعارف العثمانيّة، حيدر أباد، ط١، ١٣٩٥هـ.
- ٢٠٠- كتاب الزّهد: أحمد بن حنبل. دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٣٩٨هـ.
- ٢٠١- كتاب الضّعفاء: العقيلي، حمدي بن عبد المجيد. دار الصميغي، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- ٢٠٢- كتاب الضّعفاء الصّغير: محمّد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمود إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٢٠٣- كتاب الضّعفاء والمتروكين: ابن الجوزي، تحقيق عبد الله القاضي. دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٢٠٤- كتاب العلل ومعرفة الرّجال: أحمد بن حنبل، تحقيق د. وصي الله بن محمّد. المكتب الإسلامي، بيروت، ودار الخاني، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

- ٢٠٥- كتاب المجروحين : ابن حبان، تحقيق محمود إبراهيم، حلب، دار الوعي، ١٣٩٥هـ- .
- ٢٠٦- كتاب المراسيل : عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تعليق أحمد عصام. دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- ٢٠٧- كتاب خصائص أمير المؤمنين عليّ ؑ: النَّسائي، تحقيق أبو إسحاق الحويني. دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- ٢٠٨- كتاب رياض النفوس : عبد الله المالكي. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ- .
- ٢٠٩- كتاب عيون الأخبار : ابن قتيبة الدينوريّ. دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٨هـ- .
- ٢١٠- كتاب فضائل الصحابة : أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ- .
- ٢١١- كشف الشبهات : محمد بن عبد الوهاب، شرح محمد بن العثيمين. دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
- ٢١٢- كنز العمال : المتقي الهندي. مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.
- ٢١٣- لسان العرب : ابن منظور. دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
- ٢١٤- لسان الميزان : ابن حجر العسقلاني، اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة . دار البشائر الإسلاميّة، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- ٢١٥- لمعة الاعتقاد : محمد صالح العثيمين، تحقيق أشرف عبد المقصود. مكتبة دار طبريّة، ومكتبة أضواء السلف، الرياض، ط ٣، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
- ٢١٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حسام الدين القدسي. مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
- ٢١٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ابن تيمية. مطابع الرياض، الرياض، ط ٢، ١٩٦١م.
- ٢١٨- محمد رسول الله ﷺ : محمد الصادق. دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٥هـ- .

- ٢١٩- مختصر إتحاف السادة المهرة: البوصيري، تحقيق سيّد كسروي. دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ٢٢٠- مختصر الثمائل المحمّديّة: الترمذي، تحقيق الألباني. مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٢٢هـ.
- ٢٢١- مختصر الصّواعق المرسلّة: ابن قيم الجوزيّة، تحقيق سيّد إبراهيم. دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ٢٢٢- مروج الذهب: المسعودي. مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- ٢٢٣- مرويات معاوية في تاريخ الطّبري: د. خالد الغيث. دار الإبيان، إسكندريّة.
- ٢٢٤- مسند أبي داود: أبو داود، تحقيق د. محمّد التركي. دار هجر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ.
- ٢٢٥- مسند أبي يعلى الموصلي: أحمد بن علي التميمي، تحقيق حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- ٢٢٦- مسند البزار (البحر الزّخار): أحمد بن عمرو البزار، حقّقه جماعة. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٩٨٨م.
- ٢٢٧- مسند عائشة أمّ المؤمنين من المسند المعتبريّ بأطراف المسند الحنبليّ: ابن حجر العسقلاني، تحقيق عطاء الله السندي. دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- ٢٢٨- مشكاة المصابيح: الخطيب، تحقيق الألباني، المكتب الإسلاميّ دمشق، ١٣٨٢هـ.
- ٢٢٩- مصنّف ابن أبي شيبة: عبد الله بن أبي شيبة. دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- ٢٣٠- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: د. علي الصّلابي. دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.
- ٢٣١- معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه صحابيّ كبير: منير الغضبان، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٠هـ.
- ٢٣٢- معترك الأقران في إعجاز القرآن: السيوطي، تحقيق علي الجاوي. دار الفكر.
- ٢٣٣- معجم أسامي الرّواة: الألباني. دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

- ٢٣٤- معجم إعراب ألفاظ القرآن: د. محمد سيّد. مكتبة لبنان، ط٢، ١٩٩٨ م.
- ٢٣٥- معجم البلدان : ياقوت الحموي. دار صادر، بيروت.
- ٢٣٦- معجم شيوخ الطّبري : أكرم الفالوجي . الدّار الأثريّة، عمّان ، ط١، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.
- ٢٣٧- معرفة علوم الحديث : الحاكم. المكتبة العلميّة، المدينة المنوّرة، ط٢، ١٣٩٧ هـ- ١٩٧٧ م.
- ٢٣٨- مغني اللّيب عن كتب الأعراب : ابن هشام الأنصاريّ. المكتبة العصريّة، صيدا، ١٤١٦ هـ.
- ٢٣٩- مقدمة ابن خلدون : عبد الرّحمن بن محمّد. دار الجليل، بيروت.
- ٢٤٠- من الإعجاز اللّغوي في القرآن الكريم: محمّد متولي. ط١، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠١ م.
- ٢٤١- من كنوز السنّة : محمّد علي الصّابوني، دار الصّابوني، ط٥، ١٤٠٦ هـ.
- ٢٤٢- منهاج السنّة النّبويّة : ابن تيمية. مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩ م.
- ٢٤٣- موسوعة أطراف الحديث النّبويّ: محمّد السّعيد. عالم التّراث، بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ- .
- ٢٤٤- موسوعة أمّ المؤمنين عائشة : د. عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤٢٣ هـ.
- ٢٤٥- ميزان الاعتدال في نقد الرّجال: الذّهبي، تحقيق علي الجاوي. دار الفكر.
- ٢٤٦- نساء أنزل الله فيهنّ قرآنًا : د. عبد الرّحمن عميرة. دار اللّواء، الرّياض، ط٣، ١٤٠٣ هـ.
- ٢٤٧- نصب الرّاية لأحاديث الهداية : عبد الله بن يوسف الحنفي. دار القبلة جدّة، ط٤، ١٤١٨ هـ.
- ٢٤٨- نهج البلاغة : محمّد عبده. دار أسامة، بيروت، ١٩٨٦ م.
- ٢٤٩- نور اليقين في سيرة سيّد المرسلين : محمّد الخصري بك. مكتبة الرّسالة، عمّان .
- ٢٥٠- نيل الأوطار : محمّد بن علي الشّوكاني. دار الجليل، بيروت، ١٩٧٣ م.
- ٢٥١- وأد الفتنة : أحمد الشّوابكة، دار عمّار، عمّان، ط١، ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٤	تقديم أ.د. عبد النَّاصر أبو البصل
٧	تقديم أ.د. محمود السَّرطاوي
١٠	تقديم أ.د. أحمد نوفل
١٢	تقديم د. محمد ملكاوي
١٤	تقديم أ.د. عبد المقصود حامد
١٥	المقدّمة
٢١	القسم الأول : ترجمة عائشة ؓ
٢١	نسبها
٢١	مولدها
٢١	أمّها أمّ رومان
٢٢	أخوتها
٢٢	نشأتها
٢٥	الهجرة
٢٨	هجرتها وتحملها للمشاق
٣٠	بناء النبي ﷺ بها ﷺ ووصف زفافها
٣٢	إتيان الملك النبي ﷺ بصورة عائشة ؓ قبل أن يتزوجها في سرقة من حرير
٣٢	صفة عائشة ؓ
٣٤	صداق عائشة ؓ
٣٤	قسم النبي ﷺ لعائشة ؓ ليلتين وليلة لسائر نساءه

- ٣٥ حجرتها ﷺ
- ٣٧ صفة أثار حجرتها ﷺ
- ٣٨ نداؤه ﷺ عليها وتسميتها ﷺ
- ٤٠ العلامة التي كان يعرف بها النبي ﷺ رضاها وغضبها
- ٤١ غيرتها ﷺ
- ٤٥ فضل عائشة ﷺ على سائر النساء
- ٤٦ أحب الناس إلى النبي ﷺ عائشة ﷺ
- ٤٧ الأمر بمحبة عائشة ﷺ
- ٤٩ نزول الوحي ﷺ على النبي ﷺ في بيت عائشة ﷺ دون سائر نسائه
- ٤٩ رؤية عائشة ﷺ للوحي ﷺ على صورة دحية الكلبي ﷺ
- ٥٠ البرهان بأن جبريل ﷺ أقرأ عائشة ﷺ السلام
- ٥٠ جهادها ﷺ
- ٥٢ سبب كنيته بأُمّ عبد الله
- ٥٢ مِنْ نَعَمِ اللَّهِ عَلَيْهَا
- ٥٣ القدر الَّذِي مكثت فيه عائشة ﷺ عند النبي ﷺ
- ٥٣ عبادتها ﷺ وخوفها من الله تعالى
- ٥٤ فصاحتها ﷺ
- ٥٤ وفاتها والصلاة عليها ودفنها
- ٥٥ من حقوق النبي الأمين ﷺ توفير أمّهات المؤمنين
- ٥٦ **القسم الثاني : حديث الإفك**
- ٥٦ أذى المنافقين لسيد المرسلين ﷺ في عائشة أم المؤمنين ﷺ

- ٥٧ أربعة وردت براءتهم في القرآن الكريم
- ٦٣ حديث الإفك
- ٦٥ موقف أم رومان رضي الله عنها من الإفك
- ٦٧ موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه
- ٦٧ موقف أمهات المؤمنين رضي الله عنهن
- ٦٨ موقف أسامة بن زيد رضي الله عنه
- ٦٩ موقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه
- ٧٠ موقف الخادمة بريرة رضي الله عنها
- ٧١ موقف النبي صلى الله عليه وسلم
- ٧٣ موقف أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه
- ٧٣ مَنْ رَدَّ عَنْ عَرْضِ أَخِيهِ
- ٧٤ الْحِكْمَةُ مِنْ لُبِثِ الْوَحْيِ
- ٧٤ عائشة رضي الله عنها تتمثل آي القرآن في التوازل
- ٧٥ عائشة رضي الله عنها والصفح الجميل
- ٧٦ تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم
- ٧٧ مَنْ تَكَلَّمَ وَمَنْ تَوَلَّى كَبْرَهُ
- ٧٨ نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم في بيت أبي بكر رضي الله عنه براءتها رضي الله عنها
- ٧٩ عائشة رضي الله عنها تضيف معرفة النعمة بكلّيتها إلى الخالق دون الخلق
- ٨٠ أبو بكر الصديق رضي الله عنه يعفو عن مسطح رضي الله عنه ويصفح
- ٨٠ الْحُكْمُ فِيمَنْ قَذَفَ طَيِّبَةَ طَابَةَ رضي الله عنها بعد أن أنزل الله تعالى براءتها
- ٨٢ الآيات العشر في براءة عائشة رضي الله عنها

- ٨٣ من دلالات الآيات وعظاتها وهداياتها
- ٩١ القواعد الحسان لمن سمع حديث الإفك والبهتان
- ٩٢ الحكمة من نزول براءة عائشة رضي الله عنها وحيأ يتلى
- ٩٤ لم يؤذون عائشة رضي الله عنها !؟
- ٩٧ ثلاث مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ
- ٩٩ قذف المحصنات من السبع الموبقات
- ١٠١ حصان رزان
- ١٠٢ ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر
- ١٠٣ **القسم الثالث** : نفحات من استدراكات أم المؤمنين رضي الله عنها
- ١٠٣ رجوع الصحابة رضي الله عنهم إليها رضي الله عنها
- ١٠٤ استدراكها رضي الله عنها ومقاييس نقد الحديث عندها
- ١١١ **القسم الرابع** : حادثة الجمل
- ١١١ الفتنة الأولى : مقتل عثمان رضي الله عنه
- ١١٢ مسير عائشة رضي الله عنها إلى البصرة وعذرها
- ١١٧ مغفرة الله تعالى ذنوب عائشة رضي الله عنها ما تقدم منها وما تأخر
- ١١٨ عائشة رضي الله عنها وإصلاح ذات البين
- ١١٩ الأمر بالإصلاح في القرآن الكريم
- ١٢٠ شهادة عمّار رضي الله عنه لعائشة رضي الله عنها
- ١٢١ الدليل على أن خروج عائشة رضي الله عنها ومن معها كان للإصلاح
- ١٢٣ الرَّدُّ عَلَى مَنْ احْتَجَّ عَلَى خُرُوجِ عَائِشَةَ رضي الله عنها بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَكَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

- ١٢٤ عليّ ﷺ يستنفر أهل الكوفة ليعيد عائشة ﷺ إلى مأمنها
- ١٢٧ المنافقون يوقعون الفتنة بين الحيين
- ١٢٧ عائشة ﷺ تنهى عن القتال يوم الجمل
- ١٢٨ قتلى الجمل وزمن القتال
- ١٢٨ ما قاله عمّار ﷺ لعائشة ﷺ حين فرغ من الجمل
- ١٢٩ مسير عائشة ﷺ كان قدراً
- ١٣٠ الخطأ في الاجتهاد لا يبيح الطعن في صاحبه
- ١٣٢ محاسن من أمسك عن الوقوع في الصحابة ﷺ وسكت عمّا شجر بينهم
- ١٣٥ **القسم الخامس** : صدّ عاديّات الأديعاء عن زوج سيّد الأنبياء ﷺ
- ١٣٥ إثم من يحدث بكلّ ما سمع
- ١٣٧ نقض قولهم : إنّ النّبِيَّ ﷺ قال لعائشة ﷺ : تقاتلي عليّاً ﷺ وأنت له ظالمة !
- ١٣٩ نقض قولهم : إنّ النّبِيَّ ﷺ أشار إلى بيت عائشة ﷺ وقال : هنا الفتنة
- ١٤٢ نقض قولهم : عائشة تروي أنّ النّبِيَّ ﷺ حاول التّرديّ من شواهي الجبال
- ١٤٦ نقض قولهم : عائشة ﷺ كانت سبباً في طلاق الجُوريّة وموتها كمداء
- ١٤٨ نقض قولهم : إنّها ﷺ لا تسأل عن دين وإنّما تسأل عن متاع
- ١٥١ نقض قولهم : لم ينزل في عائشة ﷺ شيء من القرآن
- ١٥٣ نقض قولهم : عائشة ﷺ زوجة النّبِيَّ ﷺ في الدّنيا لا في الآخرة
- ١٥٥ أحاديث موضوعة في حقّ عائشة ﷺ
- ١٥٨ ماذا قال ابن عبّاس ﷺ حين اشتكت عائشة ﷺ وحين حضرها الوفاة
- ١٥٩ **القسم السادس** : عدالة الصّحابة وأدلة العدالة
- ١٥٩ عدالة الصّحابة ﷺ

- ١٦٠ أدلة العدالة
- ١٦٣ الصحابة ﷺ شهداء الله تعالى
- ١٦٤ ما أمر الله تعالى به مَنْ جاء مِنْ بعد الصَّحابة ﷺ
- ١٧٤ تحذير النَّبِيِّ ﷺ من دعاة لا يهتدون بهداه ولا يستنون بسنته
- ١٧٩ أعظم الكذب
- ١٨٢ إثم من دعا إلى ضلالة أو سنَّ سنَّة سيئة
- ١٨٣ موعظة النَّبِيِّ ﷺ التي ذرَفَتْ مِنْهَا العُيونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ !
- ١٨٦ **القسم السابع : الاختلاف**
- ١٨٦ فقه الخلاف في حياة الصَّحابة ﷺ
- ١٨٩ أدب الخلاف بين الصَّحابة ﷺ
- ١٩٠ كره الصَّحابة ﷺ للخلاف
- ١٩٠ فقه الخلاف في النوازل
- ١٩٢ أنواع الاختلاف
- ١٩٤ النَّهي عن الاختلاف والأمر بالاجتماع أصلان عظيمان في القرآن
- ١٩٦ دلالة عطف النهي على الأمر
- ١٩٧ إخبار النَّبِيِّ ﷺ عن افتراق أمته والتنصيب على وحدتها
- ١٩٩ التَّعصُّب إلى الفرق يزيد من الفركة
- ٢٠٣ ما ينبغي أن يكون عليه المسلم عند الاختلاف
- ٢٠٥ الحاجة إلى فقه الخلاف
- ٢٠٦ الشِّفاء من كلِّ خلاف مشكل وداء معضل
- ٢١٠ **القسم الثامن : الفتن**

٢١٠	معنى الفتنة
٢١١	المعاني التي يحتملها لفظ الفتنة في القرآن الكريم
٢١٢	ظهور الفتن بموت الخليفة عمر <small>رضي الله عنه</small>
٢١٣	فتنة الرجل عن دينه
٢١٣	التحذير من الفتن
٢١٥	البيان بأن على الإنسان عند الفتن العمياء أن يكسر سيفه ويكون مقتولا
٢١٦	الدعاة إلى الفتن هم الدعاة إلى النار
٢١٧	الفتن لا تنزال إلى يوم القيامة
٢١٨	تغييب أهل القبور وتمي الموت عند نزول الفتن خشية ذهاب الدين
٢١٩	من أسباب الاختلاف وظهور الفتن
٢٢٩	المنجى من الفتن والمحن
٢٤٠	من معالم الهدى في الفتن
٢٤٤	وقفات وبعثات الفتنة
٢٤٤	مثل الفتنة
٢٤٥	من شهد الفتنة كارها ومن غاب عنها فرضيها
٢٤٥	الله الله في الدماء!
٢٤٦	أفلح من كفّ يده
٢٤٧	الخاتمة
٢٤٩	المصادر والمراجع
٢٦٥	فهرس الموضوعات

صدر للمؤلف

- ١- اكتساح السّحر: تقديم ومراجعة أ.د. راجح الكردي، دار الفرقان، ط١، عمّان، ١٩٩٠م.
- ٢- قصّة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم: تقديم ومراجعة: أ.د. أحمد نوفل، أ.د. محمود السّرطاوي، أ.د. أحمد شكري. دار عمّار، عمّان، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٣- شهيد الدّار عثمان بن عفّان رضي الله عنه: تقديم ومراجعة أ.د. محمود السّرطاوي. دار عمّار، عمّان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٤- وأد الفتنة: دراسة نقدية لشبهات المرجفين وفتنة الجمل وصفين على منهج المحدثين. تقديم ومراجعة: أ.د. محمود السّرطاوي، أ.د. أحمد نوفل، أ.د. محمّد العمري. دار عمّار، عمّان، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ٥- غرر البيان من سورة يوسف عليه السلام في القرآن: دراسة قصصية ولمسات بيانية. تقديم ومراجعة: أ.د. أحمد نوفل، أ.د. محمود السّرطاوي، د. صلاح الخالدي. دار الفاروق، عمّان، ط١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ٦- الأثر الثمين في نصرّة عائشة رضي الله عنها أمّ المؤمنين: تقديم ومراجعة: أ.د. عبد النّاصر أبو البصل، أ.د. محمود السّرطاوي، أ.د. أحمد نوفل، د. محمّد ملكاوي، أ.د. عبد المقصود حامد. دار الفاروق، عمّان، ط١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

